علي عليه السلام والخوارج

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

2007 م. - 1428 هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

علي عليه السلام والخوارج

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الأول

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفوة الخلق أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فإن من الواضح: أنه قد كان لموقف الخوارج في صفين تأثير عميق على مسار الأحداث، ومساس مباشر بالمصير الذي انتهت إليه الأمة ـ بل والبشرية بأسرها عبر التاريخ، حيث إن مواقفهم تلك قد حرمت الأمة من أطروحة أهل البيت «عليهم السلام»، ومكنت لمعاوية ولغيره من الطواغيت والمجرمين من الوصول إلى مآربهم، وتحقيق أهدافهم الشريرة.

ورغم أنهم قد حاربوا الأمويين بعد ذلك لكن حربهم لهم هي الأخرى قد زادت الطين بلة، والخرق اتساعاً حيث إن هذه الحروب قد منحت الفرصة لفريق آخر، أكثر عنفاً في مواجهة أطروحة علي «عليه السلام» وأهل بيته «عليهم السلام»، وهم البيت العباسي، الذي

بلغ عنف مواجهته لآل علي «عليه السلام» حداً جعل الشعراء يقولون:

تالله مـا فعـلت أمـيــة فيهـم   معشـار ما فعلـت بنو العباس

ويقولون:

ومـتى تـولى آل أحمد مسلـم   قتـلوه أو وصموه بـالإلحــاد

ويقولون:

يا ليــت جور بنــي مروان دام لنا   ولــي عـدل بنــي العبـاس في النـار

أما ما ظهر من الخوارج من مواقف وأقاويل، فقد كان ولا يزال غير ظاهر الانسجام مع المعايير والضوابط المألوفة والسليمة، بعيداً عن مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة.

وهو أيضاً يصادم ضرورة العقل، وأحكام الدين، ولم يزل مثار بحث وجدل. فهذا يشرّق، وذاك يغرّب، وثالث يخبط خبط عشواء، لا يجد سبيلاً، ولا يهتدي إلى الطريق، كلما طرق باباً، اصطدم بالأسئلة الكثيرة التي تشير إلى التناقضات الظاهرة في أقوالهم، وأفعالهم.

فهل هم عبّاد وزهّاد عزفوا عن هذه الدنيا، وعن كل ما فيها، وأخلصوا لله وطلبوا الآخرة لا يريدون سواها؟!

أم أنهم قد أحبوا الدنيا بكل وجودهم وباعوها بالآخرة. وقد اتخذوا الدين طريقاً إليها، ووسيلة لإيقاع الناس في حبائلهم وخدعهم؟! حتى إنهم ليقاتلون على القدح أو على السوط يؤخذ منهم..

أم أنهم كانوا عبَّاداً، ولكنهم في نفس الوقت يحبون الدنيا،

ويعملون من أجلها، فهم يريدون أن يحصلوا على الدنيا وعلى الآخرة معا حسب زعمهم؟!

وتستمر الأسئلة لدى هذا الفريق أو ذاك: هل كان الخوارج على قناعة تامة بمواقفهم، وممارساتهم؟ أم كانوا شكاكاً؟!

قد التبست عليهم الأمور، وقد مضوا على شكهم فعالجوا القضايا من منطلق الأهواء الشخصية، ودوافع الحقد والكراهية التي كانت تعتلج في صدورهم؟!.

وهل كانوا علماء بكتاب الله، الذي مازالوا يقرؤونه ويرددونه ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار؟!

أم أنهم كانوا أعراباً جفاةً، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق؟!

وهل كانوا من الشجعان الأوفياء والأشداء؟!

أم كانوا من الغدرة الضعفاء والجبناء؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي يريد هذا الكتاب أن يقدم الإجابة عليها، ولو بصورة موجزة ومحدودة.

وليس لدي ما يوجب أن أخفي على القارئ الكريم حقيقة أنني لم يكن يدور في خلدي أن أتجه إلى البحث حول هذا الموضوع، أو أن تضطرني بعض الاعتبارات إلى ذلك، حتى حدث ما لم يكن في الحسبان، فاستجبت لتلك الحاجة الطارئة التي جعلت من اختيار هذا الموضوع أمراً يكاد يكون ضرورة لا محيص عنها، ولا خلاص منها.

فبادرت إلى ذلك في شهر رجب الأصم سنة 1403هـ فكانت حصيلة المعاناة التي استمرت أسابيع قليلة جداً هي هذا البحث المتواضع الذي بين يدي القارئ الكريم.

ثم هيأته للطبع، وأعدت النظر في بعض مطالبه في صيف عام 1422هـ.ق، وذلك بمقدار ما سنحت لي الفرصة، وساعد الظرف.

وكلي أمل أن ينال هذا الجهد رضا القراء والباحثين، وأن ينيلني الله عليه الأجر والثواب.

والله أسأل: أن لا يكلني إلى نفسي، وأن يجعل عاقبة أمري إلى غفرانه إنه ولي قدير..

وبالإجابة حري وجدير..

والحمد لله، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين.

ذو الحجة سنة 1422 هـ.ق

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

تمهيد:

الخبر المتواتر:

إن كل من له أدنى اطلاع على الحديث النبوي الشريف، لا يخالجه أدنى شك في تواتر الحديث الذي يتحدث عن ثلاث فئات تحارب أمير المؤمنين علياً عليه الصلاة والسلام. بل إنه سوف يجد أنه قد رواه جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ونحلهم واتجاهاتهم.

وهذه الفئات الثلاث، هي:

1 ـ **الناكثون**، أي ناكثو البيعة.

وهم أصحاب الجمل، الذي حاربهم علي «عليه السلام».

2 ـ **القاسطون**، أي الجائرون، فإنه مأخوذ من «**قسط**» بمعنى جار، لا من «**أقسط**»، الذي هو بمعنى عدل.

والقاسطون هم الذين حاربوه «عليه السلام» في صفين، وهم معاوية وأهل الشام.

3 ـ المارقون(1).

---

(1) راجع على سبيل المثال المصادر التالية: مجمع الزوائد ج6 ص235 وج7 ص238 وج5 ص186 وج9 ص111 ومستدرك الحاكم ج3 ص139، وتلخيص الذهبي بهامشه وانساب الأشراف ج2 ص297، بتحقيق المحمودي، وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص172 و 170 و 169 و 165 و 163 و 162 و 160 و 161 و 158 و 159 واللآلي المصنوعة ج1 ص213 و 214 وتاريخ بغداد ج13 ص186 وج8 ص340 و 341. وكنز العمال ج11 ص278 وراجع ص287 و 318 و 343 و 344 وج15 ص96 وشرح النهج للمعتزلي ج3 ص207 و 345 وج4 ص221 و 462 وج18 ص27 وج6 ص130 وج13 ص183 و 185 وج1 ص201 والمناقب للخوارزمي ص125 و 106 و 282 والبداية والنهاية ج7 ص206 و 207 و 305 و 304 وج6 ص217 وفرائد السمطين ج1 ص332 و 285 و 283 و 282 و 281 و 280 و 279 و 150 ومروج الذهب ج2 ص404 والمحاسن والمساوئ ج1 ص68 والغدير وج3 ص192 و 194 وج1 ص337 وذخائر العقبى ص110 عن الحاكمي والرياض النضرة ج3 ص226. وكفاية الطالب ص168 و 169 ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج5 ص451 و 435 و 437 وج4 ص244 ولسان الميزان ج2 ص446 وج6 ص206 وميزان الاعتدال ج1 ص126 و 174 وينابيع المودة ص104 و 128 و 81 والنهاية في اللغة ج4 ص185 ولسان العرب ج2 ص196 وج7 ص378 وتاج العروس ج1 ص651 وج5 ص206 ونظم درر السمطين ص130 وأسد الغابة ج4 ص33 والجمل ص35 والافصاح في إمامة علي بن أبي طالب ص82. وإحقاق

وهم الخوارج، الذين حاربوه «عليه السلام» في النهروان[1].

وهناك الحديث الذي زخرت به كتب الحديث والتاريخ، والذي يتحدث عن فئة يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق، شر الخلق والخليقة[2]

الحق ج6 ص37 و 59 و 79 وج5 ص71 عن مصادر كثيرة تقدمت، وعن: تنزيه الشريعة المرفوعة ج1 ص387 ومفتاح النجا ص68 مخطوط وأرجح المطالب ص602 و 603 و 624 وموضح أوهام الجمع والتفريق ج1 ص386 وشرح المقاصد للتفتازاني ج2 ص217 ومجمع بحار الأنوار ج3 ص143 و 195 وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي ص209 مخطوط والروض الأزهر ص389.

(1) كنز العمال ج11 ص287 عن ابن أبي عاصم وابن عساكر في الأربعين وراجع البداية والنهاية ج7 ص307.

(2) راجع على سبيل المثال في أمثال هذه العبارات في ما يلي: مسند أحمد ج1 ص88 و 92 و 108 و 113 و 131 و 147 و 151 و 156 و 160 و 256 و 404 و 411 و 441 و 435 و 380 و 395 وج2 ص209 و 219 وج3 ص5 و 15 و 32 و 33 و 34 و 38 و 39 و 52 و 56 و 60 و 64 و 65 و 68 و 73 و 159 و 183 و 197 و 224 و 353 و 486 وج4 ص422 و 425 وج5 ص31 و 42 و 146 وراجع: ص253 ومجمع الزوائد ج6 ص228 و 229 و 231 و 27 و 230 و 232 و 235 و 239 وج9 ص129 ومستدرك الحاكم ج2 ص154 و 147 و 148 و 146 و 145 وكشف الأستار عن مسند البزاز ج2 ص360 و 361 و 363 و 364 والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص109 والمعجم الصغير ج2 ص100 والمصنف للصنعاني ج1

ص146 و 148 و 151 و 154 و 157 وكنز العمال ج11 ص126 و 180 و 127 و 128 و 129 و 130 و 131 و 175 و 182 و 271 و 312 عن مصادر كثيرة وكفاية الطالب ص175 و 176 وتاريخ بغداد ج12 ص480 وج10 ص305 والعقود الفضية ص66 و 70 والمغازي للواقدي ج3 ص948 والإصابة ج2 ص302. والغدير ج10 ص54 و 55 عن الترمذي ج9 ص37 وسنن البيهقي ج8 ص170 و 171 وتيسير الوصول إلى علم الأصول ج4 ص31 و 32 و 33 عن الصحاح الستة كلها وعن أبي داود ج2 ص284 وفرائد السمطين ج1 ص276 ونظم درر السمطين ص116 والإلمام ج1 ص35 والخصائص للنسائي ص136 و 137 حتى ص149 وميزان الاعتدال ج2 ص263 ترجمة عمر بن أبي عائشة وأسد الغابة ج2 ص140 وتاريخ واسط ص199 والتنبيه والرد ص182 وصحيح البخاري ج2 ص173 وج4 ص48 و 122 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص53 و 57 والجامع الصحيح للترمذي برقم 3896 وصحيح مسلم ج1 ص1063 و 1064 وفي هامش مناقب المغازلي عن الإصابة ج2 ص534 وعن تاريخ الخلفاء ص172 وراجع إثبات الوصية ص147 وراجع ذخائر العقبى ص110 والمناقب للخوارزمي ص182 وأحكام القرآن للجصاص ج3 ص400 ونور الأبصار ص102.

وراجع: نزل الأبرار ص57 - 61 والرياض النضرة ج3 ص225 وراجع ص226 و 224 والفصول المهمة لابن الصباغ ص94 والبداية والنهاية ج7 ص379 حتى 350 عن مصادر كثيرة ومن طرق كثيرة جداً فليراجعه من أراد وتذكرة الخواص ص104 وشرح النهج للمعتزلي ج13 ص183 وج1 ص201 وج2 ص261 و 266 و 268 و 269 والكامل في التاريخ ج3

وقد صرحت طائفة من الروايات بأن علياً «عليه السلام» هو الذي يقتلهم فراجع المصادر.

وفي بعض الروايات: طوبى لمن قتلهم وقتلوه[1].

وفي بعض الروايات أيضاً: أنهم كلاب النار[2].

وهو حديث لا شبهة في صحته.

وقد ذكرت الروايات علامات لفئة المارقين هؤلاء، أبرزها ظهور المخدج، وهو ذو الثدية[3] فيهم، وهو الرجل الذي لا يعرف

ص347. وإن تتبع مصادر هذا الحديث متعذر فنكتفي هنا بهذا القدر.

(1) راجع مسند أحمد ج4 ص357 و 382.

(2) مسند أحمد ج4 ص382 و 355 وسنن ابن ماجة ج4 ص74 وصححه السيوطي في الجامع الصغير، والمعجم الصغير ج2 ص117.

(3) مصادر ذلك لا تكاد تحصر، فراجع على سبيل المثال: مسند أحمد ج1 ص95 و 92 و 88 و 113 و 108 و 121 و 140 و 141 و 147 و 151 و 155 و 160 وج3 ص33 و 56 و 65 والمصنف للصنعاني ج10 ص147 و 148 و 149 و 151 والخصائص للنسائي ص138 و 139 و 141 و 142 و 143 و 144 و 145 و 146 والسنن الكبرى ج6 ص170 والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص109 و 110 وكشف الأستار عن مسند البزار ج2 ص361 و 362 وكنز العمال ج11 ص130 و 178 و 272 و 277 و 280 و 281 و 282 و 285 و 286 و 278 و 289 و 296 و 298 و 301 و 302 و 307 و 308 و 310 و 311 عن مصادر كثيرة جداً. ومجمع الزوائد ج6 ص227 و 234 و 235 و 238 و 239 والمحاسن والمساوئ ج2 ص98 ومنتخب كنز العمال

أحد من أبوه.

قال أبو سعيد الخدري: فحدثني عشرون، أو بضع وعشرون من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»: أن علياً (رض) ولي قتلهم[1].

وأضاف أبو سعيد الخدري قوله: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله «صلى الله عليه وآله». وأشهد أن علياً «عليه السلام» حين

بهامش مسند أحمد ج5 ص434 والكامل في التاريخ ج3 ص347 و 348 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص414 و 416 والفتوح لابن أعثم ج4 ص130 ومستدرك الحاكم ج2 ص153 و 154 وتلخيص الذهبي بهامشه وكفاية الطالب ص179 و 177 وفرائد السمطين ج1 ص276 و 277 ومروج الذهب ج2 ص406 ونظم درر السمطين ص116 وتاريخ بغداد ج12 ص480 وج1 ص160 و 206 و 199 و 174 وج13 ص158 و 222 وج11 ص118 وج11 ص305 وج14 ص365 وج7 ص237 وصحيح مسلم ج3 ص115 طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان والعقود الفضية ص66 و 67 والمعجم الصغير ج2 ص85 وراجع ص75 وعن المناقب لابن شهر آشوب ج3 ص191 والثقات ج2 ص296 وشرح النهج للمعتزلي ج6 ص130 وج13 ص183 وج2 ص266 و 268 و 275 و 276 وخصائص أمير المؤمنين للرضي ص30 وذخائر العقبى ص110 ونزل الأبرار ص57 و 61 والرياض النضرة ج3 ص224 و 225 والبداية والنهاية ج7 من ص280 حتى ص307 بطرق كثيرة جداً وتذكرة الخواص ص104 والمغازي للواقدي ج3 ص948 و 949 والمناقب للخوارزمي ص182 و 183 و 185.

(1) راجع: مسند أحمد ج3 ص33 وكنز العمال ج11 ص302 عن ابن جرير والبداية والنهاية ج7 ص299.

قتلهم ـ وأنا معه ـ جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله «صلى الله عليه وآله»[(1)].

وقد ذكرت بعض المصادر أن قتل ذي الثدية كان على يد أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، حيث ضربه على بيضته، فهتكها، وحمل به فرسه، وهو لما به من أثر الضربة، حتى رمى به في آخر المعركة، على شط النهروان، في جوف دالية خربة[(2)].

التشكيك اللئيم:

ولكن بعض من لا يؤمن بالإسلام ولا بالوحي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل هو يعمل على الكيد له، وتزوير حقائقه ـ

---

(1) المصنف للصنعاني ج10 ص147 و 149 والجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وآله ص110 وكنز العمال ج11 ص296 و 297 عن عبد الرزاق وابن أبي شيبة. والخصائص للنسائي ص138 و 139 في هامشه عن المصادر التالية: أسد الغابة ج2 ص140 والبداية والنهاية ج7 ص301 وميزان الاعتدال ج2 ص263 ومسند أحمد ج3 ص56 وج1 ص91 والعقود الفضية ص67 والمناقب للخوارزمي ص183 ونزل الأبرار ص58 وفي هامشه عن بعض من تقدم وعن حلية الأولياء ج4 ص186 وعن مجمع الزوائد ج6 ص239 وعن سنن البيهقي ج8 ص170 وعن صحيح مسلم ج2 ص748 وعن المناقب لابن شهر آشوب ج3 ص91 وعن تاريخ بغداد ج13 ص186 وعن مستدرك الحاكم ج2 ص145 وعن سنن أبي داود ج2 ص282.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص130.

إن أمكنه ذلك: يعتبر حديث التميمي الذي اعترض على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسطورة ـ كما ذكره فلهوزن في كتابه[1] ونحن لا نتعجب كثيراً من مثل هذه الأقاويل، فإنما هي شنشنة أعرفها من أخزم؛ وليست هذه هي أولى طعنات هؤلاء المستشرقين في هذا الدين الحنيف، ولا نعتقد أنها ستكون الأخيرة منهم.

ولكن أن نقرأ لبعض من ينسب إلى هذا الدين: أن حديث ذي الثدية منتحل وهو أسطورة لا حقيقة لها رغم اعترافه بتواتره[2].

فذلك ما يثير عجبنا حقاً من إنسان يدعي أنه باحث موضوعي لا يميل به الهوى، ولا يصده التعصب عن قول الحق!!

فإنه إذا لم يصح الحديث المتواتر، فأي حديث بعده يمكن أن يصح. لاسيما مع ملاحظة عناية سائر الفرق الإسلامية، وعلمائها بنقل هذا الحديث. ومع كثرة طرقه!!.

صفات الخوارج في الروايات:

ومن العلامات التي ذكرتها الروايات للخوارج:

أنهم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام[3].

---

(1) الخوارج والشيعة ص45.

(2) قضايا في التاريخ الإسلامي للدكتور محمود إسماعيل هامش ص67 و 68.

(3) راجع من المصادر المتقدمة: مسند أحمد، والمعجم الصغير ج2 ص100 وكشف الأستار ج2 364 وكنز العمال ج11 ص128 و 129 و 179 و

وهذا هو نفس ما وصفهم به علي «عليه السلام»، كما سيأتي حيث قال عنهم «عليه السلام»: أخفاء الهام سفهاء الأحلام[1].

وحسب نص آخر: أحداث، أحدّاء، أشداء، ذليقة ألسنتهم بالقرآن، يقرؤونه لا يجاوز تراقيهم[2].

وذكرت النصوص أيضاً: أن سيماهم التحليق والتسبيت (وهو استئصال الشعر القصير).

وذكرت النصوص المتقدمة: أنهم «يقرؤون القرآن، يحسبون أنه

---

181 و 299 و 204 و 206 ورمز له بما يلي: (ق.خ.د.ن.ج.ت.هـ.ط.م. أبو عوانة. حب.ع. الخطيب. ابن عساكر. الحكيم. ابن جرير)، والتنبيه والرد ص182.

وراجع: وأحكام القرآن للجصاص ج3 ص455 والسنن الكبرى ج8 ص170 وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب 48 والخصائص للنسائي ص140 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص57 والبداية والنهاية ج7 ص291 و 296 وتيسير الوصول ج4 ص32 عن الخمسة ما عدا الترمذي.

(1) الموفقيات ص327.

(2) راجع مسند أحمد ج5 ص44 و 36 والمعيار والموازنة ص170 وكنز العمال ج11 ص180 و 294 ورمز له بـ (حم.ق.ط.وابن جرير) ومجمع الزوائد ج6 ص230 عن أحمد والطبراني، والبزار وتاريخ بغداد ج1 ص160 وج3 ص305 وفرائد السمطين ج1 ص277 والبداية والنهاية ج7 - ص291 والخصائص للنسائي ص139 ونظم درر السمطين ص116.

لهم، وهو عليهم»[1].

وأنهم: «قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل..

إلى أن قال: يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم.

قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟!

قال: التحليق»[2].

وفي نص آخر: «يتلون كتاب الله وهم أعداؤه، يقرؤون كتاب الله محلقة رؤوسهم الخ..»[3].

التزوير المفضوح:

وإن من يراجع كتب التاريخ يعرف كثرة الخوارج من بني تميم، وكما قد قرأنا آنفا: وصف أمير المؤمنين «عليه السلام» للخوارج بأنهم معاشر أخفَّاء الهام سفهاء الأحلام. أن ما يقرب من هذه العبارات مروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً.

غير أن ثمة نصاً آخراً قد جاء بعكس هذا المعنى، فقد روى أبو

---

(1) مسند أحمد ج1 ص92 والغدير ج10 ص54 وفي هامشه عن صحيح الترمذي ج9 ص37 وسنن البيهقي ج8 ص170 وأخرجه مسلم وأبو داود كما في تيسير الوصول ج4 ص31 ونزل الأبرار ص60 وفي هامشه عن مسلم ج2 ص748.

(2) سنن أبي داود ج2 ص284 ومستدرك الحاكم ج2 ص147 و 148 وسنن البيهقي ج8 ص171.

(3) مستدرك الحاكم ج2 ص145.

هريرة: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول عن بني تميم:

«ضخم الهام، رجح الأحلام، وأشد الناس على الرجال في آخر الزمان»[1].

ومن الواضح: أن أبا هريرة كان عدواً لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد اعتبره أنه قد أحدث في المدينة، وأمره في ذلك أشهر من أن يذكر. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.. وأن مقام أمير المؤمنين «عليه السلام» أعظم وأجل من أن ينال من هذا المظهر للنصب والعداء له صلوات الله وسلامه عليه..

سيماهم.. شعارهم:

وبعد.. فقد قال المعتزلي: «كان شعارهم أنهم يحلقون وسط رؤوسهم، ويبقى الشعر مستديراً حوله كالإكليل»[2].

وفي نص آخر: عن أبي سعيد: «التسبيد فيهم فاشٍ، قلت: وما التسبيد؟ قال: لا أعلمه إلا نحواً في رأسك فوق الجلد ودون الوفرة»[3].

ولكن رواية عن عبد الرزاق قالت: سيماهم الحلق والسمت.

قال: يعني: يحلقون رؤوسهم، والسمت يعني لهم سمت

---

(1) البرصان والعرجان ص309 وفي هامشه عن صحيح مسلم 1957.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج8 ص123.

(3) التنبيه والرد ص182.

وخشوع[1] وأنهم من جهة العراق. وأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان[2].

كما أن من صفاتهم: أنهم يتكلمون بكلمة الحق، لا يجاوز حلوقهم، يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء. يتلون كتاب الله وهم أعداؤه[3].

الخوف من إظهار الحق:

قال المعتزلي:

«قال إبراهيم بن ديزيل: حدثنا سعيد بن كثير، عن عفير قال: حدثنا ابن لهيعه.. عن ابن هبيرة، عن حنش الصنعاني قال: جئت إلى أبي سعيد الخدري ـ وقد عمي ـ فقلت: أخبرني عن هذه الخوارج.

فقال: تأتوننا فنخبركم، ثم ترفعون ذلك إلى معاوية، فيبعث إلينا بالكلام الشديد.

---

(1) المصنف للصنعاني ج10 ص154.

(2) راجع الهوامش السابقة. مثل: مجمع الزوائد ج6 ص230 و 238 وكشف الأستار ج2 ص364 و 363 وكنز العمال ج11 ص126 و 127 و 288 و 298 ورمز للمصادر التالية (خ.ق.د.ن. وابن أبي عاصم. وابن جرير.عب) والسيرة الحلبية ج2 ص140 ط سنة 1220 بمصر. صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب47 والبداية والنهاية ج7 ص300.

(3) راجع: بحار الأنوار ج22 ص329 والبداية والنهاية ج7 ص328 وسنن أبي داود ج2 ص284 ومستدرك الحاكم ج2 ص147 و 148 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص171.

قال: قلت: أنا حنش.

فقال: مرحباً بك يا حنش المصري، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يخرج ناس يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في نصله لا يرى شيئاً، فينظر في قذذه فلا يرى شيئاً. سبق الفرث والدم. يصلى بقتالهم أولى الطائفتين بالله.

فقال حنش: فإن علياً صَلِيَ بقتالهم؟

فقال أبو سعيد: وما يمنع علياً أن يكون أولى الطائفتين بالله؟!»[1].

ونلاحظ هنا:

1 - خوف أبي سعيد:

إننا نجد أبا سعيد يخاف من إظهار حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأن ذلك يعرضه للكلام الشديد، فإذا كان هذا الحديث له مساس بأمير المؤمنين «عليه السلام» فإن أمره يصبح أشد وتبعاته تصير أعظم، حتى ولو كان هذا الحديث يشير إلى الخوارج أعداء معاوية والحكم الأموي.

وهذا يعطينا فكرة عن المعاناة التي يواجهها الحديث عن فضائله «عليه السلام» وكراماته، وما يبين موبقات ومخازي أعدائه ومناوئيه، فالذي وصل إلينا من ذلك لا بد أن يعد من كراماته «عليه السلام» ومن موارد لطف الله وعنايته البالغة.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص261.

2 ـ حنش.. وعلي عليه السلام أيضاً:

وحتى حنش المصري، فإنه لا يكاد يرضى بأن يكون علي «عليه السلام» هو الذي صلي بقتالهم حذراً من أن يكون «عليه السلام» أولى الطائفتين بالله الأمر الذي أثار أبا سعيد وجعله يعبر عن استغرابه بقوله: وما يمنع علياً أن يكون أولى الطائفتين بالله.

3 ـ معاوية يلاحق من يحدِّث:

وثمة دلالة أخرى نستفيدها هنا، وهي أن معاوية كان يبث جواسيسه لمعرفة الأحاديث التي يبثها الصحابة في الناس، ثم هو يواجه من تصدر عنهم تلك الأحاديث بالشدة والتخويف. وإن الجواسيس كانوا لا يكتفون بما يسمعونه، بل هم كانوا يسألون عن تلك الأحاديث ويطلبون سماعها..

وبعد ما تقدم نقول:

كان ما تقدم هو ما أحببنا أن نقدم الحديث عنه هنا، وقد أصبح من الطبيعي أن نبدأ في عرض أقسام الكتاب وفصوله الرئيسية، بادئين حديثنا بعرض موجز للمناخات والأجواء التي كانت تفرض نفسها على العراق في فترة ظهور الخوارج..

فإلى ما يلي من أقسام وفصول.

الباب الأول:

أجواء.. ومناخات

الفصل الأول:

العرب والعراقيون في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

بداية:

إنه إذا كان لا بد لنا من إلقاء نظرة فاحصة على حقيقة الظروف التي كان يعاني منها أمير المؤمنين «عليه السلام» في العراق، والتي أفرزت الكثير من المفارقات، وخلقت أو ساعدت على خلق وحدوث الكثير من المشاكل والعوائق أمام مسيرة الحق والعدل، التي بدأها «عليه السلام» في هذا المجتمع الجديد، وعلى نطاق الدولة الإسلامية أجمع، وحتى بالنسبة للمجتمع البشري ككل.. فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الإشارة إلى واقع المجتمع العراقي، الذي كان «عليه السلام» يتعامل معه، وكان قد فرض عليه صلوات الله وسلامه عليه أن يتخذه قاعدة لانطلاقه، ومحوراً لتحركاته.. لنتعرف بالتالي على المناخ الذي جعل من ظهور فرقة الخوارج التي نحن بصدد الحديث عنها، أمراً ممكناً، له أسبابه الموضوعية على صعيد الواقع الخارجي، الذي كان «عليه السلام» يتعامل معه، ويسجل موقفاً تجاهه..

ولكننا قبل بدء الحديث حول هذا الموضوع نرى أن من المناسب أن نلم بإضمامة من أقواله عليه الصلاة والسلام عن معاصريه من

العراقيين ولهم، لتكون خير شاهدٍ، وأفضل بيان يوضح لنا ما كان يعاني منه ذلك الرجل المظلوم، الذي كان قد بلغ به الأمر حداً جعله يقول لأهل العراق:

«**لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً**».

فنقول:

العراقيون.. في كلام علي عليه السلام:

ونقتطف من كلامه «عليه السلام»، الذي ورد في نهج البلاغة، وفي مصادر كثيرة ما يلي:

قال «عليه السلام» في نهج البلاغة الخطبة رقم (25) بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «..إني والله، لأظن: أن هؤلاء القوم سيدالون منكم، باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم؛ فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته.

اللهم إني قد مللتهم وملوني؛ وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني»[1].

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (27) بترقيم المعجم:

---

(1) وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج1 ص332 والثقات ج2 ص351 وفيه زيادات واختلاف.

«عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمَّارة القيظ».

إلى أن قال «عليه السلام»: «يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت إني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً الخ..».

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (29) بترقيم المعجم: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء»[1].

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (39) من نهج البلاغة بترقيم المعجم: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟! أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمشكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، أناديكم متغوثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة الخ»[2].

وقال «عليه السلام»: «إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت

---

(1) وراجع في هذا النص أيضاً الفتوح لابن اعثم ج4 ص100 و 101.

(2) نهج البلاغة ج1 ص86.

أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يرتج عليكم حواري فتعمهون؛ فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم. ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر»[1].

وقال «عليه السلام»: «إنكم ـ والله ـ لكثير في الباحات, قليل تحت الرايات. وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي. أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم. لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق»[2].

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (97) بترقيم المعجم: «أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم».

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (106) بترقيم المعجم: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون. وكانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع»

(1) نهج البلاغة ج1 ص78 و 79 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص189.
(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص102.

الخ..

وقال «عليه السلام» في نهج البلاغة الخطبة (108) بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «مالي أرى أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نوماً، وشهوداً غيباً، وناظرة عمياء، وسامعة صماء، وناطقة بكماء».

وقال في الخطبة رقم (121) بترقيم المعجم: «هذا جزاء من ترك العقدة! أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى. ولكن بمن وإلى من؟! أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها. اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي, وكلت النزعة بأشطان الركي. أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه, وقرؤوا القرآن فأحكموه, وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها الخ..».

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (180) بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع وإذا دعوت لم تجب إن أمهلتم خفتم، وإن حوربتم خُرتم وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم»[1].

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (208) بترقيم المعجم

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص67 عن تاريخ الامم والملوك 1681/3/2 و 1682.

المفهرس للدشتي: «أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهك، لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون»[1].

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (192) بترقيم المعجم: «ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية الخ..».

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (192) بترقيم المعجم: «واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً. ما تتعلقون في الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه.. ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه».

قريش والعرب، وعلي عليه السلام:

كانت تلك بعض كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» في بيان حال أصحابه، كما وردت في كتاب نهج البلاغة.

ولعل أكثر ما تقدم قد صدر عنه «عليه السلام» بعد حرب الجمل، وصفين كما يظهر، بل هو صريح بعض النصوص الآتية..

وتلك الكلمات ناطقة بأنه «عليه السلام» كان يعاني من مشكلات كبيرة مع أصحابه، وأنهم كانوا لا يطيعونه، ولا ينقادون لأوامره في

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج11 ص29 وج2 ص219 و 220.

كثير من الأحوال..

ولا يختص ذلك بالعراقيين، بل هو ينسحب على قريش، وعلى العرب بصورة عامة.. وقد أكدت ذلك النصوص الكثيرة الأخرى أيضاً..

ونحن نشير هنا إلى النصوص التالية:

وقال معاوية، وهو يتحدث عن أمير المؤمنين «عليه السلام» وعن نفسه: «..وكان في أخبث جند، وأشدهم خلافاً. وكنت في أطوع جند، وأقلهم خلافاً»[1].

وكان أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يردد:

ولكني متى أبرمت أمراً منيت بخلف آراء الطغام[2]

وقال الدكتور نايف معروف: «وقد حمّل (ميور) علياً «عليه السلام» مسؤولية وجود تلك العناصر الهدامة بين أتباعه حين قال: «إن علياً قد سمح لنفسه أن يضم إلى جيشه الخونة والقتلة، فكان عليه أن يجني الثمار المرة، في الوقت الذي كان فيه معاوية هو الرابح الوحيد».

ولكن يبدو أن (ميور) قد حمّل علياً ما هو فوق طاقته؛ فأمير المؤمنين لم يكن بقادرٍ على تحديد هوية أولئك المخادعين؛ ليفرز

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص70 عن المحاسن والمساوئ للبيهقي ص376.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج4 ص18 و 19 وعنه في كتاب: الخوارج في العصر الأموي ص71.

الخونة جانباً؛ خصوصاً وأنهم من زعماء القبائل التي تسانده، وتحارب إلى جانبه، والتي لا يستطيع إغضابها، والإستغناء عن مساندتها له.

كما أن زعم «ماكدونالد» بأن علياً لم يكن رجل سياسة فيه جهل بشخصية الإمام، الذي كان رجل عقيدة، يعمل بموجبها، ويلتزم بأحكام اجتهاداته من خلالها»(1).

ونقول:

لسوف يتضح من خلال هذا البحث: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بلغ في سياسته الحكيمة درجة الإعجاز، فإنه قد قاتل أولاً جيشاً فيه طلحة والزبير، وهما من أهل السابقة في الإسلام، ومعهما التأييد القرشي القوي، وقد كان لقريش نفوذ كبير في الناس ومعهما أيضاً زوجة النبي وابنة الخليفة الأول، ومدلّلة عمر بن الخطاب, الرجل الذي كان قوله في العرب كالشرع المتبع كما سنشير إليه إنشاء الله..

ثم حارب معاوية وجيشه الذي كان أكثر من مئة ألف رجل وقد تحدث معاوية نفسه عن الواقع الذي كان يعاني منه أمير المؤمنين، وعن الامتياز الذي لمعاوية في جيشه من أهل الشام..

ثم حارب خوارج أهل العراق بأهل العراق أنفسهم، فقتلوا إخوانهم وابناءهم وآباءهم فيهم.

كل هذا قد كان والحال: أنه «عليه السلام» لم يكن جيشه موالياً

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص72.

له، بل لم يكن معه خمسون رجلاً يعتقدون بإمامته، كما سنذكره وكان في أخبث جيش، وكان عدوه في أطوع جيش، حسب قول معاوية.. وهل يستطيع أحد أن يحارب أعدائه بأعدائه، والحال أن الذين يحاربهم يملكون امتيازات بهذا الحجم، ثم هو ينتصر عليهم جميعاً؟! إن ذلك لعجيب حقاً وأي عجيب!!

وقد روى الصدوق رحمه الله قال: «حدثني محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه، عن المفضل بن قيس، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: كم شيعتنا بالكوفة؟

قال: قلت: خمسون ألفاً.

قال: فما زال يقول، حتى قال: أترجوا أن يكونوا عشرين؟

ثم قال «عليه السلام»: والله، لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا بالحق»(1).

فإذا كان هذا هو الحال في زمن الإمام الصادق «عليه السلام» الذي ظهرت فيه الكوفة على أنها عاصمة التشيع لعلي «عليه السلام» وأهل بيته «عليهم السلام».

وقد كتب «عليه السلام» إلى أخيه عقيل: «ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم؛ فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد،

---

(1) صفات الشيعة ص14 و 15.

وجرُّوا إليه جيش الأحزاب الخ..»[1].

وقال «عليه السلام» لعدي بن حاتم في صفين: «أدن. فدنا، حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال: ويحك، إن عامة من معي اليوم يعصيني، وإن معاوية في من يطيعه، ولا يعصيه»[2].

ويقول الثقفي: «قد كان الناس كرهوا علياً، ودخلهم الشك والفتنة، وركنوا إلى الدنيا، وقلّ مناصحوه؛ فكان أهل البصرة على خلافه والبغض له، وجلّ أهل الكوفة، وقراؤهم، وأهل الشام، وقريش كلها»[3].

ويقول أيضاً: «..وكانت قريش كلها على خلافه مع بني أمية»[4].

وقد تحدثنا عن موقف قريش منه «عليه السلام» في مقال لنا حول الغدير، في الجزء الثالث من كتاب «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام»، فليراجع.

وحين قيل لعلي «عليه السلام» لما كتبت الصحيفة: إن الأشتر لم يرض بما في هذه الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم، فقال علي «عليه السلام»: بلى، إن الأشتر ليرضى إذا رضيت.. إلى أن قال:

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص119 والغارات للثقفي ج2 ص421 والبحار ج8 ط قديم ص621 والدرجات الرفيعة ص156 ونهج السعادة ج5 ص202.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج8 ص77.

(3) الغارات ج2 ص454.

(4) الغارات ج2 ص569.

«ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوه مثل رأيه. إذن لخفَّت علي مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم»[1].

أما ابن كثير، فيقول: «واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم، وينهاهم عنه، والخروج عليه، والبعد عن أحكامه، وأقواله، وأفعاله، لجهلهم، وقلة عقولهم، وجفائهم، وغلظتهم، وفجور كثير منهم»[2].

وروي عن الباقر عليه الصلاة والسلام قوله: «كان علي بن أبي طالب «عليه السلام» عندكم بالعراق، يقاتل عدوه، ومعه أصحابه، وما كان خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته، وحق معرفته إمامته..»[3].

وأما فيما يرتبط بالأسباب التي نشأت عنها هذه الحالة، فهي كثيرة، ونشير هنا إلى بعضها:

قريش.. وحقدها..

إن ذلك النشاط الواسع، الذي كانت تقوم به قريش، ومن يدور في فلكها من الصحابة، وغيرهم، وبالأخص الأخطبوط الأموي، في

---

(1) صفين ص521 والكامل في التاريخ ج3 ص322 والمعتزلي ج2 ص240.
(2) البداية والنهاية ج7 ص317 وراجع ج8 ص11 أعني قوله «عليه السلام»: إني مللتهم وملوني الخ.
(3) اختيار معرفة الرجال ص6.

مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، والرامي إلى تأليب الناس ضد علي «عليه السلام»، وصرفهم عن تأييده ونصره ـ إن ذلك ـ ليدل على مدى حقدهم على علي «عليه السلام» وكرههم لأمره.

وقد كانت قريش على درجة عالية من التمرس في حياكة المكائد، وفي مكر السياسة، وكانت تتمتع بدرجة عالية من النفوذ بين الناس عموماً لأسباب عديدة، ليس هنا محل بحثها..

وسبب حقدها هذا على علي «عليه السلام» يرجع إلى أمور كثيرة، فهو قد قتل في حرب بدر من رجالها وصناديدها نصف السبعين، وشارك في قتل النصف الآخر[1]، الذين كانوا كأن وجوههم سيوف الذهب، على حد قول عثمان لعلي «عليه السلام» مباشرة[2].

هذا.. بالإضافة إلى حسدها القوي له «عليه السلام»، وبغيها عليه، لما كان يتمتع به من فضائل ومزايا؛ ثم العناية الخاصة التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» يوليه إياها.. ولأمور أخرى.. وقد ذكر ذلك أبو الهيثم ابن التيهان رحمه الله تعالى، في كلام له هام وجيد[3] فليراجع.

كما أن الثقفي يقول: «كانت قريش كلها على خلافه مع بني

---

(1) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج3 ص202 - 204.

(2) معرفة الصحابة لأبي نعيم، مخطوط في مكتبة: طوب قبوسراي رقم 497/1/أ الورق22. وشرح النهج للمعتزلي ج9 ص23 والجمل ص99.

(3) راجع: الأوائل، لأبي هلال العسكري ج1 ص316 و 317.

أمية»[1].

وأمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه قد أعلن في مناسبات كثيرة عن عداء قريش له، وتصغيرها عظيم منزلته، وبغيها عليه، وسعيها إلى نقض أمره، وتمييع قضيته، والنصوص في هذا المجال كثيرة[2] ورسالة علي «عليه السلام» لأخيه عقيل التي يقول فيها: إن قريشاً أجمعت على حربه إجماعها على حرب رسول الله الخ.. هذه الرسالة خير شاهد على ذلك[3].

ولا يجب أن ننسى هنا دعايات معاوية وحزبه ضده «عليه السلام»، فقد كان يتهمه ـ مثلاً ـ بأنه كان حاسداً للخلفاء قبله، باغياً عليهم، وأنه كان يقاد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش[4].

وأنه لم يزل من أول الأمر معجباً بنفسه، مدلاً بقرابته، لا يرى لغيره حقاً في الخلافة.

---

(1) الغارات ج2 ص569.

(2) راجع: نهج البلاغة، شرح عبده، الرسالة رقم36 وقسم الخطب رقم 212 و 32 و 137 وشرح النهج للمعتزلي ج6 ص96 وج2 ص119 والغارات ج1 ص309 وج2 ص454 و 429 و 430 وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج2 ص74 فما بعدها، والبحار ط قديم ج8 ص621. وكتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج1 ص175 و 176 للاطلاع على مصادر أخرى. والإمامة والسياسة ج1 ص155.

(3) المعيار والموازنة ـ ص180.

(4) نهج البلاغة، الرسالة رقم 28.

وأنه كان هو السبب في مقتل عثمان[1]، إلى غير ذلك من دعايات مغرضة، تهدف إلى إبعاد الناس عنه، والحط منه «عليه السلام»، والنيل من شخصيته.

خلاصة جامعة:

ونستخلص من كلماته عليه الصلاة والسلام المتقدمة أموراً كثيرة، ونستطيع أن نجملها على النحو التالي:

1 ـ بالنسبة إلى إمامهم، وتعاملهم معه نجد:

ألف: أنهم يعصونه في الحق، ولا يطيعونه إذا أمرهم أو دعاهم، ولا يسمعون قوله، ولا يجيبون صرخته، واستغاثته.. حسب التعبيرات المختلفة التي وردت عنه «عليه السلام»..

ب: إنهم قد ملوا قائدهم، وإمامهم وسئموه.

ج: إنهم يصدرون الأوامر والنواهي لأميرهم..

2 ـ وأما بالنسبة لأمر الجهاد فإنهم:

ألف: قد أصبحوا غرضاً يرمى، يغار عليهم، ولا يغيرون، ولا يُغزَونَ، ولا يغزون، كثير في الباحات قليل تحت الرايات.

ب: إذا أمروا بالجهاد، يتعللون بالمعاذير، بالحر تارة، وبالبرد أخرى.

ج: إنهم يصابون ـ إذا أمروا بالنفر إلى الجهاد ـ بالذعر والخوف.

---

(1) راجع ذلك في نهج البلاغة، قسم الكتب تحت رقم 48 ط الدار الإسلامية وط1 سنة 1414 ونفس المصدر كتاب رقم 57 من نفس الطبعة.

د: كلامهم يوهي الصم الصلاب، وفعلهم يطمع فيهم الأعداء.

هـ: يؤثرون البقاء على لقاء الله والجهاد في سبيله.

و: إن حوربوا خاروا وإن أمهلوا خاضوا.

3 - بالنسبة إلى حالتهم مع بعضهم البعض فإنهم:

ألف: متفرقون عن حقهم.

ب: إن أمهلوا خاضوا.

ج: أهواؤهم مختلفة.

د: هم كإبل ضل رعاتها، كلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

هـ: صاروا بعد الموالاة أحزاباً، حيث يظهر: أن المقصود هو أنهم أصبحوا شيعاً وأحزاباً متدابرين، بعد أن كانوا يداً واحدة يوالي ويحب بعضهم بعضاً.

4 - وأما بالنسبة للدين والتدين فإنهم:

ألف: يرضون بمعصية الله سبحانه ويرون عهود الله منقوضة ولا يأنفون، ولكنهم يأنفون لنقض ذمم آبائهم.

ب: لا يعرفون الحق كمعرفتهم الباطل، ولا يعرفون من الإيمان إلا اسمه.

ج: لا يبطلون الباطل كإبطالهم الحق.

د: هم نساك بلا صلاح.

هـ: قد ثلموا حصن الله المضروب عليهم بأحكام الجاهلية.

و: قد قطعوا قيد الإسلام، وعطلوا حدوده، وأماتوا أحكامه.

ز: ما يتعلقون من الإسلام إلا باسمه.

5 - وحول مقدار وعيهم، وإدراكهم لمقتضيات الحكمة.

ألف: أيقاظ نوّم، وشهود غيب، وناظرون عمي، وسامعون صم، وناطقون بكم، أبدانهم شاهدة، وعقولهم غائبة عنهم.

ب: هم أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح.

ج: كأن عقولهم مألوسة، فهم لا يعقلون.

د: ليسوا برجال، بل لهم عقول ربات الحجال.

هـ: لهم حلوم الأطفال.

ثم إنه بقيت لهم أوصاف أخرى، نجملها على النحو التالي:

6 - إنهم يخونون أمانة صاحبهم، حتى لو أؤتمن أحدهم على قعب لخشي «عليه السلام» أن يذهب بعلاقته.

7 - إنهم يفسدون في بلادهم.

8 - ما هم بركن يمال إليه.

9 - ليسوا زوافر عز يفتقر إليهم.

10 - تجار بلا أرباح.

11 - صاروا بعد الهجرة أعراباً.

ولعل مراجعة وافية لكلماته صلوات الله وسلامه عليه تعطينا المزيد مما يوضح حقيقة حالهم، وما آل إليه أمرهم.

ولكن ما ذكرناه يكفي للإلماح إلى ما نريد.

هذا.. وقد نجد في الفصل التالي بعض التوضيح لما ذكره عليه الصلاة والسلام في بيان الحال التي هم عليها.

بقي علينا أن نشير إلى أنه بالنسبة لقريش، وسائر العرب وموقفهم منه عليه آلاف التحية والسلام، فإن ذلك يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي، لعوامله وأسبابه، وبوادره، وآثاره نأمل أن نوفق لذلك في الموقع المناسب إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني:

المجتمع والحرب

العراق.. بعد الفتح: نظرة عامة:

لقد فتح العراق في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؛ ليواجه الحياة العسكرية، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، حيث أخذ على عاتقه مهمة تأمين القوى الكافية للفتوحات، وتحمل الكثير من النفقات التي تتطلبها الحروب المتوالية.

كما أنه قد كان على العراق أن يتقبل شاء أم أبى كل تلك الآثار النفسية والاجتماعية، التي ترافق حياة هذا طابعها.

هذا بالإضافة إلى عدم توفر عناية كافية، ممن سبقوا أمير المؤمنين «عليه السلام» بالتربية الإسلامية، والتأهيل لاستيعاب التعاليم الإلهية، ثم التفاعل معها بالشكل المناسب والمقبول؛ بحيث يتحول ذلك في داخلهم إلى طاقة عقائدية، تشحن وجدان الإنسان وضميره بالمعاني السامية والنبيلة، ولينعكس ذلك من ثم على كل سلوكه ومواقفه، وتغني روحه وذاته بالقيم والمعاني الإسلامية السامية، وتؤثر في صنع ثم في بلورة خصائصه الأخلاقية على أساس تلك المعاني التي فجرتها العقيدة في داخل ذاته، وفي عمق ضميره..

وبعد كل ذلك الذي قدمناه.. فإن من الطبيعي أن يصبح الجهل الطاغي والروح القبلية، والمفاهيم الجاهلية، والمآرب والأهواء الشخصية ـ كل ذلك ـ هو الطابع العام، المميز للحياة العامة، ولاسيما على مستوى الزعامات القبلية آنئذٍ.. مع فارق وحيد هو: أن كل ذلك أصبح يتلون ويتلبس بالدين، يستفيد منه في التمرير والتبرير، والدين من ذلك كله بريء.

بل.. إنه قد يكون أحياناً عارياً عن أي لون أيضاً.

وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى هيمنة المفاهيم الجاهلية على عقليات وتصورات السواد الأعظم في المجتمع العراقي، حينما قال: «**وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية**»(1).

وتقدمت نصوص أخرى تشير إلى ذلك أيضاً في الفصل السابق، فلتراجع.

فالعامل الثقافي الناقص والمنحرف، والمتأثر بالمفاهيم الجاهلية، التي كانت تهيمن على عقلياتهم وتصوراتهم، بالإضافة إلى عدم توفر العمق الإيماني لديهم إلا في حدود العواطف والأحاسيس التي كانت تتلون بالإيمان، وتتجلى بمظهره. كان هو السمة المميزة للمجتمع العراقي في تلك الفترة.

الفتوحات، والغنائم:

---

(1) نهج البلاغة، الخطبة رقم (192) بترقيم المعجم المفهرس للدشتي.

وإذا كان العراقيون يتحملون أعباء الفتوحات، ليس بالنسبة إلى الدولة الكِسروية وحسب، وإنما بالنسبة إلى بلاد الشام وفلسطين، وسائر المناطق ـ فإن من الطبيعي أن يهتموا كثيراً ـ ولاسيما على مستوى القيادات فيهم ـ بالحصول على المزيد من الغنائم والسبايا، فصار لدى البعض منهم ثروات وفيرة، وجواري وحسناوات كثيرة. الأمر الذي من شأنه أن يجعلهم أقل تحمساً لمعاناة الحروب الطويلة، التي يواجه الإنسان فيها المزيد من شظف العيش، وقسوة الحياة، ومشاق المتاعب العظيمة والأخطار الجسيمة.. ما دام أنه يمكن تأمين تلك المطالب، والحصول على تلك الرغائب عن طريق الغارات السريعة، والحروب الخاطفة.

ومن الشواهد التي تشير إلى أن تلك الأطماع والشهوات كانت تمثل دافعاً مهماً لهم لخوض الحروب وشن الغارات، ما روي، والنص للطبري من أنه:

«بعث عتبة بن أنس بن حجية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان، فقال له عمر: كيف المسلمون؟!

قال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذهب والفضة.

فرغب الناس في البصرة، فأتوها!!»[1].

ومن الطريف أن نشير هنا إلى أن بعض العرب ما كانوا يفرقون الذهب من الفضة، ولا الكافور من الملح.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج3 ص93 وفجر الإسلام ص180 عنه، والكامل في التاريخ ج2 ص488 والأخبار الطوال ص117.

قال الدينوري، وهو يتحدث عن المسلمين في فتح المدائن:

«وقعوا على كافورٍ كثير، فظنوه ملحاً فجعلوه في خبزهم، فأمرّ عليهم.

وقال مخنف بن سليم: لقد سمعت في ذلك اليوم رجلاً ينادي: من يأخذ صحفة حمراء، بصحفة بيضاء، لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي»[1].

وثمة نصوص كثيرة في هذا المجال أوردنا طائفة منها في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» في عهد الرسول والخلفاء الثلاثة بعده، حين الحديث عن الفتوحات، وآثارها فليراجعه من أراد.

تربية الجواري للناشئة:

وبعد، فإن تربية تلك الجواري والحظايا للناشئة المسلمة، وهنّ لا يملكن المعرفة الكافية بالإسلام وتعاليمه، ولا لديهن القدر الكافي من الإيمان به، أو الالتزام بتعاليمه قد كان من شأنه أن يقلل من نسبة الالتزام الديني عند ذلك النشئ، ويجعل من الإسلام مجرد ظواهر وطقوس جامدة لا أكثر.

فراجع ما كتبناه حول هذا الموضوع أيضاً في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه الصلاة والسلام.

وقد كان رجل من نهاوند اسمه دينار يقدم الكوفة أحياناً، فقدمها

---

(1) الأخبار الطوال ص127.

في أيام معاوية فقام في الناس: فقال: «يا معشر أهل الكوفة أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع: بخل، وخب، وغدر، وضيق. ولم يكن فيكم واحدة منهن، فرمقتكم فإذا ذلك في مولديكم، فعلمت من أين أتيتم، فإذا الخب من قبل النبط، والبخل من قبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز»[1].

المجتمع العراقي.. والحرب:

بعد ما تقدم نقول:

إننا إذا أردنا أن لا نكون مقصرين في دراستنا للأمور، فإن علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار الأمور التالية:

1 ـ قضية علي عليه السلام لا تعنيهم:

إن رؤساء القبائل الذين كانوا يتحكمون بقرار المشاركة في الحروب لمن يأتمرون بأمرهم، قد حاربوا مع أمير المؤمنين عدواً

---

(1) حياة الشعر في الكوفة ص155 عن تاريخ الأمم والملوك للطبري، ويذكر الطبري أن المهاجرين والأنصار في فتوح السواد تزوجوا في أهل الكتابين حياة الشعر 146 عن الطبري 2374/5/1 ويقول بعضهم: "شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساء أهل الكتاب ونحن لا نجد كثير مسلمات" حياة الشعر 146 عن الطبري 2375/5/1 وقد أمر عمر حذيفة أن يطلق امرأة من أهل الكتاب كان قد تزوجها وذلك بعد أن ولاه المدائن. حياة الشعر146 عن الطبري 2374/5/1 و 2375.

يرون أنه ـ حسب معاييرهم ـ عدو له. قبل أن يصبح عدواً لهم. وقد يجدون قواسم مشتركة كثيرة تسهل عليهم الإلتقاء مع ذلك العدو، والوصول معه إلى حلول أو أنصاف حلول.

إنها حروب لم تكن تعنيهم كثيراً، ولا تمثل لهم قضية يرون أنفسهم ملزمين بالدفاع عنها، والحفاظ عليها.

وحتى حين يدركون أن ثمة استهدافاً خطيراً لهم، فإنهم يفهمون القضية على أساس أنها دفاع عن أشخاصهم هم، أو عن شخص علي «عليه السلام»، لا عن قيم ومثل عليا. فما كان يقاتل من أجله علي «عليه السلام» يختلف في مضمونه عما يقاتل من أجله أصحابه.

2 ـ لا غنائم ولا سبايا:

إنهم حين يتخذون قرار الحرب هذا، ويشاركون بالفعل فيها، وتقتل رجالهم، وتتفانى صناديدهم، ويعرضون علاقاتهم القبلية والتجارية وغيرها لأخطار حقيقية، ولنكسات وتعقيدات.. فإنهم لا يرون في مقابل كل ذلك أي نفع مادي ملموس، يمكن أن يعوض عليهم بعض تلك الخسائر بنظرهم.

إنها حروب داخلية، لا غنائم فيها، ولا سبايا، بل فيها مصائب وبلايا، وخسائر، على الصعيد المادي والدنيوي، الذي هو العنصر الشاخص في حسابات الربح والخسارة لديهم.

فبملاحظة هذا وذاك لماذا إذن لا يمنّون على علي وعلى أهل بيته «عليهم السلام»، بما يقدمونه من تضحيات، مادام أنهم أصحاب الفضل عليهم بحسب فهمهم للأمور، وطبيعة تعاطيهم معها.

3 ـ هيمنة المشاعر القبلية ومفاهيم الجاهلية:

ومن الأمور التي تشير إلى مدى إسفافهم في التفكير. وهيمنة المشاعر القبلية، والمفاهيم الجاهلية عليهم، ما ذكر من «أن أهل الكوفة في آخر عهد علي «عليه السلام» كانوا قبائل. فكان الرجل يخرج من منزل قبيلته، فيمر بمنازل قبيلة آخرى؛ فينادي باسم قبيلته: يا للنخع، أو يا لكندة؛ فيتألب عليه فتيان القبيلة، التي مرّ بها؛ فينادون: يا لتميم، ويا لربيعة. ويقبلون إلى ذلك الصائح، فيضربونه، فيمضي إلى قبيلته، فيستصرخها، فتسل السيوف وتثور الفتنة»[1].

4 ـ حقيقة إخلاص القيادات:

إن القيادات العشائرية العراقية لم تكن مخلصة، ولا بعيدة النظر في ما يرتبط بالأمور السياسية، وغيرها. وقد سأل المختار أحدهم عن الناس في الكوفة، فأجاب: «هم كغنم ضل راعيها. فقال المختار: أنا الذي أحسن رعايتها، وأبلغ نهايتها»[2].

وقد سهّل ذلك ظهور قيادات جديدة، تكرس انقسامات يبعثها الجهل، أو الهوى، وما إلى ذلك. ويتأكد ذلك حين يكون ثمة واقع يريدون الخروج منه، أو الوصول إليه، كما كان الحال في صفين حين ضرستهم الحرب، وتأكدت لديهم الشبهة التي جاءت موافقة

(1) شرح نهج البلاغة ج3 ص239 وحياة الشعر في الكوفة ص182.

(2) حياة الشعر في الكوفة ص133 عن تاريخ الأمم والملوك ج2 ـ ق1 ـ ص531 و 532.

لهوى النفس برفع المصاحف. فنتج عن ذلك وقوعهم في مأزق حين لم يجدوا في أنفسهم ولا في تلك القيادات العشائرية قدرة على استيعاب حركة الواقع، لا من موقع الوعي الصحيح، ولا من موقع الهدف الرسالي. بل وقعوا في متاهات فرضتها استجاباتهم لدوافع غير رسالية، وغذاها جهل، وخواء فكري ومعرفي، وتنكب لصراط الوعي والعلم الصحيح.

5 ـ رقابة علي تهدد مصالحهم:

بل إن هؤلاء الناس يرون أو يرى كثير منهم: أنهم في ظل حكم علي «عليه السلام»: أن امتيازاتهم مهددة في ظل الرقابة الصارمة لعلي «عليه السلام»، وملاحقته لأدق الأمور، وكان يأخذهم دون هوادة بمر الحق، ويحملهم على المحجة الواضحة.

6 ـ تقلبات وضغوطات مضعفة:

ولقد كان لتلك القبائل دور رئيس في الفتوحات، جعلهم يشعرون بمزيد من الزهو، والاعتداد بالنفس، حتى إنهم كانوا كلما عنّ لهم عزل حاكم، يبادرون إلى ممارسة الضغوط على مركز القرار، ويجبرون الخليفة في المدينة على عزله، ويكون لهم ما يريدون.

7 ـ الإرباك بسبب قتال أهل الإسلام:

لقد أصبح العراقيون لأول مرة يواجهون، ويحاربون جماعات تحمل اسم الإسلام وتدّعي الأخوة في الدين وهذا ما يجعلهم يعيشون

حالةٌ من الإرباك النفسي تجاه هذا الأمر.

ولولا أن شخصية علي «عليه السلام»، والتحاق كبار الصحابة به، ومناصرتهم له قد تركت آثارها على الواقع برمته، فلربما كان للعراقيين موقف آخر وحديث آخر في هذا المجال..

فإن مناصرة صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» له «عليه السلام» قد رسخ ما له من قداسة في نفوس الكثيرين.. ولم يجد المتضررون، وضعفاء الإيمان ذريعة يواجهونه بها، حتى جاءت قضية التحكيم، التي أعطتهم الفرصة للإعلان بما تكنه نفوسهم. فظهرت حيكة النفاق، وجهروا بمعارضتهم له، وأثاروا الشكوك والشبهات.

ومما زادهم جرأة، وتوغلاً في التيه ما رفعه المعترضون على التحكيم من شعارات رنانة مثل شعار: «لا حكم إلا لله». رغم أن علياً لم يخرج على هذا الشعار في مسألة التحكيم، وإنما هو قد رسخه، والتزم وألزم أعداءه به.

ولم يستطع الكثير من العراقيين تمييز الحق عن الباطل في ذلك كما هو معلوم.

8 ـ لا معايير تحمي من الشعارات:

وإن من الأمور التي أعطت الفرصة لتلك الشعارات لتترك أثرها غير المنطقي على الواقع العام، هو أن العراقيين ما كانوا يملكون معايير وضوابط فكرية، وعقيدية تحميهم من تأثيراتها الناشئة عن فهمها الخاطئ لتلك الشعارات، وذلك لأن الخلفاء السابقين على علي

«عليه السلام» إنما فتحوا أعين العراقيين على الغنائم والسبايا، مع الاكتفاء منهم بظاهر الدين، الذي يقتصر على ممارسة الطقوس من دون وعي لمضامينها ولا لأهدافها. ومن دون الاهتمام بالتأسيس الفكري والعقيدي لها. وتحصين الناس من آثار الجهل والسطحية، والغباء.

9 ـ الخليط غير المتجانس:

ثم إن المجتمع العراقي كان عبارة عن مجموعات مختلفة في انتماءاتها العشائرية، والعرقية، وفي ثقافاتها، وتفكيرها، وتاريخها. فهنالك العربي، والفارسي، والنبطي، والحجازي، واليماني، كما أن فيهم البدوي والحضري، والمسلم وغير المسلم، وغير ذلك من فئات جاءت من مناطق شتى، ولها ميزات، وخصائص متفاوتة.

أضف إلى ذلك: أنهم لم يتربوا على يد زعيم واحد، يغذيهم بفكره، ويطبعهم بمنهجه، ويؤثر في نفوسهم وطبائعهم، وعقولهم. ولم يكن لهم آمال مشتركة ولا هموم متجانسة، ولا ثقافات منسجمة.

ولم يكن زعماؤهم ـ العشائريون، وغيرهم يملكون مستوى ثقافياً مقبولاً، وحتى لو كان، فإنهم ما كانوا يهتمون برفع مستواهم الثقافي إلى درجة تمكنهم من وعي الأمور، وتفهمها من منطلقات صحيحة وسليمة. موافقة للعقل وللفطرة، وللمبادئ الإنسانية والإسلامية.

10 ـ الخسائر في الحروب:

إن هذه الحروب قد كانت لها آثار كبيرة على مختلف شرائح

المجتمع العراقي.. لا سيما مع طول أمدها، ومع ما حملته من ويلات وخسائر كبيرة في الأرواح قد تصل إلى عشرات الألوف، ففي صفين بلغت الخسائر خمسة وعشرين ألفاً من جيش علي «عليه السلام»، وخمسة وأربعين ألفاً من جيش معاوية[1] بالإضافة إلى عشرات ألوف أخرى من القتلى ـ في حرب الجمل.

11 ـ العرب والموالي:

وقد بلغت المشاعر القبلية، والروح العشائرية حداً جعل البعض يقول: غلب على الكوفة طابع الحياة الجاهلية[2].

وحتى الشعبي الذي يفترض أن يكون على درجة من الوعي، وأن ينأى بنفسه عن حالات التعصب غير المقبول إسلامياً وإنسانياً، وأخلاقياً. إن الشعبي هذا الذي كان قاضي الكوفة في عهد عمر بن عبد العزيز، يصرح بما تكنه نفسه، من أن الموالي بغضوا إليه المسجد، حتى تركوه أبغض إليه من كناسة داره[3].

ويريد الشعبي بالمسجد هنا المسجد الكبير في الكوفة، بحكم كونه قاضيا في ذلك البلد، ويفترض فيه أن تكون صلاته في ذلك المسجد. وإذا به يوجه إهانة وقحة جدا لذلك المكان المقدس!! نعوذ بالله من

---

(1) راجع صفين للمنقري ص558.

(2) حياة الشعر في الكوفة ص181 عن شوقي ضيف في كتابه: التطور والتجديد في الشعر الأموي ص80 و 81.

(3) طبقات ابن سعد ج6 ص175 وحياة الشعر في الكوفة ص170.

الزلل في القول والعمل..

ولم يقتصر الأمر على هذا المسجد، بل إن مسجداً آخر في الكوفة كان قد بلغ من ظهور شخصية الموالي فيه أن أصبح حوالي منتصف القرن الثاني يقال له: مسجد الموالي(1).

وكان الجيش الذي أرسله المختار ليمكر بابن الزبير مؤلفاً من ثلاثة آلاف رجل أكثرهم من الموالي، ليس فيهم من العرب إلا سبع مئة(2).

كما أن عدد الموالي الذين حاربوا في صفوف ساداتهم مع ابن الأشعث قد بلغ مئة ألف(3).

وكتب سعيد بن العاص لعثمان بن عفان بعد سنة ثلاثين للهجرة:

«..إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغُلب أهل الشرف منهم والبيوتات، والسابقة، والقدمة.

والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي شرف، ولا بلاء من نازلتها، ولا نابتتها»(4).

---

(1) حياة الشعر في الكوفة ص170 عن تاريخ الأمم والملوك ج3 - ق1 ص295.

(2) حياة الشعر في الكوفة ص168 عن تاريخ الأمم والملوك ج2 - ق2 ص289.

(3) حياة الشعر في الكوفة ص168 عن تاريخ الأمم والملوك ج2 ص1072.

(4) حياة الشعر في الكوفة ص161 عن تاريخ الأمم والملوك ج1 - ق5 ص2852.

ويذكر البعض: أن الموالي في الكوفة كانوا أكثر من نصف سكانها[1].

ويذكر ابن مطيع أنه كان مع المختار خمسة مئة من مواليهم، وأنهم قد أمروا عليهم أميراً منهم[2].

وكان أبو عمرو بن العلاء، يقول لأهل الكوفة: «لكم حذلقة النبط، وصلفهم»[3].

خلاصة.. وبيان:

وبعد ما تقدم نقول: إن الواقع الذي كان يعيشه الشعب العراقي لم يكن في صالح أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكن قد كان على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يستفيد من هذه القوى المتوفرة لديه قدر الامكان فلم يكن لديه خيار آخر، إذ لا مجال لأن يأتي بالملائكة مثلاً ليحاربوا الطغاة والمتجبرين من أجل إقامة هذا الدين.

وهذا بالذات هو ما واجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث كان لا بد له من أن يستفيد من القوى المتوفرة، من موقع الهيمنة والرقابة، على أن يمارس أمر الإصلاح تدريجاً بالصورة المناسبة والمجدية.

---

(1) حياة الشعر في الكوفة ص168.

(2) حياة الشعر في الكوفة ص168 عن تاريخ الأمم والملوك ج2 - ق2 ص627.

(3) حياة الشعر في الكوفة ص154 عن البيان والتبيين ج2 - ص106.

كما أن الأمر قد استمر على هذه الحال، إلى ما بعد وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام»، فابتلي الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه بنفس هذه التركيبة العراقية، **التي يصورها لنا النص التالي:**

«خف.. ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه.

وبعضهم محكمة (أي خوارج)، يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة.

وبعضهم أصحاب فتن.

وطمع في الغنائم.

وبعضهم شكاك.

وأصحاب عصبية، اتبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين»[1].

---

(1) راجع: أعيان الشيعة ج1 ـ ص568 وكشف الغمة للإربلي ج2 ـ ص165 والإرشاد للمفيد ص193.

الفصل الثالث:

تأثير سياسات عمر في العراقيين

التمييز العرقي:

وإذا كان العراق على اتصال مباشر بغير العرب، قبل الإسلام وبعده؛ فإنه ولاشك قد أصبح يتميز بحساسية خاصة، تجاه أي شيء من شأنه أن يضرب على وتر التمييز العرقي، وإعطاء الامتيازات لفريق دون فريق على أساس الاختلاف في الانتماءات العرقية.

كما أنهم بعد أن قتلوا من غير العرب، وقتل غير العرب منهم، فسيصبحون أكثر حساسية تجاه من سفكوا دماء أحبائهم بالأمس. وتتأكد وتبرز هذه الحساسية حين يعيش الجميع في بلدٍ واحد، ويواجه بعضهم بعضاً يومياً، ولسوف يجعل تلك الحساسية تتنامى وتتعاظم باستمرار. كلما حصل أي احتكاك ولأي سبب كان..

ولعل تولي أبي موسى الأشعري عليهم في عهد عمر بن الخطاب، وفي السنين الأخيرة من عهد عثمان، وهو الرجل الذي كان عمرياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى وهذه هي سياسة عمر ونظرته إلى الموالي ـ لعل توليه عليهم ـ قد ساعد على تركيز هذه الأحاسيس، وهذه السياسات فيهم إلى حد كبير.

وما ذلك.. إلا لأن من يتبنّى أمراً كهذا لسوف يجد آذاناً صاغية، ونفوساً مهيأة، ومستعدة لمتابعة هذا الخط وحمايته، حيث إنه ينسجم

كل الانسجام مع تلك العواطف والرغبات.

قلة من كان مع علي عليه السلام:

ولأجل ذلك نجد: أن الناس كانوا يحافظون على خط الخلفاء الذين سبقوا أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويلتزمون بمنهجهم، حتى ليقول «عليه السلام»، وهو يتحدث عن أمور يرغب في إزالتها:

«..لو حملت الناس على تركها، وحولتها إلى مواضعها، وإلى ما كانت في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتفرق عني جندي، حتى أبقى وحدي، وقليل من شيعتي، الذي عرفوا فضلي، وفرض إمامتي..»[(1)].

وهذا النص يفيدنا: أنه عليه الصلاة والسلام كان في قلة قليلة، ممن كانوا يعرفون فرض إمامته وفضله وسيأتي المزيد مما يدل على ذلك أيضاً. كما أنه يدلل بصورة واضحة على شدة تمسك الناس بسنة الذين سبقوه، مهما كانت مخالفة لما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وللأحكام الإسلامية الثابتة بصورة قطعية.

عظمة عمر بن الخطاب في العرب:

ومهما يكن من أمر.. فإن الخليفة الثاني كان ـ ولاشك ـ يتمتع بعظمة خاصة في نفوس الناس عامة، والعراقيين بالخصوص.

ولعل من أسباب ذلك سياساته القاضية بتمييز العرب على

---

(1) الكافي ج8 ص59 و 63.

غيرهم، وسياساته في العطاء، بالإضافة إلى أنه قد كان ثمة نشاطات واسعة يقوم بها أشياعه ومحبوه، الذين هم بصورة طبيعية خصوم لعلي وأهل بيته «عليهم السلام» ـ تلك السياسات كانت تهدف إلى إظهار مدى شدة تحري عمر للحق، وحرصه على العدل على أوسع نطاق.

خطة معاوية في مواجهة علي عليه السلام:

وقد كان من خطة معاوية إشاعة وترويج الفضائل للشيخين وتعظيمهما، ويقول: «فإن ذلك أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله»[1].

ولعل السبب هو أن علياً «عليه السلام» سوف لا يوافق على انسياق الناس وراء سياسات انتهجها الخلفاء، مهما اشتدت مطالبتهم له بذلك، ولسوف يوجب ذلك له الكثير من المشاكل والعقبات.

هذا عدا عن أنه كان يسعى إلى أن يظهر علياً «عليه السلام» على أنه هو السبب في مقتل عثمان، ويتهمه بأنه كان معجباً بنفسه، مدلاً بقرابته من الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأنه كان لا يرى حتى لأبي بكر، شيخ مشيخة الصحابة بزعمه، وصاحب الغار حقاً في الخلافة، ولذا كان علي «عليه السلام» بزعمه ـ يحقد على أبي بكر ومن لف لفه من الصحابة، ويبغي لهم الغوائل، حتى أثرت مشاغباته!! وأدت إلى مقتل عثمان المظلوم؛ فهو «عليه السلام» كان

(1) النصائح الكافية ص72 و 73 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص44.

من أول الأمر من المفسدين ـ والعياذ بالله ـ حتى لقد قال معاوية له «عليه السلام»: «أفنسيت أنك كنت تقاد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش»؟[1].

نعم.. هكذا كان معاوية يثير الشبهات في أذهان الناس، ويعمل على الحط من علي «عليه السلام»، وإثارة الناس ضده.

معاناة علي عليه السلام:

ولمزيد من التوضيح نقول:

ألف: إنه يكفي أن نذكر: أنه قد بلغ من عظمة عمر بن الخطاب في العرب: أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» لم يستطع أن يمنع جنده من صلاة التراويح، قال «عليه السلام»:

«..وتنادى بعض أهل عسكري، ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري»[2].

وفي نص آخر: أنهم سألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان، فزجرهم، وعرفهم: أن ذلك خلاف السنة، فتركوه، واجتمعوا لأنفسهم، وقدموا بعضهم؛ فبعث إليهم ولده الحسن ليفرقهم؛ فلما رأوه تبادروا إلى أبواب المسجد، وصاحوا: وا عمراه[3].

---

(1) تقدم النص عن نهج البلاغة، راجع المصدر السابق.

(2) الكافي ج8 ص59 و 63.

(3) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج2 ص283 وج1 ص269 والصراط

ولعل أول من صاح بذلك هو قاضيه شريح[1].

ب: وحينما أراد أن يعزل شريحاً عن القضاء، قال له أهل الكوفة: «لا تعزله، لأنه منصوب من قبل عمر، وقد بايعناك على أن لا تغير شيئاً قرره أبو بكر وعمر»[2].

وواضح: أنه لم يكن ثمة شرط من هذا القبيل، وإنما هم يعبرون عما استقر في أنفسهم، وعقدوا عليه عزمهم.

ج: وقال الأشعث بن قيس لأمير المؤمنين «عليه السلام» بالنسبة لإرسال أبي موسى الأشعري إلى التحكيم: «..وهذا أبو موسى الأشعري، وافد أهل اليمن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصاحب مغانم أبي بكر، وعامل عمر بن الخطاب»[3].

وذكر ابن أعثم أن عمرو بن العاص خطب يوم التحكيم، فكان مما قال: «أيها الناس، هذا عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري،

المستقيم ج3 ص26 وتلخيص الشافعي ج4 ص58 والبحار ـ ط قديم ج8 ص284 وراجع: الجواهر ج21 ص337 والوسائل باب 10 من أبواب نافلة شهر رمضان، كتاب الصلاة.

(1) رجال المامقاني ج2 ص83.

(2) رجال المامقاني ج2 ص83.

(3) الإمامة والسياسة ج1 ص230 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج2 ص231 وصفين ص502. وفيه: أن ابن الكوارء هو الذي قال ذلك. وفي الفتوح لابن أعثم ج4 ـ ص2: أن الأشعث والذين صاروا خوارج فيما بعد قد قالوا ذلك.

وافد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعامل عمر بن الخطاب، وحكم أهل العراق، وقد خلع صاحبه الخ..»[1].

د: ويذكرون أيضاً: أن ابن عباس، قد أشار على أمير المؤمنين «عليه السلام» بإبقاء معاوية على الشام، واحتج لذلك بقوله: «فإن عمر بن الخطاب ولاه الشام في خلافته»[2].

وحينما عاتب أمير المؤمنين «عليه السلام» الخليفة الثالث عثمان بن عفان في أمر تولية معاوية للشام، قال له عثمان: «أنكرت علي استعمال معاوية، وأنت تعلم: أن عمر استعمله؟

قال علي «عليه السلام»: نشدتك الله، ألا تعلم: أن معاوية كان أطوع لعمر من يرفأ غلامه؟ إن عمر كان إذا استعمل عاملاً وطأ على صماخه الخ..»[3].

وفي نص آخر: أن عثمان قال له: «ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة، وليس هناك؟

قال: نعم.

قال: أولم يولّ معاوية؟

قال علي: إن معاوية كان أشد خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ. وهو

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص31 والأخبار الطوال ص210 وعن تاريخ الأمم والملوك.

(2) الفصول المهمة لابن الصباغ ص49.

(3) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج9 ص24.

الآن يبتز الأمور دونك الخ..»[1].

هذا.. وقد احتج معاوية نفسه على صعصعة وأصحابه بنصب عمر له؛ فليراجع[2].

وقد شجع بسر بن أبي أرطأة معاوية على الصبر والثبات، فكان مما قال: «فإنك كاتب النبي «صلى الله عليه وآله» وعامل عمر بن الخطاب، وولي الخليفة المظلوم عثمان»[3].

وفي حرب الجمل أيضاً:

هـ: بل إن طلحة والزبير، اللذين قاتلا أمير المؤمنين «عليه السلام» بأهل البصرة العراقيين، حينما قال لهما «عليه السلام»: «..ما الذي كرهتما من أمري، ونقمتما من تأميري، ورأيتما من خلافي؟!

قالا: خلافك عمر بن الخطاب، وأئمتنا وحقنا في الفيء الخ..»[4].

---

(1) أنساب الأشراف ج5 ـ ص60 والكامل لابن الأثير ج3 ـ ص152 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج3 ص377 وتاريخ ابن خلدون ج2 ـ قسم2 ص143 والغدير ج9 ـ ص160 عنهم وعن تاريخ أبي الفداء ج1 ص168 والنصائح الكافية ص174.

(2) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج3 ص316 والكامل لابن الأثير ج3 ص143 والغدير ج9 ص35 شرح النهج المعتزلي ج1 ص158 و 160 تاريخ ابن خلدون ج1 ص387 و 389 وعن تاريخ أبي الفداء ص168.

(3) الفتوح لابن أعثم ج3 ص209.

(4) المعيار والموازنة ص113.

و: ونادى أصحاب الجمل أيضاً بأمير المؤمنين: «أعطنا سنة العمرين»[1].

عظمة عمر لدى الخوارج:

ز: وقال الخوارج لقيس بن سعد: «لسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال: والله ما نعلم على الأرض مثل عمر، إلا أن يكون صاحبنا».

وحسب نص الطبري: «ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم»؟![2].

ح: وحينما أراد الخوارج إقناع بعض زعمائهم وهو زيد بن حصين بقبول الولاية عليهم، اجتمعوا إليه، وقالوا له: «أنت سيدنا وشيخنا، وعامل عمر بن الخطاب على الكوفة، تولّ الخ..»[3].

ط: ولما خرجت الخوارج من الكوفة، أتى علياً «عليه السلام» أصحابه، وشيعته، فبايعوه، وقالوا:

نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت؛ فشرط لهم فيه سنة النبي «صلى الله عليه وآله».

---

(1) الكامل للمبرد ج1 ص114.

(2) الأخبار الطوال ص207 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص62 والكامل لابن الأثير ج3 ص343 وأنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج2 ص370 و 371 ونهج البلاغة ج7 ص143.

(3) الثقات ج2 ص295 والخوارج والشيعة ص71.

فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل، وصفين، ومعه راية خثعم؛ فقال له: نبايع على كتاب الله، وسنة رسوله.

فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر.

فقال له علي «عليه السلام»: «ويلك، لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسوله، لم يكونا على شيء من الحق». فبايعه ربيعة.

ونظر إليه علي «عليه السلام»، فقال: «أما والله، لكأني بك، وقد نفرت مع هذه الخوارج، فقتلت، وكأني بك، وقد وطأتك الخيل بحوافرها». فقتل يوم النهروان..

قال قبيصة: فرأيته يوم النهروان قتيلاً، قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه، ومثلت به، فذكرت قول علي، وقلت: لله در أبي الحسن ما حرك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك(1).

ي: وقد استعمل قطري رجلاً من الدهاقين، فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطرياً فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يقارّ عماله على مثل هذا.

فقال قطري: إني استعملته وله ضياع وتجارات، فأوغر ذلك

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص146 وراجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص56، وبهج الصباغة ج7 ص179 وراجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام». ص103 والكامل لابن الأثير ج3 ص337.

صدورهم وبلغ المهلب ذلك الخ..[1].

ق: كما أن نجدة الحروري قد تخلى عن فكرة مهاجمة المدينة، لما أن أخبر بلبس عبد الله بن عمر بن الخطاب السلاح، تأهباً لقتاله مع أهل المدينة؛ ذلك أن نجدة، وسائر الخوارج، كانوا يوقرون أباه عمر بن الخطاب توقيراً شديداً..

وقد اختاره نجدة للإجابة على مسائله، فكتب إليه (أي إلى ابن عمر)، يسأله عن أشياء في الفقه، ولكنها كانت أسئلة عويصة، فترك الإجابة عنها إلى ابن عباس[2].

عمر يحترم قاتل علي عليه السلام:

ر: وقبل أن نواصل الحديث نحب أن نسجل هنا: أن عمر بن الخطاب كان يكنّ الكثير من الاحترام والتقدير لعبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، الذي صار فيما بعد من الخوارج، وقتل أمير المؤمنين علياً «عليه السلام».

ولعل هذا هو أحد أسباب احترام الخوارج للخليفة الثاني، وتعظيمهم له، يقول النص التاريخي: «وقيل: إن عمر كتب إلى عمرو، أن قرّب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد؛ ليعلم الناس القرآن والفقه؛ فوسع له؛ فكانت داره إلى جنب دار عديس»[3].

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج4 ص203.

(2) الخوارج والشيعة ص71.

(3) لسان الميزان ج3 ص440.

وثمة نص آخر يشير إلى أن عمرو بن العاص كان أيضاً يحترم ابن ملجم، وينسجم معه حيث يقال: «إن عمرو بن العاص، أمره بالنزول بالقرب منه، لأنه كان من قراء القرآن»[1].

كما ونلاحظ هنا: أن عداوة عبد الرحمن لأهل البيت «عليهم السلام» قد كانت ظاهرة ومعروفة، قبل أن يقدم على ارتكاب جريمته، فعن ابن الحنفية، قال: «دخل علينا ابن ملجم الحمام، وأنا وحسن وحسين جلوس في الحمام؛ فلما دخل كأنهما اشمأزا منه، وقالا: ما أجرأك! تدخل علينا؟ فقلت لهما: دعاه عنكما؛ فلعمري، ما يريد منكما أجشم (أجسم) من هذا.

فلما كان يوم أتي به أسيراً، قال ابن الحنفية: ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمام، فقال علي «عليه السلام»: إنه أسير؛ فأحسنوا الخ..»[2].

وثمة شواهد أخرى:

ش: بقي أن نشير إلى أن ثمة شواهد كثيرة أخرى على هذا الأمر، لم نذكرها، لأنها ليس فيها ما يشير إلى حدث من نوع ما مع علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

---

(1) لسان الميزان ج3 ص440.

(2) الطبقات الكبرى، لابن سعد ج3 ص23 وترجمة الإمام علي لابن عساكر ج3 ص298 وأنساب الأشراف ج2 (بتحقيق المحمودي) ص501 و 502 وكنز العمال ج5 ص175 والمناقب للخوارزمي ص283.

ويكفي أن نذكر: أن عمر بن الخطاب كان ـ بسبب سياساته تلك يُفضَّل على أبي بكر، منذ عهد عمر بالذات، حتى اضطر إلى إنكار ذلك، واحتج على أفضلية أبي بكر على نفسه بقضية الغار!! فليراجع كلامه في هذا الصدد[1]. كما أن يزيد بن المهلب قد وعد الناس بالعمل بسنة العمرين[2].

وقد احتج الحجاج في مسألة عقاب الوالي غير العادل، فكان من ذلك قوله: «إني لأحبّ إليّ أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولاً، من أن أحشر معكم مطلقاً»[3].

ولسنا هنا في صدد تتبع ذلك واستقصائه، فإنه كثير جداً وأكثر مما يتوقع.

---

(1) البداية والنهاية ج3 ص180 ومنتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد ج4 ص348 وحياة الصحابة ج1 ص340 عنهما وعن كنز العمال ج7 ص335 عن البغوي.

(2) محاضرات الأدباء ج2 ص188.

(3) بهج الصباغة ج7 ص144 عن العقد الفريد.

الفصل الرابع:

من معاناة أمير المؤمنين عليه السلام

الحروب الطويلة:

لقد طال أمد الحروب على العراقيين وكانت تحمل لهم خسائر كبيرة، وويلات كثيرة.. وقد بلغت تلك الخسائر عشرات الألوف في حربي الجمل وصفين.

ويكفي أن نذكر: أنه حينما رجع علي «عليه السلام» من صفين مرّ ببيوت الثوريين، فسمع البكاء على قتلاهم في تلك الحرب، ثم مر بغيرهم؛ فكذلك.. فلما وصل إلى الشباميين سمع مثل ذلك أيضاً، وأخبروه: أنه قد قتل من الشباميين مئة وثمانون، فليس من دار إلا وفيها بكاء(1).

أما آثار تلك الحرب على الصعيد الاجتماعي، والمادي، والسياسي، فهي أيضاً كبيرة وخطيرة، فهناك أيتام وأرامل، وشهداء. وهناك أسر تمزقت، أو تلاشت. بالإضافة إلى مشاكل حياتية ومعيشية، وخلافات عائلية وعاطفية وعلاقات أُصيبت بانتكاسات وكوارث.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ـ ص45 والمعيار والموازنة ص193 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص83.

نعم.. وهذا ما يفسر لنا قوله «عليه السلام» في نهج البلاغة: «أيها الناس، إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب، حتى نهكتكم الحرب الخ..» حسبما تقدم.

وحينما طلب الحرورية منه «عليه السلام» نقض العهد، ورفض التحكيم، والخروج مجددا إلى صفين، قال لهم علي «عليه السلام»: «هذا حيث بعثنا الحكمين! وأخذنا منهم العهد، وأعطيناهموه؟!! هلاّ قلتم هذا قبل؟!

قالوا: كنا قد طالت الحرب علينا، واشتد البأس، وكثر الجراح، وحلا الكراع، والسلاح. فقال لهم: أفحين اشتد البأس عليكم عاهدتم؛ فلما وجدتم الجمام قلتم: ننقض العهد؟! إن رسول الله كان يفي للمشركين: أفتأمرونني بنقضه»[1].

وفي مقابل ذلك نجد معاوية في الشام يبذل الأموال، ويشتري دين الرجال، ويمد يده إلى الذين حول أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيعدهم ويمنيهم، ويغريهم بالمناصب، والولايات، والأموال.. ويستجيب له عدد من رؤساء القبائل في العراق، سراً وجهراً، الأمر الذي من شأنه أن يؤثر بصورة مباشرة على معنويات الذين كانوا يتعاملون معه «عليه السلام» كخليفة له في عنقهم بيعة، وهم الأكثرون، لا كإمام مفترض الطاعة، وهم الأقلون.

وبكلمة.. فإن أهل الشام يعتبرون قضية معاوية قضيتهم، وليس

---

(1) بهج الصباغة ج7 ص161 و 162 عن ابن ديزيل في صفين وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص310.

كذلك أهل العراق..

العراقيون.. يجهلون علياً عليه السلام:

وبعد.. فإن جهل الناس وخصوصاً العراقيين بعلي «عليه السلام»، وبمزاياه وفضائله، وجهاده، وبأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» فيه قد كان من أهم أسباب عدم الانقياد له، حيث كان يراه الناس رجلاً عادياً كسائر من عرفوه من رجال الحكم والسياسة، فهو عندهم يخطئ ويصيب، ويحب ويبغض، ويعدل ويظلم، ويحسد ويحقد، ويطيع ويعصي، فلم تكن له تلك القدسية في نفوسهم، ولا كانوا يثقون به ثقة مطلقة، تخولهم اتباعه فيما أحبوا وكرهوا.

وقد كانت سياسة الذين سبقوه هي محو ذكره «عليه السلام»، وطمس مزاياه وفضائله، ولم تكن معه إلا ثلة قليلة من العارفين به، والمعتقدين بإمامته سرعان ما التهمتهم الحروب الضارية، وقد كان «عليه السلام» يتلهف عليهم، ويتأسف على فقدهم، فهو يقول:

«**أوّه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد، فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه**»[1].

وحول محاولات خصومه «عليه السلام» محو ذكره، وإذهاب صوته وصيته، نجد المعتزلي الحنفي يقول:

«وهذا يدلك على أن علياً «عليه السلام» اجتهدت قريش كلها،

---

(1) نهج البلاغة شرح محمد عبده خطبة رقم177 مطبعة الاستقامة.

من مبدأ الأمر في إخماد ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه، حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم»[1].

ويقول أيضاً، نقلاً عن محمد بن سليمان، الذي «لم يكن يتعصب لمذهب بعينه»[2].

«لأن علياً دحضه الأوّلان، وأسقطاه، وكسرا ناموسه بين الناس؛ فصار نسياً منسياً، ومات الأكثر ممن يعرف خصائصه، التي كانت في أيام النبوة وفضله. ونشأ قوم لا يعرفونه، ولا يرونه إلا رجلاً من عرض المسلمين، ولم يبق مما يمتّ به إلا أنه ابن عم الرسول، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، ونسي الناس ما وراء ذلك كله. واتفق له من بغض قريش وانحرافها ما لم يتفق لأحد الخ..»[3].

بل إن بعض النصوص تشير إلى أن الناس كانوا لا يطيقون سماع شيء من فضائله، ويرون الخوض فيها بلا فائدة ولا عائدة، فقد قال جندب بن عبد الله في حديث له:

«فانصرفت إلى العراق، فكنت أذكر فضل علي على الناس؛ فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره، وأحسن ما أسمعه قول من يقول: دع عنك هذا وخذ في ما ينفعك. فأقول: إن هذا مما ينفعني وينفعك، فيقوم عني، ويدعني»[4].

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج8 ص18.

(2) المصدر السابق ج9 ص25.

(3) المصدر السابق ج9 ص28 و 29.

(4) المصدر السابق ج9 ص58.

وهو «عليه السلام» نفسه يقدم لنا أوضح صورة للحال التي كان عليها صلوات الله وسلامه عليه، فإنه هو نفسه «عليه السلام» يقول، وهو يجيب على سؤال: لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مات وترك ولداً، أكانت العرب تسلم إليه أمرها..

قال «عليه السلام»: «لا، بل كانت تقتله، إن لم يفعل ما فعلت».

ثم يستمر «عليه السلام» في إجابته، فيذكر الفتوح، التي جاءت بالثروة والمال، ويقول: «ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين؛ فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون، والأحقاب بما فيها؛ ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف الخ..»[1].

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة، والتي لا مجال لتتبعها.

وأما السبب في أنهم قد أخفوا فضائله «عليه السلام»، فهو إما العداوة والحسد، أو الخوف، أو ما إلى ذلك. حتى إذا ما أراد هو نفسه أن يذكرّ الناس بتلك الفضائل، أو يذكرها لهم؛ فإنهم يرمونه بأنه أراد بذلك الافتخار والإدلال، والتكبر، أو يكذبونه في ذلك، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

قلة المخلصين في جيش علي عليه السلام:

---

(1) المصدر السابق ج20 ص298 و 299.

من جهة أخرى فإن أولئك الذين حاربوا علياً عليه الصلاة والسلام في الجمل، والذين كانوا يتعاطفون مع عثمان في محنته، قد أصبحوا الآن ولأكثر من سبب في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، يحاربون معه عدوه، ويدافعون عن قضيته!!

وواضح أنهم، أو كثيراً منهم، كانوا لا يمتلكون حداً معقولاً من الروادع الدينية والوجدانية.

وكانت علاقاتهم القبلية ومفاهيمهم الجاهلية، وانفعالاتهم الشخصية أكثر تحكُّماً في موقفهم السياسي من الحكم الشرعي، أو الوجداني.

ولأجل ذلك وسواه من أسباب، فلا يجب أن نتوقع من هؤلاء: أن يكونوا متحمسين كثيراً لمقارعة أعدائه «عليه السلام»، ومنازلة خصومه تحت رايته، وبزعامته، ولا كان لديهم ذلك الحماس للدفاع عن الحق والدين، والمثل العليا.

والنصوص التي تشير إلى قلة المخلصين في جيش أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام كثيرة. وقد صرح البعض بأنه قد كان في جيش علي المخلص والمدخول[1].

وقال عليه الصلاة والسلام، وهو يدافع عن الأشتر: «وأما ما ذكرتم من خلافه علي، وتركه أمري، فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك. وليت فيكم مثله اثنان، وليت فيكم مثله واحد، يرى في

---

(1) الفتنة الكبرى ج2 ص81.

عدوكم مثل رأيه، إذن لخفَّت علي مؤونتكم»[1].

وبعد، فإننا لا نبعد كثيراً إذا قلنا: إن الحجاج بن الصمة كان يقصد أمثال هؤلاء، بل العراقيين بصورة عامة، حينما قال لمعاوية محرضاً له على طلب الخلافة، بعد عثمان: «..وإني أخبرك، أنك تقوى بدون ما يقوى، لأن معك قوماً لا يقولون إذا سكت، ويسكتون إذا نطقت، ولا يسألون إذا أمرت، ومع علي قوم يقولون إذا قال ويسألون إذا سكت»[2].

وآية ذلك هو الحوادث الكثيرة التي نجدها في التاريخ، ومنها قضية التحكيم وما جرى فيها، فإنها من أعظم العبر. حتى إننا لنجد أصحاب علي «عليه السلام» يصرون عليه بأن يكتب ما يريدون لابن عباس، أما أصحاب معاوية فلا يسألون عمرواً عن شيء إطلاقاً[3].

وقد لاحظ ذلك يوليوس فلهوزن فهو يقول: «إن الخوارج في العراق يحاربونه حرباً شديدة. وكان أهل البصرة متراخين متثاقلين عن نصرته إذا استثنينا أشخاصاً قلائل مثل أبي الأسود الدؤلي.. وكان أهل الكوفة معه بأهوائهم، ولكنهم لم يكونوا معه بكل قواهم. وكان بينهم بعض المحاربين وبعض المائلين إلى عثمان. ولحق بعضهم

(1) المعيار والموازنة ص183 و 184.
(2) الأخبار الطوال ص155.
(3) راجع الأخبار الطوال ص197 و 198.

بمعاوية»[1].

««ومن مظاهر الفساد في معسكر علي «عليه السلام» كثرة تدخل الجنود في شؤون قائدهم؛ فكانوا يلاحقون كل رسول يروح ويجيء ويظنون بأميرهم الظنون. بينما كانت رسل معاوية تروح وتجيء فلا يسأل أصحابه عن سبب ذهابهم، وأخبار عودتهم»[2].

حالة البصرة بالخصوص:

وعن خصوص البصرة نقول:

إنها كانت قادرة على أن تجند عشرات الألوف قد تزيد على ستين ألف مقاتل، ولكن رغم ذلك لا ينفر منهم إلى علي «عليه السلام» سوى ألف وخمسمائة، وبعد التهديد والوعيد ينضم إليهم مثلهم[3].

ومن يدري، فلعل هؤلاء إنما كانوا من خصوص قبائل عبد القيس، الذين كان رؤساؤهم ابناء صوحان، وهم المخلصون الأوفياء لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ويعتقدون بإمامته؛ ففشا هذا الاعتقاد في قبيلتهم وشاع، فكانت عبد القيس في البصرة كقبيلة همدان في

---

(1) تاريخ الدولة العربية ص94.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص69 والطبري ج6 - آ 3351 ط ليدن.

(3) تاريخ ابن خلدون ج2 ق2 ص179 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص58 والكامل لابن الأثير ج3 ص340 والإمامة والسياسة ج1 ص144 و 145.

اليمن، في إخلاصها لعلي «عليه السلام»، واعتقادها بإمامته.

ولعل بعضهم كان من بني تميم أيضاً، بتأثير من جارية بن قدامة والأحنف بن قيس.

ومما يدخل في هذا السياق أننا نلاحظ: أن خوارج الكوفة كانوا أقل عدداً بالنسبة لخوارج البصرة[1] ولعل حياة أمير المؤمنين «عليه السلام» بينهم وسيرته فيهم، قد أثرت في الكوفيين، فمنعتهم من الانسياق الشديد نحو التأثر بالإعلام المعادي، فإنهم كانوا يلمسون الكذب والافتراء، والتزوير، أكثر من غيرهم.

وعلى كل حال.. فإننا نجد عمرو بن العاص يقول: «أهل البصرة مخالفون لعلي، قد وترهم وقللهم، وقد تفانت صناديدهم، وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل»[2].

ويقول الأصمعي: «البصرة عثمانية من يوم الجمل»[3].

فترى ابن العاص يشير إلى أن سرّ انحراف البصرة عن علي «عليه السلام» هو تأثرهم بما جرى يوم الجمل.

وقد جاء قول ابن عبد ربه أكثر صراحة هنا حيث قال: «إذ قاموا

---

(1) العراق في العصر الأموي ص242.

(2) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج3 ص562 والكامل لابن الأثير ج3 ص279.

(3) روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار ص67 والعقد الفريد ج6 ص248.

مع عائشة، وطلحة، والزبير؛ فقتلهم علي (رض)»[1].

ولبني عدي بن عبد مناف مسجد بالبصرة ينتاب وينزل به، ويقال: إن جمل عائشة عقر في موضعه، فابتني على ذلك[2].

الكوفة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام:

أما الكوفة فإن «أهلها أخلاط من الناس» على حد تعبير اليعقوبي[3].

كما أن حي الناعطيين كان جلُّهم من العثمانية[4].

وكانت باهلة تعادي علياً[5]، وكرهت الخروج معه إلى صفين[6].

ولما ذهب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلى قتال أهل النهروان كانت قبيلتا غني وباهلة تدعوان الله أن يظفر به عدوه[7].

ويقول الثقفي:

«كان بعض العثمانية ـ وهم جند علي «عليه السلام» ـ يتجسسون

---

(1) العقد الفريد ج6 ص248.

(2) ربيع الأبرار ج1 ص307.

(3) كتاب البلدان ص309.

(4) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص45 والكامل في التاريخ 0 ج3 ص325.

(5) الغارات ج1 ص20 و 21 والبحار (طبعة حجرية) ج8 ـ ص556 ونقل عن ج9 ص458.

(6) صفين للمنقري ص116 والأمالي للطوسي ج1 ص116 والأمالي للشيخ المفيد ص200 و 201 وبصائر الدرجات ص159.

(7) الغارات ج1 ص18 والبحار ج8 ص556.

الأخبار لمعاوية. وكان أبو بردة ابن عوف الأزدي يكاتب معاوية من الكوفة؛ فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة، وكان كريماً عليه»[1].

وحينما طلب ابن الحر من علي «عليه السلام» أن يحضر إلى دومة الجندل، ليشهد أمر الحكمين، أجاب «عليه السلام» يزيد بن الحر العبسي بقوله:

«يا ابن الحر، إني آخذ بأنفاس هؤلاء؛ فإن تركتهم وغبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام»[2].

وقد تقدم: أن جلَّ أهل الكوفة وقرّاءها كانوا مخالفين لعلي «عليه السلام»، وأن من كان يعتقد بإمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» من العراقيين كانوا لا يبلغون خمسين رجلاً.

بل لقد روي عن المفضل بن قيس، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: كم شيعتنا بالكوفة؟

قال: قلت: خمسين ألفاً.

قال: فمازال يقول: حتى قال: أترجو أن يكونوا عشرين؟!

ثم قال «عليه السلام»: «والله، لوددت أن يكون بالكوفة خمس وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا

---

(1) الشيعة في التاريخ ص43 عن شرح النهج للمعتزلي ج1 ص185 و 257.

(2) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج2 ص346.

بالحق»[1].

وهذا الكلام إنما صدر بعد أن شاع وذاع: أن الكوفة علوية الاتجاه. فأنيَّ لك بالحقبة التي سبقت ذلك؟!

ومهما يكن من أمر فإن من المؤكد: أن جماعة العثمانية كان لا يزال لهم وجودهم المؤثر إلى زمان خلافة الإمام الحسن «عليه السلام»، فقد «أوصى بالإمامة إلى ولده الحسن بن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسليله، وشبيهه في خلقه وهديه؛ فبايعت الشيعة كلها، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية، ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية»[2].

كما أن قراء الكوفة كانوا في أصل نشأتهم تابعين لابن مسعود[3] الذي كان إلى عمر وسياساته أميل منه إلى علي «عليه السلام». بل لقد محى صحيفة جاءت من اليمن كان فيها أحاديث حول أهل البيت «عليهم السلام»[4].

والكل يعلم ما كان لهؤلاء المخالفين لأهل البيت «عليهم السلام» من دور في إفشال خطط الإمام الحسن «عليه السلام»، وتقوية أمر

---

(1) صفات الشيعة ص14 و 15.

(2) الشيعة في التاريخ ص44 ـ عن الأغاني ج11 ص116.

(3) راجع: حياة الشعر في الكوفة، ص246 عن الإتقان، ج1 ص73 وعن طبقات ابن سعد ج6.

(4) تقييد العلم ص54 والسنة قبل التدوين ص312 وراجع غريب الحديث لابن سلام ج4 ص48 وليس فيه أن الأحاديث في أهل البيت «عليهم السلام».

معاوية، حتى انتهى الأمر إلى المعاهدة وتسليم الأمر إلى معاوية.

آثار حرب صفين، والتحكيم:

أما حرب صفين؛ فقد رأى العراقيون أن نتائجها لم تكن لصالحهم؛ فقد لقي عبد الله بن وديعة الأنصاري علياً «عليه السلام» على مشارف الكوفة؛ فسايره، فقال علي «عليه السلام»: «ما سمعت الناس يقولون؟

قال: يقولون: إن علياً كان له جمع عظيم؛ ففرقه، وكان له حصن حصين؛ فهدمه الخ..»[1].

وكان الناس بعد حرب صفين فيهم المعجب بنتائجها، وفيهم الكاره، والغاش والناصح[2].

وربما نجد المبررات الموضوعية للقول: إن محاربة العراقيين لمعاوية كانت عن خوف ووجل.. فقد قال عمرو بن العاص لمعاوية في صفين، حين مرت ليلة الهرير: «أرى أن رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله؛ فهو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على أمر آخر. إن أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون

---

(1) الفصول المهمة لابن الصباغ ص82 وراجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص44 والكامل لابن الأثير ج3 - ص323 وصفين للمنقري ص529.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص43 و 44 والكامل لابن الأثير ج3 ص323 وصفين للمنقري ص529.

من علي إن ظفر بهم..»[1].

والفقرة الأخيرة تشير إلى أن عدل علي «عليه السلام» قد كان معروفاً ومعترفاً به، ومشهوداً حتى من أعدائه أهل الشام.

وبعد.. «فقد خرج الناس إلى صفين وهم أحباء متوادون، ورجعوا وهم أعداء متباغضون، يضطربون بأسياط الخ..»[2].

وتقدم قول علي «عليه السلام» لابن الحر:

«إني آخذ بأنفاس هؤلاء، فإن تركتهم وغبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام، ولكني أسرح أبا موسى الخ..»[3].

وقال صالح بن كيسان: «إن علياً لما كتب كتاب القضية نفروا من ذلك؛ فحكم من حكم منهم، ثم افترقوا ثلاث فرق، فرجعت فرقة منهم إلى أمصارهم ومنازلهم، فأقاموا بها، فكان ممن رجع: الأحنف وشبث بن ربعي، وأبو بلال مرداس بن أدية، وابن الكواء، بعد أن ناشدهم علي، وقال: الخ..»[4].

فحتى الأحنف إذن، كان قد مال إلى رأي الخوارج، وانجرف في تيارهم، فما ظنك بسواه.

---

(1) حياة الحسن بن علي «عليه السلام» للقرشي ج1 ص241 وصفين للمنقري ص476 و 477.

(2) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج2 ص342.

(3) المصدر السابق ص346.

(4) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج2 ص342.

حروب الإخوة:

ثم تأتي حروب النهروان، حيث فرض فيها على العراقيين، الذين يفضلون رابطة الدم، على كل ما سواها، أن يحاربوا إخوانهم بالعصبية؛ حيث كان في صفوف هؤلاء الخوارج: من هم إخوانهم، وابناؤهم، وآباؤهم، وابناء العشيرة، حتى إن عدي بن حاتم، وهو من القواد المعروفين في جيش أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام كان ولده في جملة من قتل من الخوارج، وقد دفنه أبوه بعد انتهاء المعركة، ودفن رجال من الناس قتلاهم بإذن أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

وطبيعي أن يتزايد لدى العراقيين شعور بالحزن والأسى إزاء حالة كهذه، وأن يكون لديهم شعور عميق بالضيق وسأم وتململ ثم صدود عن الاستمرار في طريق عسير وشاق كهذا، مع شعور بضرورة الخروج من هذه الحالة إلى ما يرون أنه الافضل والأسلم، لاسيما وأنه «عليه السلام» كان قد حارب أهل العراق أيضاً بأهل العراق في وقعة الجمل، ثم أهل العراق بأهل الشام في حرب صفين.

قتل أماثلكم:

وبعد هذا.. فلقد كان هناك جهل شبه تام بالإسلام وبأحكامه،

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص66 والكامل لابن الأثير ج3 ص348، وتاريخ ابن خلدون ج2 ـ قسم2 ص181 وتذكرة الخواص ص105.

ولاسيما في الجانب السياسي منه.

قال ابن الإسكافي، وهو أبو القاسم، جعفر بن محمد الإسكافي[1]:

«فلم يؤت علي رضي الله عنه في أموره لسوء تدبير كان منه، أو لغلط في رأي، غير أنه كان يؤثر الصواب عند الله في مخالفة الرأي، ولا يؤثر الرأي في مخالفة رضا ربه.

وقد كانت له خاصة من أهل البصائر واليقين، من المهاجرين، والأنصار، مثل: ابن عباس، وعمار، والمقداد، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت، وأبي الهيثم بن التيهان، وقيس بن سعد، ومن أشبه هؤلاء من أهل البصيرة، واخترمهم الموت.

وحمل معه من العامة قوم لم يتمكن العلم من قلوبهم، تبعوه مع ضعف البصيرة واليقين، ليس لهم صبر المهاجرين، ولا يقين الأنصار؛ فطالت بهم تلك الحروب، واتصلت بعضها ببعض، وفني أهل البصيرة واليقين، وبقي من أهل الضعف في النية، وقصر المعرفة، من قد سئموا الحرب، وضجروا من القتل؛ فدخلهم الفشل، وطلبوا الراحة، وتعلقوا بالأعاليل الخ..»[2].

ولنا تحفظ على بعض من ذكر أنهم قد ماتوا وكانوا من أهل البصائر الذين كانوا مع علي «عليه السلام» فإن ابن عباس وأبا أيوب، وقيس بن سعد، كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

---

(1) راجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج2 ص84 و 85.

(2) المعيار والموازنة ص98.

هذا.. وقد جاء أن الأشتر، قال للمحكّمة في صفين: «فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم متى كنتم محقين؟ الخ..»(1).

ويقول أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطبة له: «..ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم، وهم بصفين، أن لا يكونوا اليوم أحياءً، يسيغون الغصص، ويشربون الرنق؟ فقد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم.

أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم، من إخوانهم الذين تعاقدوا على النية، وأبردوا برؤوسهم إلى الفجرة.

(قالوا: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة؛ فأطال البكاء، ثم قال «عليه السلام»):

أوّه على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد، فأجابوا، وثقوا بالقائد؛ فاتبعوه»(2).

وجاء في رسالة لعبد الله بن وهب الراسبي أرسلها إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قوله: «فلما حميت الحرب، وذهب

---

(1) صفين للمنقري ص491 والمعيار والموازنة ص164 وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص219.

(2) نهج البلاغة، بشرح عبده ج2 ص130 و 131 ومصادر نهج البلاغة ج2 ص450 و 451 وفيه عن الزمخشري في ربيع الأبرار، باب التفاضل والتفاوت وهذا التفاوت موجود في عبارة الفتوح ج4 ص102.

الصالحون: عمار بن ياسر، وأبو الهيثم ابن التيهان، وأشباههم، اشتمل عليك من لا فقه له في الدين، ولا رغبة له في الجهاد، مثل: الأشعث بن قيس وأصحابه.. الخ..»

ثم يذكر قصة التحكيم، ويعترف بما كان منهم فيها فيقول: «وكانت منا في ذلك هفوة»[1].

فالواعون من أصحابه «عليه السلام»، المتقون، الذين عرفوا الحق، ووثقوا بالقائد وأحكموا القرآن، وأقاموا الفرض، وأحيوا السنة، وضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم وعقيدتهم، وكانوا الحريصين على مستقبل الإسلام والإيمان. والذين كان لهم دور كبير في ربط الناس بالإمام، وتعريفهم على صواب موقفه، وتحريضهم على طاعته ونصرته، وكانوا أول من لبى نداءه.

وبقي الأراذل، ضعفاء البصيرة واليقين من أمثال الأشعث وغيره ممن لم يتمكن العلم من قلوبهم، والذين ظهر فيهم مصداق قوله «عليه السلام»: «ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه»[2].

وقوله «عليه السلام»: «لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل»[3].

---

(1) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج2 ص370.

(2) نهج البلاغة ـ الخطبة رقم 192 بترقيم المعجم المفهرس.

(3) نهج البلاغة ـ الخطبة رقم 69.

الفصل الخامس:

سياسات علي عليه السلام في العراق..

علي عليه السلام يفقه العراقيين:

هذا وقد بذل علي «عليه السلام» جهوداً كبيرة في تعليم أهل العراق، وتثقيفهم، حتى ليقول لهم: «وركزت فيكم راية الإيمان، وعرفتكم على حدود الحلال والحرام»[1].

كما أن أبا أيوب الأنصاري يقول لأهل العراق: «إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل بين اظهركم ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخير المسلمين، وأفضلهم وسيدهم بعده، يفقهكم في الدين الخ..»[2].

كما أنه «عليه السلام» كان يعمل على أن يوضح لهم الضوابط العامة للسياسة الإسلامية، ومنطلقاتها، وأهدافها.

وتلك كلماته، وخطبه زاخرة بهاتيكم التعاليم، ومشحونة بتلكم المعاني.. ولا مجال لاستقصاء النقاط التي كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يهتم بالتركيز عليها، فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، وجهد

---

(1) نهج البلاغة ـ شرح عبده ج1 ص153.

(2) الإمامة والسياسة ج1 ص152 و 153.

مستقل.

ولكننا نلم ببعض النصوص التي تشير إلى شيء من ذلك، فنقول:

عدل علي عليه السلام وموقف زعماء القبائل:

قال أبو أيوب الأنصاري للعراقيين، المتقاعسين عن أمر الجهاد:

«..عباد الله، أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام؛ فذو حق محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوءٍ بطنه وملقى بالعراء، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق، ونشر العدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم، ولا تتولوا مجرمين الخ..»(1).

نعم.. لقد عرف الناس كلهم العدل، وذاقوا طعم الحق والإيمان، في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي أفهم الناس جميعاً، ولاسيما رؤساء القبائل، وسواهم من أهل الأطماع، وأصحاب اللبّانات: أنه رجل لا مطمع فيه لأحد.. وأنه لم ولن يعمل بغير الحق..

وأصبح واضحاً للجميع: أنه لم يكن ليقيم وزناً يذكر للزعامات القبلية، ولا يبني علاقاته معها إلا على أساس ما تملكه من التزام، ومن معان إنسانية نبيلة، وما تقدمه من خدمات في سبيل الدين والإنسان، فلم يكن ليميز هذا على حساب ذاك، ولا يعطي أحداً ليحرم

---

(1) الغدير ج9 ص125 و 359 ونهج السعادة ص529 والأمالي ص149 وعن الإمامة والسياسة ج1 ص112 وفي طبعة أخرى 128 وعن جمهرة الخطب ج1 ص236.

غيره، ولم يكن ليطلب النصر بالجور.

وحينما قال له الأشتر: «يا أمير المؤمنين، إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة والكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا، وضعفت النية وقل العدد. وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عمّوا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه. ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف؛ فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من ليس للدنيا بصاحب. وأكثرهم يجتوي الحق ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا. فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال. وتصف نصيحتهم لك، وتستخلص ودهم..»[1].

وفي نص آخر: أن طائفة من أصحابه «عليه السلام» مشوا إليه؛ فقالوا: «يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب، وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره.. وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال.

فقال لهم: أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس الخ..»[2].

وقالت الصديقة الطاهرة «عليها السلام»: «نقموا منه والله نكير

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص197.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص203 والإمامة والسياسة ج1 ص153.

سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله»[1].

وروي عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن فضيل بن الجعد، قال: «آكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أمر المال؛ فإنه لم يكن يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على عجمي، ولا يصانع الرؤساء، وأمراء القبائل، كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه»[2].

نعم.. إن عدل علي «عليه السلام» قد أحفظ الزعامات القبلية، وأهل اللبانات والأطماع، واستطاع معاوية بأحابيله أن يصطاد طائفة منهم، ويكيد بهم علياً.. وفرّ بعضهم إليه الأمر الذي كانت له تأثيرات سيئة على نفوس الناس، ولاسيما عشائرهم.

وكلنا يعلم: أن مجمتع العراق لم يكن يتعامل مع الأمور من منطلق الفكر، والقناعات الوجدانية، والشعور بالمسؤولية الشرعية، وإنما من منطلق قبلي جاهلي، يعطي زعيم القبيلة كل الخيارات والاختيارات، وينفذ أوامره وإرادته، مهما كانت مخالفة لقناعات

---

(1) البحار ج43 ص158 و 159 و 160 و 162 عن معاني الأخبار والاحتجاج، وأمالي الشيخ الطوسي، وكشف الغمة، وابن أبي الحديد عن الجواهري، وكشف الغمة ج1 ص492 والاحتجاج ج1 ص147 وشرح النهج المعتزلي ج16 ص233 والعوالم ص236 و 238 و 240.

(2) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص197 وحياة الشعر في الكوفة ص169 وراجع: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص77 عن مصادر كثيرة.

الفرد، وحتى لعواطفه وأحاسيسه.

وإذا كان زعماء القبائل قد وافقوا في بعض الظروف على نصرته «عليه السلام»، ومحاربة عدوه وعدوهم؛ فإن ذلك يعود إلى خوفهم من معاوية، إن ظفر بهم.. ومن أجل الوفاء بالبيعة التي كانت له «عليه السلام» في أعناقهم. أو طمعاً في الغنائم، أو في الولايات والرياسات، أو حمية، وعصبية، أو لغير ذلك من عوامل، لربما يجد المتتبع لها بعض الشواهد.

ولكن مما لا شك فيه هو: أن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وإن لم يستطع أن يرضي الزعامات القبلية، إلا أنه كان أحياناً يتعامل مع الناس من خلال تلك الزعامات، حيث لا يكون ثمة خيارات أخرى، تماماً كما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحاول أن يستخدم الزعامات القبلية من أمثال أبي سفيان في تحقيق أهداف الإسلام العليا، وإن كان لم يكن يلزم نفسه بمنحها أية امتيازات على حساب الحق والعدل، ومصلحة الإسلام العليا، وخير المسلمين.

وهكذا.. ومن هذا المنطلق بالذات نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» في أول أمر الخوارج قد دعا صعصعة بن صوحان العبدي، وكان قد وجهه إليهم، وزياد بن النضر الحارثي، مع عبد الله بن العباس؛ فقال لصعصعة:

«بأي القوم وجدتهم أشد إطافة؟.

فقال: بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب علي «عليه السلام» إليهم إلى حروراء، فجعل يتخللهم،

حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس، ثم قال الخ..»(1).

ولا بأس بالتأمل هنا في سرّ كونه «عليه السلام» قد صلى ركعتين في مضرب يزيد بن قيس.

نعم.. إن أمير المؤمنين وإن لم يستطع أن يرضي الزعامات القبلية إلا أن سيرته «عليه السلام» وعدله قد نال مختلف طبقات الأمة، وذاق الناس طعم الإيمان، وحلاوة الإسلام، وحل لهم مشاكلهم، ورفع من مستوى نضجهم ووعيهم، حتى ليقول الكميت رحمه الله:

ونعم طبيب الداء من أمر أمة تواكلها ذو الطب والتطبب

ونعم ولي الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى، ونعم المؤدب

ويقول رحمه الله تعالى عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

ساسة لا كمن يرى الناس سواء ورعية الأنعام

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام

---

(1) الكامل للمبرد ج3 ص211 وبهج الصباغة ج7 ص111 عنه. والكامل لابن الأثير ج3 ص328 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص41 منشورات الأعلمي حوادث سنة 37 ذكر الخبر عن اعتزال الخوارج علياً وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص278 و 279.

رأيــه فــيهــم كـرأي ذوي الثلــة   في الـــثائجات جنــح الــظلام

جزّ ذي الصوف وانتقـاء لـذي   الـمخــة نعقــاً ودعدعـــاً بــالبهام

ويقول رحمه الله تعالى عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»:

والـوصي الـذي أمـــال التجوبي   بـــه عــــرش أمــــة لانـــهدام

التجوبي: هو ابن ملجم.

ويقول أيضاً:

قـتلـوا يـوم ذاك إذ قــتــلــوه   حكماً لا كــغابـــر الحـكـــام

راعيـاً كــان مسجحـاً ففقدناه   وفقـــد الـمسيم هــلك السوام

نالنـــا فــقده ونــال سوانـا   بـــاجتداع من الأنوف اصطــلام

علي عليه السلام يعرف الناس بالإمامة:

وأما فيما يرتبط بتعريف الناس على أمر الإمامة، وبيان الزيف والافك الذي مورس تجاهها فقد حاول أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بكل وسيلة، أن يعرف الناس على الحق فيما يرتبط بالخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأن يعطي الناس صورة واضحة عن معنى الإمامة وشؤونها، وشروط الإمام وما إلى ذلك.

وقد بلغه: أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي «صلى الله عليه وآله» له «عليه السلام»، وتفضيله على الناس؛ فقال «عليه السلام»: «أنشد الله من بقي، ممن لقي رسول الله «صلى الله عليه

وآله»، وسمع مقاله في يوم غدير خم».

ثم تذكر الرواية شهادة اثني عشر صحابياً له(1).

وفي بعض النصوص: أنهم كانوا بدريين(2).

وفي نص آخر: أنهم كانوا ثلاثين رجلاً(3).

ويبدو أن ذلك قد كان بعد حرب الجمل، أي بعد سنة 36هـ. وحديث المناشدة هذا معروف، ومشهور جداً.. ويظهر أن التعرف على أكثر الرواة لحديث الغدير كان مبدؤه هو ذلك اليوم بالذات.

كما أنه «عليه السلام» قد استشهد لحديث الغدير مرة أخرى في صفين نفسها(4) ثم تبع ذلك استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» لحديث الغدير في منى، ثم استشهادات أخرى، ذكرها العلامة الأميني في كتابه القيّم: الغدير ج1 ص166 و 186 عن مصادر كثيرة جداً. فليراجعها من أحب.

علم الإمامة عند علي عليه السلام:

كما أنه «عليه السلام» قد بذل محاولات وجهوداً كبيرة، من أجل

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص288 و 289 وفي هامشه عن الرياض النضرة ج2 ص169 وراجع: كتاب بحوث مع أهل السنة والسلفية، ففيه مصادر كثيرة، ودلائل الصدق. والبداية والنهاية، وغير ذلك.

(2) الغدير ج1 ص195 عن كتاب سليم بن قيس. ومسند أحمد ج1 ص88.

(3) مسند أحمد ج4 ص370 ومجمع الزوائد ج9 ص104 والغدير ج1 ص174 و 175 عن مصادر أخرى.

(4) راجع: الغدير ج1.

تعريف الناس وإفهامهم: أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد اختصه دون كل أحد بالعلوم والمعارف، وأنه هو الذي يملك علم الإمامة حقاً دون سواه؛ فكان يكثر من قول: سلوني قبل أن تفقدوني. كما أنه كان يكثر من الاخبارات الغيبية، حتى بلغت حداً جعل بعض الناس يتهمونه بالكذب (والعياذ بالله). وقد سمع غلام (وهو أعشى همدان) حديثه فاعتبره حديث خرافة[1].

كما أن قوماً كانوا تحت منبره قالوا عنه، بعد أن ذكر لهم الملاحم: «قاتله الله، ما أفصحه كاذباً»[2].

وجرى له مرة أخرى ما يشبه ذلك أيضاً[3].

كما انه «عليه السلام» قد خطب الناس وأخبرهم: أنه لو كسرت له الوسادة لحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم «وما من آية في كتاب الله، أنزلت في سهل وجبل، إلا وأنا عالم متى أنزلت، وفيمن أنزلت».

فقال رجل من القعود تحت منبره: «يا لله، وللدعوى الكاذبة»[4].

وكان ميثم التمار سمع من أمير المؤمنين «عليه السلام» بعضا من علم وأسرار خفية من أسرار الوصية «فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشك قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً «عليه السلام» في ذلك

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص289.

(2) المصدر السابق ج6 ص136.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

إلى المخرقة والإيهام والتدليس الخ..»[1].

كما انه هو نفسه عليه الصلاة والسلام قد ذكر أنهم يقولون فيه ذلك، فهو يقول:

«والله، لو أمرتكم، فجمعتم من خياركم مئة، ثم لو شئت لحدثتكم إلى أن تغيب الشمس، لا أخبركم إلا حقاً، ثم لتخرجن، فتزعمن: أني أكذب الناس وأفجرهم»[2].

ولم يخل نهج البلاغة من إشارة لهذا الأمر أيضاً، ففي خطبة له يخاطب بها أهل العراق: «ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب. قاتلكم الله..»[3].

وقال المعتزلي في شرح قوله عليه الصلاة والسلام: «**أتراني أكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» والله، لأنا أول من صدقه؛ فلا أكون أوّل من كذب عليه**»:

«هذا كلام قاله «عليه السلام» لما تفرس في قوم من عسكره: أنهم يتهمونه فيما يخبرهم عن النبي «صلى الله عليه وآله» من اخبار الملاحم والغائبات، وقد كان شك منهم جماعة في أقواله، ومنهم من

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص291.

(2) المصدر السابق ج6 ص128 عن الغارات للثقفي.

(3) نهج البلاغة، الخطبة رقم 70 حسب ترقيم المعتزلي، والاختصاص ص155 عن كتاب ابن دأب، والإرشاد للمفيد ص162 والاحتجاج ج1 ص255.

واجهه بالشك والتهمة»[1].

كما أن مالك بن ضمرة كان يخبر عن علي «عليه السلام» بأمر قاله بالنسبة إليه، وإلى اثنين آخرين «فكان من الناس من يهزأ به ويقول: هذا من أكاذيب أبي تراب»[2].

وعند المجلسي: أنه أخبره بما يجري على هانئ بن عروة فكان بعض الناس يهزأ الخ..[3].

وقال المعتزلي: «وكان كثيراً ما يخبر عن الملاحم والكائنات، ويومئ إلى أمور أخبره بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقول المنافقون من أصحابه: يكذب، كما كان المنافقون الأولون في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون عنه: يكذب!!»[4].

وعنه «عليه السلام» أنه قال: بعد أن ذكر «عليه السلام»: أنه هو فقأ عين الفتنة ولم يكن يجرء عليها غيره:

«..فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء، فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة، وتضل مئة، إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً»[5].

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص286.

(2) المصدر السابق ج2 ص295.

(3) البحار ج8 ص677 ـ ط حجرية.

(4) المصدر السابق ج6 ص128.

(5) نهج البلاغة ج1 ص183.

قال المعتزلي: «ولقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقاً ».

وبعد أن ذكر طائفة كبيرة من إخباراته تلك قال: «لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة»[1].

هذا، وقد اعتمد «عليه السلام» في تعامله مع الخوارج على الاخبارات الغيبية بصورة ظاهرة ولافتة، كما سنرى في ما يأتي من فصول.

لقد ملأتم قلبي قيحاً:

والذي تجدر الإشارة إليه هنا هو: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين أراد أن يخبر الناس بالغيب، لم يقتصر على جعلهم يتصورونه، بل تجاوز ذلك، إلى مرحلة الحس، فجعلهم يلمسونه بأنفسهم ويميزون فيه الصدق من الكذب، والحق من الباطل.

ولكن المفاجأة الكبرى نجدها، حين نرى أن ذلك لم يكن يترك أثره المطلوب حتى إنه «عليه السلام» بعد أن أظهر لهم وأراهم بأم أعينهم الآيات والشواهد الحسية على صدق إخباراته الغيبية في أمر الخوارج بالذات ثم خطب الناس بالنخيلة، فقد: «قام إليه رجل منهم، فقال: ما أحوج أمير المؤمنين اليوم إلى أصحاب النهروان، ثم تكلم الناس من كل ناحية، ولغطوا»[2].

وما أشبه هذه القضية بما جرى لموسى مع بني إسرائيل، حيث

---

(1) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج7 ص48 و 49 و 50.

(2) الشيعة في التاريخ ص42 عن شرح النهج للمعتزلي ج1 ص146.

إنهم حين فلق الله البحر لموسى، فصار كل فرق كالطود العظيم. ونجاهم الله من فرعون. وخرجوا من البحر وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.

ويحق لعلي «عليه السلام» بعد هذا أن يقول لأهل العراق الذين لم يعرفوا إسلام علي «عليه السلام»: لقد ملأتم قلبي قيحاً. وأن يتمنى أن يصارفه معاوية فيهم مصارفة الدينار بالدرهم، فيأخذ منهم عشرة، ويعطيه واحداً.. إلى آخر ما قدمناه من نصوص.

متى بدأ التشيع في الكوفة:

ومن الواضح: أن الكوفة بل والعراقيين عموماً ما كانوا قبل أن يأتيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه يعرفون علياً، فضلاً عن غيره من أهل البيت «عليهم السلام»، فضلاً عن أن يكون له «عليه السلام» نفوذ أو امتداد سياسي في ذلك المحيط الذي قدمنا بعض ما يشير إلى حالاته العامة.

بل يذكر المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة أنهم ما كانوا يعرفون عن علي «عليه السلام» إلا أنه ابن عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وزوج ابنته «عليه السلام».

وكانت سياسة الحكام الذين فتحوا العراق قبل علي «عليه السلام» هي إخماد ذكر علي «عليه السلام»، ومحوه من ذاكرة الأمة.

وظهر على الساحة ـ لأسباب مختلفة ـ آخرون، استأثروا باهتمام الناس. حسبما وصفه لنا أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، حيث يقول:

«..فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب»[1].

وقد تحدثنا عن سياستهم التي مارسها أعداؤه «عليه السلام» والقاضية بتجهيل الناس بمقام علي «عليه السلام» في كتابنا الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ـ ص86 و90 ـ طبع دار السيرة.

ولكن مما لاشك فيه هو أن خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» وكونه عاش في العراق هذه المدة الطويلة قد أسهم إلى حدّ كبير في إيجاد مناعة نسبية فيما يرتبط بالتأثر بالإعلام الهدام، الذي كانت قريش والأمويون، ومن لف لفهم، ومن جاء بعدهم يمارسونه ضد أمير المؤمنين وأهل بيته «عليهم السلام» وشيعتهم الأبرار.

وبدأ العراق بعد أن عرف شيئاً من الحقيقة، ورأى بنفسه سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام» في نفسه وفي أمته، ورأى سيرة خصومه، والمتحاملين عليه، وعرف مكانة علي «عليه السلام»، ومناقبه وفضائله التي جاءت على لسان النبي «صلى الله عليه وآله»، ونطق بها القرآن ـ نعم.. بعد ذلك بدأ العراق، ولاسيما الكوفة يتجه نحو التمسك بأهل البيت «عليهم السلام»، والاعتراف بحقهم، ثم الاعتقاد بإمامتهم الإلهية، وعلى رأسهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص299.

وقد بدأ التشيع يتنامى ويقوى في الكوفة بصورة تدريجية خصوصاً في أواخر خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» وبعد وفاته. حيث ذاق العراقيون طعم العدل وعرفوا معنى الزهد والالتزام بأحكام الدين. وعرفوا بتعليم أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه الأخيار لهم، الكثير الكثير من حقائق الإسلام، وتعاليمه ومعارفه وسياساته، وما إلى ذلك.

وأثمرت جهود علي وأهل البيت «عليهم السلام»، وبدأت بذرة التشيع تتنامى في الكوفة منذئذٍ، حتى اصبحت الكوفة علوية الاتجاه، كما يقولون.

بل لقد قال الأصمعي: إن الكوفة صارت علوية من يوم استوطنها علي «عليه السلام»[1].

وعلى حد تعبير ابن عبد ربه: «الكوفة علوية؛ لأنها وطن علي رضي الله عنه وداره»[2].

ولكن من المعلوم: أن هذه الثمرة قد جاءت ـ كما قلنا ـ في وقت متأخر بالنسبة لخلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» أما في عهده، فقد قاتل عدوه، ولم يكن معه خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته، وحق معرفة إمامته..

وعليه فقول معمر: «عجبت من أهل الكوفة، كأن الكوفة إنما بنيت على حب علي، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم

---

(1) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص67.

(2) العقد الفريد ج6 ص248.

الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري»[1].

هذا القول إنما يعبر عن حقبة متأخرة جداً عن زمن حكم أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما يشير إليه استشهاده بما يذهب إليه الثوري، الذي كان يعيش في القرن الثاني الهجري.

ويشير إلى ذلك أيضاً: أن عبد الله بن مطيع، الوالي من قبل ابن الزبير أراد أن يسير فيهم بسيرة عثمان وعمر، فرفضوا ذلك وقالوا: إنهم يرضون بأن يسير فيهم بسيرة علي «عليه السلام»[2].

وعي العراقيين يضايق الحكام:

وقد كان الحكام المنحرفون يتضايقون جداً من وعي العراقيين المتنامي هذا، ولم يكن يروق ذلك لهم على الإطلاق، حتى لقد صرح معاوية حينما واجهته تلك المرأة المجاهدة، عكرشة بنت الأطرش بكلماتها القوية.. صرح بقوله:

«هيهات، يا أهل العراق، نبهكم علي بن أبي طالب، فلن تطاقوا»[3].

ولكن تعاطف الكوفة مع أهل البيت «عليهم السلام» وتمنياتهم

---

(1) البداية والنهاية ج8 ص11.

(2) أنساب الأشراف ج5 ص220 ـ 221 والكامل في التاريخ ج4 ص213 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص490.

(3) العقد الفريد ج2 ص112 وبلاغات النساء ص104 ـ ط سنة 1972م وصبح الأعشي ج1 ص300.

وآمالهم بوصول بعض أهل البيت «عليهم السلام» إلى الحكم قد كانت تصطدم بالواقع الصعب وبالعقبات الكبيرة والخطيرة، وذلك حينما يلامس الواقع حياتهم فيحاولون الهروب وتقع الكارثة.

وعلى كل حال.. فإننا نكتفي هنا بهذا القدر، إذ أننا لسنا هنا في صدد تتبع المسيرة التاريخية لظهور، ثم رسوخ التشيع في العراق، وفي الأمة بصورة عامة، فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، ووقت طويل.

العراقيون وزهد علي عليه السلام:

قد عرفنا فيما سبق أن من الأمور التي لا مجال لإنكارها هو أن علياً قد ترك أثراً ظاهراً على العراقيين في عقلياتهم، وفي مفاهيمهم، ونفسياتهم، وغير ذلك من الجهات والحالات. وذكرنا آنفا قول معاوية لعكرشة بنت الأطرش.

«هيهات يا أهل العراق، نبهكم علي بن أبي طالب. فلن تطاقوا».

ولم يقتصر الأمر في هذا التأثير على الجانب السياسي. بل هو تأثير شامل وفاعل في مختلف الجهات والحالات وليست حالة الزهد والعزوف عن الدنيا بالتي تستثنى من ذلك، ويكفي أن نذكر هنا. ما قاله الدكتور يوسف خليف:

«كان أكبر صحابي نزل الكوفة، واتخذ منها وطناً له، وحاضرة لخلافته، وهو علي بن أبي طالب، مثلاً عالياً من أمثلة الزهد، والتقشف، بل النموذج الكامل من بين الخلفاء الأولين، والصحابة لحياة الزهد.

وكان أهل الكوفة ينظرون إليه على أنه مثلهم الأعلى في كل

شيء. وعلى أنه زعيمهم السياسي، وإمامهم الروحي، فكان من الطبيعي أن يتأثروا به في حياتهم، وأن يتخذوا منه مثلاً يحذون حذوه، ويتأسون به في زهده وتقشفه»[1].

فوارق بين زهد علي عليه السلام وزهد غيره:

وغني عن القول: أن الزهد العراقي الذي وفد عليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وتعامل معه، يختلف عن الزهد الذي نشأ برعاية علي «عليه السلام»، ومن خلال التأسي به، صلوات الله وسلامه عليه.

فقد كان زهد علي «عليه السلام» ينطلق من موقع التمازج الواعي بين المعارف الإيمانية والفكر الصحيح، وبين المزايا الروحية، والنفسية، ليصوغ المشاعر والأحاسيس بصورة سليمة وقويمة ولتتكون الشخصية النموذج للمسلم الواعي والملتزم، والعارف بالله سبحانه، وبما يريده منه في هذه الحياة، بكل امتداداتها الصحيحة، والمتخذة على أساس عقيدي واضح وراسخ.

أما الزهد الذي واجهه علي «عليه السلام»، وتجلى في الخوارج، فقد كان منشؤه الجهل، الذي انقلب إلى أشكال وحركات انتجت حالة من الغرور والصلف والعجرفة، والصدود عن الحق، وعدم التفاعل مع كلمة الحق، والخير والصلاح.

إن الزهد الذي بثه ورعاه علي «عليه السلام»، لم يكن هروباً من

______

(1) حياة الشعر في الكوفة ص197 و 198.

المسؤولية، ولا كان غروراً واندفاعاً غير مسؤول. في مواقع الجهل ومزالق الهوى.. بل كان هو الزهد الهادف والمسؤول الذي يعي بعمق حقيقة هذه الحياة، ودوره فيها. لينطلق لبنائها على أساس الهيمنة عليها، والتحكم بها، وليس زهده هو الخنوع والخضوع، والانسحاب من الساحة، بل هو المواجهة والتحدي والتضحية ورفض الانحراف، ومواجهة الظلم بكل مظاهره وأشكاله. قال جولد تسيهر: «أن الميل إلى الزهد كان مرتبطاً بالثورة على السلطان القائم»[1].

نعم.. ولكنها ليست ثورة الفوضى بل ثورة العمل بالتكليف الشرعي، والامتثال للحكم الإلهي.

التأثير المسيحي في الزهد العراقي:

ويحاول البعض أن يعزو زهد العراقيين إلى تأثرهم بالمحيط المسيحي الذي كان يكتنف مجتمع الكوفة[2].

ولكن «الواقع ينكر ذلك، فلم يعرف الزهاد المسلمون نظام الرهبانية المسيحي. ولم يعرفوا حياة الأديرة والصوامع. ولم يحرموا على أنفسهم الزواج. ولم يبتعدوا عن المشاركة في الحياة العامة»[3]. وإن كان هنالك بعض من التأثير، والتأثر في ذلك[4].

---

(1) حياة الشعر في الكوفة ص120 عن العقيدة والشريعة في الإسلام ص130.

(2) حياة الشعر في الكوفة ص198 و 199.

(3) حياة الشعر في الكوفة ص199.

(4) حياة الشعر في الكوفة ص198 و 201.

ولربما يكون هذا النحو من الفهم لحقيقة الزهد لدى أهل العراق قد تأثر بالرغبة في إبعاد هذا الأمر عن أن يكون بتأثير من أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فيهم.

ونجد لهذا النحو من السعي لتغيير الحقائق بتأثير من حب إقصاء علي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم وشيعته الأبرار عن دائرة التأثير تجليات في شتى الاتجاهات حيث يجد الباحث أكثر من شاهد ودليل.

الباب الثاني:

الخوارج: تاريخ.. وأحداث..

الفصل الأول:

ظهور الخوارج..

بداية:

إن ظهور الخوارج في مناسبة حرب صفين لم يكن أمراً عفوياً، ووليد ساعته. وإنما قد كان ثمة أجواء ومناخات، وكذلك عوامل وأسباب ساعدت على ظهورهم.

وقد تقدم في الباب الأول ما يفيد في هذا المجال، وسنجد في هذا الكتاب الشي الكثير مما يشير إلى ذلك أيضاً. ونريد أولاً أن نقدم موجزاً عن مرحلة ظهورهم العلني، ليكون القارئ على بصيرة من أمره.. فنقول:

ظهور الخوارج:

الخوارج: فرقة ظهرت في النصف الأول، من القرن الأول الهجري، وبالتحديد في مناسبة حرب صفين، التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، الخليفة الشرعي بكل ما لهذه الكلمة من معنى، من جهة، وبين معاوية بن أبي سفيان، الرجل الباغي الذي كان يحاول الاستئثار بأمر الأمة لنفسه، من جهة أخرى.

وكان ظهورهم ـ العلني ـ بعد خدعة رفع المصاحف في تلك

الحرب، من قبل جيش معاوية، بمشورة من عمرو بن العاص، بعد أن اتضح بما لا يقبل الشك حتمية هزيمة جيش الشام، لو استمرت الحرب.

وقد أحدثت هذه الخدعة زلزالاً في جيش علي «عليه السلام»، حيث أدت إلى إجابة أكثر ذلك الجيش إلى حكم المصحف ـ على حد تعبيرهم ـ وبقي «عليه السلام» مع أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم في عدة يسيرة، يواجهون تهديدات أولئك الانفصاليين بنفس المستوى أو أشد من التهديد الذي كان يواجههم به جيش أهل الشام.

ولم يكن يحق له «عليه السلام» أن يلقي بهذه الصفوة إلى التهلكة، كما ذكره «عليه السلام» في احتجاجه على الخوارج حين قال لهم: «..وأما قولكم: إني لم أضربكم بسيفي يوم صفين، حتى تفيئوا إلى أمر الله، فإن الله عز وجل يقول: **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**[1] وكنتم عدداً، وأنا وأهل بيتي في عدة يسيرة»[2].

تركيبة الفئة الرافضة للقتال:

وعن تركيبة الفئة الرافضة لقتال أهل الشام نقول: إنه قد يكون في تلك الجماعة عناصر مدسوسة، ترى أن من مصلحتها تحريك الحوادث في هذا الاتجاه، أو ذاك.. واخرى لم تستطع فهم الموقف الصحيح والرسالي له «عليه السلام». ووقعت بالفعل تحت تأثير

---

(1) الآية 195 من سورة البقرة.

(2) بهج الصباغة ج7 ص146 عن العقد الفريد.

خدعة رفع المصاحف، وشكت في صحة القتال بسبب ذلك.

وقد يكون ثمة فئة ثالثة قد قبلت التحكيم من موقع إحساسها بالضعف، والتخاذل والسأم من الحرب.

وقد يكون ثمة من يرغب حقاً في حقن الدماء، بأي ثمن كان.

ولكن مما لاشك فيه هو: أن فئة الخوارج كانت في جملة الفريق الرافض للقتال. والنصوص الدالة على ذلك تكاد لا تحصى، ولا مجال لحصر مصادرها، وسيمر على القارئ الكريم بعض منها، انشاء الله. بل هذا هو العنصر الأساس في خروجهم على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

التحكيم بنظر علي عليه السلام:

وحين قبل علي «عليه السلام» بالتحكيم، تحت ضغط شبح الفتنة التي ظهرت ملامحها في جيشه، وكان عليه أن يمنع من وقوعها، فإنه قبل بالتحكيم الذي لو التزم الحكمان بشروطه، وفق ما يفرضه عليهما الواجب الشرعي لكانت نتيجته هي إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وذلك يعني ظهور علي «عليه السلام»، وظهور سلطانه ونصره، وخذلان معاوية وخطه الانحرافي واندحاره، وبوار حجته.

ولذلك نجد علياً «عليه السلام» يقول لأبي موسى بثقة وحزم: «أحكم بالقرآن، ولو في حز عنقي»[1].

---

(1) راجع على سبيل المثال: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص333.

وقال في خطبته لما استوى الصفان بالنهروان: «وأخذت على الحكمين فاستوثقت، وأمرتهما أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فخالفا أمري الخ..»[1].

وهذه الخطبة أشهر من أن تذكر، وهي كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

خيانة الحكمين، وظهور المحكّمة:

ولكن الذي تبلور على أرض الواقع هو: أن الحكمين: أبا موسى وعمرو بن العاص، لم يريدا أن يحكما بما يوجبه القرآن ـ كما دلت النصوص المتضافرة، فإن أبا موسى كان لا يحب علياً «عليه السلام»، وكان يرغب في سوق الأمور نحو تولية ابن عمر.. أما ابن العاص فكان همه سوق الأمور نحو معاوية، وإحكام الحيلة في هذا الاتجاه مهما كان الثمن، فكانت النتيجة هي فشل قضية التحكيم، وانتهى الأمر إلى تمكين معاوية من مواصلة بغيه، وعدوانه على الحق وعلى إمام الحق وعلى الدين.

ولكن ما يلفت النظر هنا، ويتسم بنوع من الطرافة هو أن أولئك الذين أجبروا علياً «عليه السلام» على قبول التحكيم، وهددوه بأن يسلموه إلى معاوية أو أن يفعلوا به كما فعلوا بعثمان ـ هم أنفسهم حين انقلبوا عليه ووقفوا لمعارضة التحكيم قد اعتبروا قبوله كفراً وكفروا

---

(1) الموفقيات ص326 وأشار في الهامش إلى المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج5 ص84 وشرح نهج البلاغة ج1 ص458 والإمامة والسياسة ج1 ص109 ومستدرك نهج البلاغة ص68.

علياً «عليه السلام» لقبوله به، وطلبوا منه «عليه السلام» أن يعترف بهذا الكفر، ثم أن يحدث توبة منه. وهذا ما صرحت به النصوص التاريخية والحديثية الكثيرة، واعترف به الخوارج أنفسهم كما هو معلوم ومشهور(1).

بل لقد كان مسعر بن فدكي، وابن الكواء، وطبقتهم من القراء، الذين صاروا فيما بعد خوارج، من أشد الناس في الإجابة إلى حكم المصحف(2).

وقد ذكروا: أن من شعر أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي لا اختلاف فيه أنه قاله، وكان يردده، وذلك انهم ساموه أن يقر بالكفر

---

(1) راجع على سبيل المثال لا الحصر: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص370 وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص34 و 36 و 62 و 63 و 48 والكامل في التاريخ ج3 ص344 و 317 والخطط للمقريزي ج2 ص354 والعقد الفريد ج2 ص388 والملل والنحل ج1 ص115 والبداية والنهاية ج7 ص289 و 274 وتذكرة الخواص ص59 و 96 و 100 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص217 و 228 و 274 ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص411 وبهج الصباغة ج7 ص99 و 110 و 111 و 170 و 129 و 131 و 167 عن الخلفاء، وكامل المبرد، وغيرهما والإمامة والسياسة ج1 ص149 والخوارج والشيعة ص25 و 32 والفخري في الآداب السلطانية ص93 و 94 وأدب المعتزلة ص24 ونور الأبصار ص96 و 97 و 99 والثقات ج2 ص296 والفصول المهمة لابن الصباغ ص78 و 79 و 90 و 92 والموفقيات ص326.

(2) الأخبار الطوال ص191.

ويتوب، حتى يسيروا معه إلى الشام، فقال:

«أبعد صحبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتفقه في الدين، أرجع كافراً؟! ثم قال:

يا شاهد الله علي فاشهد إني على دين النبي أحمد

من شك في الله فإني مهتد»[1]

وحين رجع «عليه السلام» إلى الكوفة، لم يدخل الخوارج معه، وساروا حتى نزلوا حروراء، وكانوا اثني عشر ألفاً، وقيل: ستة عشر ألفاً[2].

وفي نص آخر: أن الذين لم يدخلوا معه كانوا اثني عشر ألفاً في رواية المكثرين، وستة آلاف في رواية المقللين[3].

وسيأتي المزيد من الحديث حول هذه الأرقام.

ثم كانوا يسمعون أمير المؤمنين «عليه السلام» الشتم، والتعريضات القاسية[4].

---

(1) االبدء والتاريخ ج5 ص136 وراجع تاريخ بغداد ج1 ص160. ولعل هذا الشعر قد قاله أولا أبو طالب، ثم أخذه علي «عليه السلام» يتمثل به.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص278 وراجع: أنساب الأشراف ج2 ص369 والكامل في التاريخ ج3 ص189.

(3) راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج7 ص270 و 282.

(4) راجع أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص355 والبداية والنهاية ج7 ص282.

ثم تمادى بهم حقدهم وبغضهم لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يقف عند حدّ الحكم عليه بالكفر والضلال ـ والعياذ بالله ـ وإنما تجاوز ذلك إلى حد: أنه كان يُخشى من أن ينبش الخوارج قبره، فعمّي عن الناس؛ فلم يعرف[1].

ولكن الحجاج لعنه الله قد حاول أن ينوب عنهم في هذه المهمة، فنبش ثلاثة آلاف قبر في الكوفة من أجل العثور على جثة أمير المؤمنين «عليه السلام» ؛ فلم يوفق لذلك[2].

الخوارج ليسوا أنصار الإمام عليه السلام:

وإننا إذا لاحظنا ما تقدم، وما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ وهي نصوص كثيرة جداً لا يمكن حصرها، ولا استيفاء مصادرها ندرك أن ما يدعيه بعض الخوارج أنفسهم[3]، من أن الخوارج كانوا هم أنصار الإمام علي «عليه السلام» وكانوا المعارضين للتحكيم من أول الأمر، وأنه «قد ارتبط ظهورهم برفض التحكيم، وليس بالدعوة له»[4].

---

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص497.

(2) مشهد الإمام علي في النجف ص121 ومنتخب التواريخ ص291.

(3) راجع كتاب: الخوارج هم أنصار الإمام علي؛ فإن مؤلفه قد حاول تزوير الحقيقة التاريخية.

(4) قضايا في التاريخ الإسلامي ص62 وراجع ص51 و 52 و 53 و 71 و 72.

إن هذه الدعوى تخالف البداهة التاريخية، وما هي إلا مجازفة في القول، وتجنٍّ على الحقيقة، وتزييف للواقع التاريخي.. لا تستند إلى دليل، ولا تعتمد على برهان.

غير أن الخوارج أنفسهم وكذلك بعض من يتعاطف معهم قد بذلوا محاولات يائسة لتبرئة ساحتهم، وإظهار مظلوميتهم، والإنحاء باللائمة، وتسجيل اتهام مباشر إن أمكنهم ذلك ضد أمير المؤمنين «عليه السلام» بالذات.

وقد حاول بعضهم أن يستند إلى نصوص شاذة، ومريبة ذكرها مؤلف مجهول، أو يستشهد برواية تنسب إلى ابن عباس أو غيره، أو بنصوص ذكرها ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة[1].

علماً بأن ما ذكره ذلك المؤلف المجهول ورواية ابن عباس لا ينهض دليلاً على ما يدعون، إذ أن الظاهر هو أنهما يتحدثان عن مراحل لاحقة.. لا عما جرى بمجرد رفع المصاحف.

وأما ما ذكره ابن قتيبة، فإنه هو نفسه قد ذكر ما ينافيه ويدفعه في نفس ذلك الكتاب[2]، رغم الكلام الذي يدور حول نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة، أو حصول بعض التصرف فيه.

وربما يستدلون أيضاً بما رواه أحمد عن أبي وائل، من أن الخوارج قد طلبوا الهجوم على الذين اعتصموا بالتل، وذلك بعد

---

(1) راجع: المصدر السابق.

(2) الإمامة والسياسة ج1 ص148.

القبول بالتحكيم من قبل علي «عليه السلام»[1].

ولكنه استدلال باطل.. إذ أن الرواية لم تذكر لنا شيئاً عن حقيقة ما جرى حينما رفعت المصاحف، فهل بادر علي «عليه السلام» للقبول من دون ضغوط من أحد، أو أنه قبل ذلك بعد أن اعتزله أكثر جيشه، ولم يبق معه سوى أهل بيته «عليهم السلام»، ونفر يسير، وهدده أولئك المعتزلون له بأن يسلموه إلى معاوية، وفرضوا عليه قبول التحكيم. فلا بد من الرجوع إلى نصوص أخرى لتعرفنا بما جرى لنجد أن الذين فعلوا ذلك هم أنفسهم الذين عادوا واعترضوا عليه لقبوله منهم ما فرضوه عليه.

تبرئة الخوارج، وإدانة علي عليه السلام:

ويدّعي البعض: أن الأشعث بن قيس المتواطئ مع معاوية، هو الذي أرغم علياً «عليه السلام» على قبول التحكيم، ثم حرَّضه على قتل الخوارج، والوقيعة بهم في النهروان، وبذلك يكون قد حرمه من خيرة جنده، وأكثرهم إخلاصاً لقضيته[2].

ونقول:

إن هذا البعض يريد أن يظهر علياً «عليه السلام» على أنه لعبة بيد الأشعث، ثم هو يريد تبرئة الخوارج من جريمة الإصرار على

---

(1) مسند أحمد ج3 ص485 و 486.

(2) راجع قضايا في التاريخ الإسلامي ص56 ونقله أيضا عن البرادي ص66 وراجع أيضاً: ص60 و 79 و 81.

علي «عليه السلام» بقبول التحكيم، ثم تكفيره لأجل هذا القبول بالذات.

أضف إلى ذلك: أنه قد أظهر الخوارج على أنهم الفئة المظلومة المعتدى عليها وأنهم قد ارتكبت جرائم خطيرة بحقهم.

ثم أدان علياً بارتكاب جريمة قتل ومذبحة جماعية في حقهم.

ويزيد من قبح هذه الجريمة كونهم كما قرره هذا القائل هم خيرة جند علي «عليه السلام».

ومما يجعلها أكثر قباحة وبشاعة: أن هؤلاء هم أكثر جند علي اخلاصاً لقضيته «عليه السلام».

ونقول:

إنه لم يشر إلى سبب اعتزال هؤلاء الذين زعم أنهم من المخلصين لعلي في النهروان.

ولا اهتم بالنصوص المتواترة الدالة على أنهم هم الذين رفضوا الاستمرار في قتال معاوية، وفرضوا التحكيم على علي «عليه السلام»، ثم اعتبروا ذلك كفراً.

ومن أين عرف أن أهل النهروان هم خيرة جند علي «عليه السلام» ؟! وكيف يستطيع التوفيق بين دعواه هذه، وبين قول الأشتر: إنهم أراذل أهل العراق، وذلك حينما قال لهم: قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم.

ولم يدلنا على مستنده العلمي القادر على ردّ كل تلك الحقائق التاريخية الدامغة، التي تناقضه وتنافيه.

كما أننا لا ندري ما السبب في اهتمام هذا الكاتب بتبرئة الخوارج، وتلميع صورتهم، ثم تجريم علي «عليه السلام»، واتهامه بارتكاب جريمة إبادةٍ للخيرة من جنده، ولأكثر الناس إخلاصاً لقضيته.

وكيف أصبح الذين كفرّوا علياً واعتزلوه، ونصبوا له الحرب أكثر الناس إخلاصاً للقضية.

تورية علي عليه السلام، وشائعات الخوارج:

ويدّعي المعتزلي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد قال للخوارج كلاماً محتملاً لأكثر من وجه، ولكن الأشعث اضطره إلى التصريح، فكان ذلك سبب النهروان حيث ذكر أنه «عليه السلام» قصدهم إلى أماكن تجمعهم، وسأل أولاً عن الرجل الذي هم به اشد إطافة، فطلبوا منه أن يتوب، فقال لهم:

«أنا استغفر الله من كل ذنب».

فرجعوا معه، وهم ستة آلاف.

فلما استقروا بالكوفة أشاعوا: أن علياً «عليه السلام» رجع عن التحكيم، ورآه ضلالاً.

وقالوا: إنما ينتظر أمير المؤمنين أن تسمن الكراع، وتجبى الأموال، ثم ينهض بهم إلى الشام.

فلما طالبه الأشعث بذلك أعلن بتكذيبه، فخرجت حينئذٍ الخوارج

من المسجد فحكّمت[1].

وقد اختصر ابن الأثير هذا الحديث بصورة أخلت بمضمونه، فراجع[2].

إذن، فقد تضمنت هذه الرواية أموراً هي:

1 ـ أن علياً «عليه السلام» قد مارس أسلوب التورية، لدرء الفتنة، دون أن يكون قد أظهر خلاف قناعاته، ودون أن يتنازل عن مبادئه.

2 ـ أن الأشعث قد مارس أسلوباً خبيثاً ألجأ أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى التصريح بما لم يكن مضطراً قبل ذلك إلى التصريح به.

3 ـ إن الخوارج قد أشاعوا أمراً لم يتفوه به علي «عليه السلام» ولم يشر إليه، ولا يعبر عن حقيقة موقف علي «عليه السلام».

4 ـ إن علياً «عليه السلام» يبادر إلى مواجهة رأس الخوارج الذين هم به أشد إطافة؛ وذلك من أجل أن يحسم مادة النزاع، بقطع رأس الافعى، حيث إن سقوط هذا الرأس لا يبقي لهم أي عذر أو مبرر للتشكيك والخلاف، حيث لا يبقى أمامهم أشخاص آخرون يرون أنهم أدرى من زعيمهم الأكبر بالمصلحة، واعرف بواقع الأمور.

وكذلك لا يبقى ثمة من يقدر على اجتذاب الناس إليه، بإثارة الشبهات، وإعطاء أمل كبير بنصرٍ يطمحون إليه، أو حلم عذب

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج12 ص279 والحديث المذكور أوردناه مع مصادره في فقرة أخرى من هذا الكتاب، فراجع.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص328.

يراودهم، يأملون تحقيقه في يوم من الأيام.

استطراد يفيد في جلاء الصورة:

وإن تزوير الخوارج للحقائق، لا يحتاج إلى مزيد بيان ولم يكن هذا التزوير المشار إليه في هذه الرواية هو الوحيد في سلسلة أكاذيبهم ويكفي أن نذكر أنهم أنفسهم يعترفون: بأنهم كانوا إذا كان لهم هوى في أمر صيروه حديثاً..

وقد استمرت عملية التزوير والتجني عبر الأحقاب والأجيال، حيث عمد مؤرخو الخوارج في الكتب التي وضعوها: «إلى التحامل على علي، وصوروه كقائد هزيل، متردد، ضعيف الشخصية، مسلوب الإرادة»[1].

العجب هو الداء الدوي:

ولعل ما كان يتظاهر به الخوارج من عبادة، وصلاة كان يبعث في نفوسهم المزيد من العجب والغرور، حتى ليخيل إليهم أن ما يأتونه هو الصلاح والخير وأن ما يعتقدونه هو الصواب والحق الذي لا محيص عنه.. ويجب على كل أحد أن يلتزم به، وأن يتبعهم فيه.

أو على الأقل كانت العبادات القاسية لعدد منهم، بمثابة جرعةٍ للآخرين من شبابهم، تجعلهم يعيشون خيالات حالمة ولذيذة تزيدهم تصلباً في موقفهم، ورضا بنهجهم، واستسلاماً لما يدعونهم إليه أولئك

---

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي للدكتور محمود اسماعيل ص66.

الذين كانوا يتظاهرون بالعبادة والتقوى.

تبريرات الخوارج:

لقد ارتبك المحكّمة (الخوارج) في تبرير موقفهم من أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد عرف عنهم أنهم قد برروا ذلك بأن علياً قد حكّم الناس في دين الله، وأن ذلك قد أوجب كفره وخروجه من الدين.. بل زادوا على ذلك: أنهم هم أيضاً قد كفروا معه حين أجبروه على قبوله. فلابد له ولهم من التوبة.. وهم قد تابوا وبقي عليه هو أن يفعل ذلك..

وقد أوضح لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكذلك ابن عباس، أنهم مخطئون في تصورهم هذا، وأنه «عليه السلام» لم يحكم الرجال في دين الله، وإنما حكم القرآن.. وعلى فرض أنه قد حكم الرجال، فإن ذلك ليس بالأمر الموجب للكفر، إذ قد حكّم الله سبحانه الرجال في أكثر من مورد أشار القرآن إليه.

ومع أن الخوارج لم يجدوا ما ينفع في رد هذه الحجة، فإنهم التجأوا إلى الإصرار والعناد، ثم بادروا إلى الفساد والافساد كما سنرى.

علي عليه السلام يضيع الوصية:

وعلى كل حال.. فإن مما برر به الخوارج حربهم لعلي «عليه السلام» هو: أنه كان وصياً فضيع الوصية.. الأمر الذي يدل على مدى رسوخ أمر الوصية لعلي «عليه السلام» بالإمامة في قلوب

الناس وعقولهم.. فقد ورد أن من جملة ما احتجوا به لحربهم إياه أن قالوا: «إنه كان وصياً، فضيّع الوصية ».

أو قالوا ـ حسب نص آخر ـ: «زعم أنه وصي فضيّع الوصية».

فأجابهم «عليه السلام» بقوله:

«أما قولكم: إني كنت وصياً، فضيّعت الوصية[1]، فإن الله عز وجل يقول: **(وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**[2].

أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج إليه أحد، كان البيت يكفر؟! إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر، وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركي لكم»[3].

وواضح: أن هذا التبرير الذي التجأ إليه هؤلاء القوم يثير أمامنا نقطتين هامتين لا بد من الوقوف عندهما:

---

(1) هذا التعبير يشير إلى أن كلمة «زعم» الموجودة في النص الثاني غير صحيحة، وأن الصحيح هو أنهم قالوا: إنه كان وصياً الخ..

(2) الآية 97 من سورة آل عمران.

(3) راجع: مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص409 و 413 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص192 والمسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ص70 و 71 والإحتجاج ج1 ص276 و 278 والبحار طبعة حجرية ج8 ص561 وبهج الصباغة ج7 ص136 و 171 و 172 وعبارة الإحتجاج هكذا: «وأما قولكم: إني كنت وصياً، فضيعت الوصية، فأنتم كفرتم، وقدمتم علي، وأزلتم الأمر عني، وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم، إنما يبعث الله الأنبياء، فيدعون إلى أنفسهم، وأما الوصي، فمدلول عليه الخ..».

إحداهما: أن الوصاية التي يتحدثون عنها إنما هي وصاية إمامة وخلافة، لأن التحكيم إنما يضيع هذا النوع من الوصية، لأنه يهدف إلى إثبات الأحقية بالإمامة لأحد الفريقين، فهم يدعون على علي «عليه السلام» أنه بقبوله للتحكيم قد ضيع الوصية الثابتة له بنص من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وليس المراد تضييع الوصاية بأمور شخصية، لأن ذلك لا ربط له بالتحكيم..

وهذا المعنى هو الذي يقصد من الوصية حين تذكر في مقام الاحتجاج، ويترنم بها الشعراء.. كما سنرى..

الثانية: إنه يدل على أن أمر الوصاية لعلي «عليه السلام» قد كان من المسلمات في صدر الإسلام حيث كان الموالون لعلي «عليه السلام» يحتجون ويباهون بهذا الأمر، ولم نجد أحداً حاول إنكار ذلك، أو الاعتراض، ولو بمثل القول، بأن ذلك غير ثابت، أو أنه يحتاج إلى شاهد أو دليل.

الشعر.. والوصية:

وقد ذكر ابن أبي الحديد قائمة طويلة من الأشعار التي ذكرت أمر الوصية لعلي «عليه السلام»، والتي قيلت في صدر الإسلام.

ونحن نكتفي بما ذكره، ونقتصر على الأبيات التي هي محل الشاهد، فنقول:

قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ومنا علي ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه

وصي النبي المصطفى وابن عمه فـمن ذا يـدانيـه ومـن ذا يقـاربـه

وقال عبد الرحمن بن جعيل:

لعمري لقـــد بايعتم ذا حفيظـةٍ علــى ادين معـروف العفــاف موفقـا

علياً وصي الـمصطفى وابن عمه وأول مــن صــلى أخـــا الدين والتقى

وقال أبو الهيثم بن التيهان، وكان بدرياً:

إن الـــوصي إمـامــنـا وولينـا بــــرح الـــخفاء، وباحـــت الأســـرار

وقال عمر بن حارثة الأنصاري، وكان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل، وقد لامه أبوه «عليه السلام» لما أمره بالحملة، فتقاعس:

أبـا حسـن أنـت فصل الأمــور يــبين بــك الحل والـمحــرم

إلى أن قال:

فــأعجلـته والـــفتى مــجمع بما يــكره الـــرجل المحــجم

سمي الــنبي وشـــبه الـوصي[1] ورايــــتـــه لـــــونـها العــندم

وقال رجل من الأزد يوم الجمل:

هـذا عـــــلي وهـو الـوصــي آخــــاه يـوم الـنـجوة الــنبي

---

(1) أي أن محمد بن الحنفية يشبه أباه الذي هو الوصي.

وقال: هذا بعدي الولي   وعاه واع ونسي الشقي

وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبة، شاب معلم، من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بن ضبة أعداء علي   ذاك الذي يعرف فينا بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي   ما أنا عن فضل علي بالعمي

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، وكان في عسكر علي «عليه السلام»:

أية حرب أضرمت نيرانها   وكسرت يوم الوغى مرّانها

قل للوصي أقبلت قحطانها   فادع بها تكفيكها همدانها

هم بنوها وهم إخوانها

وقال زياد بن لبيد الأنصاري يوم الجمل، وكان من أصحاب علي «عليه السلام»:

كيف ترى الأنصارفي يوم الكلب   إنا اناس لا نبالي من عطب

ولا نبالي في الوصي من غضب   وإنما الأنصار جدلاً لعب

هذا علي وابن عبد المطلب   ننصره اليوم على من قد كذب

من يكسب البغي فبئسا اكتسب

وستأتي أبيات حجر بن عدي أيضاً:

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري، ذو الشهادتين ـ وكان بدرياً ـ في يوم الجمل أيضاً:

يا وصي النبي قد أجلت الحر   بالأعادي وسارت الأضعان

واستقامت لك الأمر سوى الشام   وفي الشام يظهر الأذعان

وقال خزيمة أيضاً في يوم الجمل:

أعائش خلي عن علي وعيبه   بما ليس فيه إنما أنت والده

وصي رسول الله من دون أهله   وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل أيضاً:

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت   حرب الوصي وما للحرب من آسي

الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت   تلك القبائل أخماساً لأسداس

وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل، في خطبة الحسن بن علي «عليه السلام» بعد خطبة عبد الله بن الزبير:

حسن الخير يا شبيه أبيه   قمت فينا مقام خير خطيب

إلى ان قال:

وأبـــى الله أن يقوم بـما قـام بــــه ابـن الـــوصي، وابــن النجيب

ان شخصاً بـين النبي لك الـخير وبيــن الـــوصي غـــير مشــوب

وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:

أضـربكم حـتى تـــقروا لـعلي خـــير قـريش كـلها بـعد النبي

مـن زانــه الله وســـماه الوصي إن الـــولي حـافـظ ظـــهر الـــولي

كمـا الغوي تابع أمــر الـــغوي

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف، لوط بن يحيى، في كتاب: وقعة الجمل. وأبو مخنف من المحدثين، وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها.

ومما رويناه من أشعار صفين، التي تتضمن تسميته «عليه السلام» بالوصي ما ذكره نصر بن مزاحم المنقري، في كتاب «صفين »، وهو من رجال الحديث.

قال زحر بن قيس الجعفي: «ونسبها في موضع آخر إلى جرير بن عبد الله البجلي»(1):

فــصلى الإلـــه عـلى أحمــد رسـول الملـــيك تـــمام النعم

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة، ط دار مكتبة الحياة ج1 ص553.

رسـول المليك ومـن بـعده   خليفتنا القـائـم المدّعـم

علياً عنـيت وصـي الـنبـي   نجالد عنـه غـواة الأمـم

قال نصر: ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس:

أتـانا الـرسول رسـول الإمام   فـسرّ بـقدمـه المسلمونـا

رسـول الـوصي وصـي النبي   لـه السـبق والفضـل فـي المـؤمنينا

ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضاً:

أتـانا الـرسول رسول الوصـي   عـلي المـهذب مـن هـاشـم

وزيـر الـنبي وذو صـهـره   وخيـر الـبـرية والـعالم

وسيأتي شعر أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وقال جرير بن عبد الله البجلي شعراً، بعث به إلى شرحبيل بن السمط، من أصحاب معاوية، وقد جاء فيه:

مـقال ابـن هـند في علي عضيهة   ولله فـي صدر ابن أبـي طالب أجل

وما كـان إلا لازماً قـعر بيته   إلـى أن أتـى عثمان في بيتـه الأجل

وصي رسول الـلـه من دون أهلـه   وفـارسه الـحامي بـه يضـرب المثل

وقال النعمان بن عجلان الأنصاري:

كيف التفرق والوصـي أمـامنا   لا كيف إلا حيـرة وتخـاذلا

لا تغبنن عقولـــكم لا خير فـــي مــن لــم يكــن عنــد البلابــل عاقـــلاً

وذروا معـــاوية الغويّ وتـــابعوا ديـن الــوصي لتحمدوه آجـلاً

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي

ألا ابلغ شـرحـــبيل بــن حربٍ فــما لك لا تـهش إلا الضــراب

فـإن تسلم وتـــبق الـدهر يوماً نـــزرك بجحفل عدد الــتراب

يقودهم الـوصي إلــيك حــتى يــــردك عن ضلال وارتيـــاب

ويقول المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

فيكم وصي رسـول الله قائدكم وصـــهره وكـــتاب الله قـــد نشرا

ويقول عبد الله بن العباس بن عبد المطلب:

وصي رسول الله من دون أهله وفارســه إن قيــل: هــل مــن منازل

قال المعتزلي: «والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً، ولكننا ذكرنا منها ها هنا بعض ما قيل في هذين الحزبين. فأما ما عداهما، فإنه يجل عن الحصر، ويعظم عن الإحصاء والعدد. ولولا خوف الملالة والإضجار، لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة»(1).

وقد ذكر المعتزلي نفسه في نفس الكتاب موارد أخرى، نذكر

---

(1) جميع ما تقدم قد ذكره المعتزلي في شرح نهج البلاغة، ط دار مكتبة الحياة ط سنة 1963 ج1 ص128 و 133 والبحار ج38 ص20 و 26 عنه.

منها ما يلي:

قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، مجيباً للوليد بن عقبة بن أبي معيط:

وإن ولي الأمر بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى، ومن لان جانبه

وقال خزيمة بن ثابت في هذا:

وصي رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وأول من صلى من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منن[(1)]

وقال زفر بن بن يزيد بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانصروه فإنه وصي وفي الإسلام أول أول[(2)]

وقال النعمان بن العجلان، مخاطباً عمرو بن العاص، وذلك بعد بيعة السقيفة، في جملة قصيدة له:

وكان هوانا في علي وإنه لأهل لها يا عمرو من

---

(1) شرح نهج البلاغة ج4 ص227 و 228 ط دار مكتبة الحياة سنة 1964.

(2) المصدر السابق ج4 ص228.

حيث لا تدري

فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى وينهـى عـن الفحشـاء والبغي والنكر

وصي النبي المصطفى وابن عمه وقـاتل فرسـان الضلالة والـكفر[1]

وقال حسان بن ثابت:

ألست أخاه في الهدى ووصيه وأعلـم منـهم بالكتـاب وبالـسنن[2]

وقال حجر بن عدي الكندي في يوم الجمل أيضاً:

يا ربنا سـلم لنـا علياً سلم لنا المهذب التقيـا

الـمؤمن المسترشد الرضيـا واجعلـه هـادي أمـة مهدياً

احفـظه رب حفظك النبيا لا خـطل الرأي ولا غـبياً

فـإنه كـان لـنا ولـياً ثـم ارتضـاه بـعده وصـياً[3]

وقال المنذر بن أبي خميصة الوداعي مخاطباً علياً:

لـيس منا من لم يكن لك في الله ولـياً يـا ذا الـولا والوصـية[4]

---

(1) المصدر السابق ج2 ص280.

(2) المصدر السابق ج2 ص283.

(3) المصدر السابق ج2 ص828 وج1 ص129 و 130.

(4) المصدر السابق ج2 ص828.

بل إن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه قد ذكر الوصية له في الشعر، فقال: في أمر بيع عمرو بن العاص دينه لمعاوية:

يا عجبـــا! لقد سمعت منـكرا كـــذبا على الله يشيب الشــعرا

يـسترق السمع ويغشى الـبصرا مـــا كـان يرضـى أحمـد لـو أخـبرا

أن يـــقرنوا وصيـه والأبـــترا شـــاني الرســـول واللعـــين الأخزرا

كلاهما في جنه قـــد عـــسكرا قـــد بـاع هـذا دينـــه فـأفجـرا

من ذا بدنيا بيعـــه قد خـــسرا بملك مصران أصـــاب الظفــرا

الـــخ..[1].

واللافت هنا: أن ابن أبي الحديد نفسه قد قرر هذه الوصاية في شعره، فقال:

وخير خـلق الله بعد المصـطفى أعظـمهـم يــوم الفخـار شرفـا

الــسيد الـــمعظم الوصـــي بعـــل الـــبتول المــــرتضى عـــلي

وابناه، الـــخ.. [2].

ولو أردنا استقصاء ذلك في مصادره لاحتجنا إلى وقت طويل

---

(1) المصدر السابق ج1 ص324 و 132.

(2) المصدر السابق ج3 ص645.

ولنتج عن ذلك ما يملأ عشرات الصفحات..

أما في غير الشعر، فالأمر أعظم وأعظم.. ولعل ما ذكرناه يكفي لمن ألقى السمع وهو شهيد.

بذرة الخوارج متى كانت:

إن الظهور السافر للخوارج، وإن كان قد حصل في صفين، في حادثة رفع المصاحف، ثم التحكيم.. ولكن الحقيقة هي أن قلوبهم قد تغيرت قبل هذا الوقت، وبالذات في حرب الجمل، حيث فاجأهم موقف علي «عليه السلام» تجاه السبي والغنائم في تلك الحرب.

بل يمكن القول: إن ذلك قد بدأ منذ توليه «عليه السلام» للخلافة، حينما خالف سيرة عمر بن الخطاب ـ المعظم عندهم جداً ـ في العطاء، حيث ساوى بين الناس، ولم يفضل أحداً على أحد، فاعترضوا عليه. وكان هذا الأمر مما طالبوه به في حرب الجمل، فقالوا له: أعطنا سنة العمرين[1]. فأبى «عليه السلام» إلا أن يعطيهم سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

في حرب الجمل:

أما بالنسبة لما جرى في حرب الجمل، واعتراضهم على أمير المؤمنين «عليه السلام» في أمر الغنائم، فإنه صريح في حقيقة ما كان يعتلج في نفوسهم، وقد صرحوا به بعد التحكيم بعد خروجهم عليه

---

(1) قد تقدم هذا النص ومصادره في فصل سابق فراجع.

صلوات الله وسلامه عليه..

فهؤلاء، قوم قد طغت عليهم أطماعهم، وكانوا يعانون من الجهل والغباء، ولاسيما بالنسبة للأحكام الإسلامية، ثم قلة الدين، لم يستطيعوا أن يفهموا سرّ حرمان علي «عليه السلام» إياهم من السبي مادام قد أعطاهم من الغنائم في حرب الجمل، أو أنهم لم يمكنهم تقبل هذا الحرمان:

يقول النص التاريخي: «..فأتاهم علي في جيشه، وبرزوا إليه بجمعهم، فقال لهم قبل القتال: ماذا نقمتم مني؟!

فقالوا: أول ما نقمنا منك: أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم، ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم؛ فكيف استحللت مالهم، دون نسائهم والذرية؟!

فقال: إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة، قبل قدومي عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا. وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام، ولم يكن منهم ردّة عن الإسلام؛ ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد.. لو أبحت لكم النساء، أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟!

فخجل القوم من هذا الخ..»[1].

---

(1) الفرق بين الفرق ص78 وراجع: الفتوح لابن اعثم ج4 ص122 و 123 وقرب الإسناد - ط حجرية ص62، والبداية والنهاية ج7 ص282 وراجع ص245 وفيها: أنهم سألوه أن يقسم فيهم أموال طلحة والزبير، فأبى فطعنوا عليه الخ، وذخائر العقبى ص232 وأنساب الأشراف بتحقيق

وتذكر بعض المصادر: أن اعتراضهم إنما كان على ابن عباس، فأجابهم بما ذكرناه آنفاً[1].

المحمودي ج2 ص360 و 262 والجمل ص216 و 217 والمناقب لابن شهر آشوب ج1 ص268 وجواهر الأخبار والآثار المطبوع بهامش البحر الزخار ج6 ص417 عن المعتزلي الحنفي وغيره وص420 و 421 وأحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري ص181 و 182 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج3 ص545 و 543 والكامل للمبرد ج3 ص238 والعقد الفريد ج4 - ص331 وتلبيس إبليس ص92 وكنز العمال ج11 ص309 و 325 و 326 و 327 و 330 والبحار طبع قديم ج8 ص564 و 565 و 570 و 573 عن كشف الغمة وغيره، والمسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ص70 وجامع بيان العلم ج2 ص127 و 128 وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، بتحقيق المحمودي ج3 ص151 و 156 والمصنف ج1 ص158 و 159 ومستدرك الحاكم ج2 ص151 وتلخصيه للذهبي بهامش نفس الصفحة والخصائص للنسائي ص146 و 148 والمناقب للخوارزمي ص184 والكامل لابن الأثير ج3 ص259 و 255 والفصول المهمة لابن الصباغ ص66 و 67 و 93 و 96، والإمامة والسياسة ج1 ص77 و 149 وتذكرة الخواص ص99 وراجع ص105 وكشف الغمة ج1 ص265 والبدء والتاريخ ج5 ص223 و 224 والفائق ج4 ص129 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص408 و 410 وبهج الصباغة ج7 ص171 و 172 عن المسترشد. وراجع ص176 عن المبرد، والوسائل ج11 ص58 و 59 - باب25 الجهاد حديث 5 و 7. وجواهر الكلام ج21 ص336 و 337.

(1) راجع: مجمع الزوائد ج6 ص240 وخصائص الإمام أمير المؤمنين «عليه

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال: «وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم فهو ميراث لذريتهم، فإن عدا علينا أحد منهم اخذناه بذنبه، وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره، يا أخا بكر، لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أهل مكة، قسَّم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك، وإنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل..»

إلى أن قال: «فإن أنتم لم تصدقوني وأكثرتم علي، ـ وذلك أنه تكلم في هذا الأمر غير واحد ـ فأيكم يأخذ عائشة بسهمه»؟

إلى أن قالت الرواية: «وتنادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد»[(1)].

وفي نص آخر: أن الخوارج «لعنوا علياً في تركه اغتنام أموالهم، وسبي ذريتهم، ونسائهم»[(2)].

السلام» للنسائي ص147 و 148 والمناقب للخوارزمي ص184 و 185 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص151 وعن: البداية والنهاية ج7 ص276 و 281 وعن تاريخ اليعقوبي ج2 ص167 وعن المناقب لابن شهر أشوب ج1 ص267.

(1) أحاديث أم المؤمنين عائشة ص181 و 182 عن كنز العمال ج8 ص215 و 217 ومنتخبه ج6 ص315 و 331 وراجع جواهر الأخبار والآثار المطبوع بهامش البحر الزخار ج6 ص420 و 421 والبحار (ط قديم) ج8 ص564 و 565.

(2) الملل والنحل ج1 ص116 وأحاديث أم المؤمنين عائشة ج1 ص188 عنه وعن الفرق ص58 وعن التبصير ص27.

من سيرة علي عليه السلام في حرب الجمل:

ولتوضيح ما صنعه علي «عليه السلام» في غنائم حرب الجمل، وهو ما أثار حفيظة الخوارج نقول: إنهم يقولون: إنه «عليه السلام»: «لما قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع؛ فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، هذه الفرس لي كانت، وإنما أعرتها لفلان، ولم أعلم أنه يخرج عليها؛ فسأله البينة على ذلك؛ فأقام البينة: أنها عارية، فردها، وقسم ما سوى ذلك»(1).

ويقولون أيضاً: «..فجعلوا يمرون بالذهب والفضة في معسكرهم، والمتاع لا يعرض له أحد، إلا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به، والدواب التي حاربوا عليها. الخ..»(2).

«وجمع ما كان في العسكر من شيء ثم بعث به إلى مسجد البصرة، أن من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان، فإنه مما بقي ما لم يعرف، خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل، لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شيء، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفل من السلطان»(3).

وقال المسعودي: «..وقبض ما كان في معسكرهم من سلاح،

---

(1) الجمل ص216 و 217.

(2) الأخبار الطوال ص151.

(3) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج3 ص543 وراجع ص545 وراجع البداية والنهاية ج7 ص245 والكامل لابن الأثير ج3 ص255 و 259 والفصول المهمة لابن الصباغ ص67.

ودابة، ومتاع، وآلة، وغير ذلك، فباعه وقسمه بين أصحابه، وأخذ لنفسه، كما أخذ كل واحد ممن معه من أصحابه، وأهله، وولده خمس مئة درهم؛ فأتاه رجل من أصحابه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إني لم آخذ شيئاً، وخلفني عن الحضور كذا، وأدلى بعذره، فأعطاه الخمس مئة التي كانت له»[1].

نعم.. إن سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام» في مثل هذه المواقع هي سيرة الإسلام المحمدي الأصيل، وهي منة من الله سبحانه على عباده لا بد لهم أن يعرفوها ويعترفوا بها ليخلصوا له العبادة، وليتحسسوا عظمة الإسلام، ولأجل ذلك نجده «عليه السلام» يسعى إلى تنبيه الناس إلى ذلك، فهو يقول:

«أرأيتم، لو أني غبت عن الناس من كان يسير فيهم بهذه السيرة»؟! [2].

وعن أبي البحتري قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي:

«لا يطلبن عبد خارجاً من العسكر. وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم. وليس لكم أم ولد. والمواريث على فرائض الله. وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً.

قالوا: يا أمير المؤمنين، تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟!

فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة.

فخاصموه، قال: فهاتوا سهامكم، وأقرعوا على عائشة؛ فهي رأس

---

(1) مروج الذهب ج2 ص371.

(2) المصنف ج10 ص124.

الأمر، وقائدهم.

قال: ففرقوا، وقالوا: نستغفر الله!

فخصمهم علي»[1].

علي عليه السلام لم يخمس أهل الجمل:

ورووا أيضاً: «أن علياً لم يخمس أهل الجمل..»[2].

ولكن في نص آخر: أنه «عليه السلام» قال لهم حينما اعترضوا عليه: «وإن لكم في خمسه لغنى، فيومئذٍ تكلمت الخوارج»[3].

فالظاهر: أن من قال: إنه «عليه السلام» لم يخمس، يريد أنه لم يخمس أموالهم التي لم يقاتلوا بها، ولم تكن في الغنائم.. وكذا لم يخمس السلاح الذي للسلطان لأنه أرجعه إلى بيت المال.

ومن قال: إنه خمسهم، مراده: أنه خمس الكراع والسلاح الذي قاتلوه به.

آخر الدعاوى:

وأخيراً نقول:

إن البعض يحاول أن يدعي: أن من أهم عوامل نشوء الخوارج هو عبد الله بن سبأ، ومبادؤه، التي منها جرأته على الخلفاء والأئمة،

---

(1) كنز العمال ج11 ص326 و 327 عن ابن أبي شيبة.

(2) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج2 ص261.

(3) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج3 ص545.

والحكم بتكفيرهم[1].

ولعله أخذ ذلك من بعض المستشرقين الذي أثار هذه النقطة بالذات, ثم حاول مناقشة هذا الزعم، فكان مما ذكره:

أن الخوارج أنفسهم كانوا ينعتون خصومهم الشيعة في الكوفة بنعت السبئية تحقيراً وذماً لهم [2].

ونقول:

لا ندري من أين تأكد لهؤلاء: أن ابن سبأ قد ترك هذا الأثر العظيم في الخوارج وفي غيرهم، وبهذه السرعة الفائقة؟! حتى أصبحت نحلة السبأية ديناً شائعاً، ووصفاً مشيناً ينعت به هذا الفريق من الناس؛ وذاك؟!

وابن سبأ إنما غالى في أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلاقى جزاءه على يد أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه؟!

وحديث الجرأة على الخلفاء، والأئمة قد بدا من عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حينما قيل له «صلى الله عليه وآله» وهو في مرض موته: إن النبي ليهجر. وقبل ذلك حين كانوا يعترضون عليه في الحديبية، ويقولون لا نعطي الدنية في ديننا، وغير ذلك.

وأية مبادئ جاء بها ابن سبأ، وبثها بين الناس يمكنهم أن يثبتوها بالدليل وبالحجة؟!

---

(1) راجع: أدب المعتزلة ص27 و 28 وهامش ص24.

(2) راجع: الخوارج والشيعة ص38. وارجع في الهامش إلى تاريخ الأمم والملوك للطبري ج2 ص43.

ولماذا تعلموا من ابن سبأ الجرأة على الخلفاء، ولم يتعلموا غلوه في أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى حد التأليه؟!

وإذا كان الخوارج ينعتون خصومهم بالسبئية، فكيف يأخذون من ابن سبأ وعنه مبادئه. ويتأثرون بحالاته؟!

الفصل الثاني:

قبل المواجهة

سياسات علي عليه السلام مع الخوارج:

لم يكن علي «عليه السلام» ذلك الرجل الذي يريد أن تكون له السلطة والهيمنة القاهرة التي يحبس معها الناس أنفاسهم خوفاً ورعباً. بل هو يريد أن يحفظ الأمن، وأن يربي الناس، ويعلمهم، ويهديهم سبيل الرشاد، والسداد، وأن يحكم فيهم بحكم الله سبحانه، ويفقههم في الدين.

إنه لا يريد أن يخاف الناس منه، بل يريدهم أن يخافوا الله سبحانه. ولا يريد منهم مراعاة خواطره، والتأقلم مع مزاجه، بل يريدهم أن يراعوا التوجيه الإلهي، والحكم الشرعي. وأن يحفظوا دينهم، وأنفسهم.

ولأجل ذلك، فهو لا يخشى على ضياع شيء احتفظ به لنفسه يخاف فقده. وليس في حياته نقطة ضعف يخشى اطلاع الناس عليها.

إذن، فلماذا لا يعطي الناس حرية الكلام، والجهر بما يضمرونه، والافصاح عما يفكرون به ويتصورونه؟!

وحتى لو كان الحاكم الإسلامي غير معصوم فلماذا يمنع الناس من مطالبته بتصحيح الخطأ، وإعادة الأمور إلى نصابها.

نعم، وهذا هو مبدأ علي «عليه السلام» في سياساته مع الخوارج وغيرهم، فقد رووا: أن رجلاً من الخوارج جاء إلى علي «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يسبك.

قال: فسبه كما سبني.

قال: ويتوعدك.

قال: لا أقتل من لم يقتلني.

ثم قال: لهم علينا ثلاث: أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء مادامت أيديهم في أيدينا. وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا[1].

تحرك الخوارج.. خلاصة تاريخية:

ولأجل أن تتضح الأمور لا بد من العودة إلى النصوص التاريخية لنستنطقها، ولنتعرف من خلالها على سير الأحداث.. فنقول:

إنه حين بلغ علياً «عليه السلام» ما جرى بين أبي موسى وعمرو بن العاص في دومة الجندل كتب «عليه السلام» إلى ابن الكواء، والراسبي، وزيد بن الحصين، ومن معهم من الناس، يطلب منهم الالتحاق به، ليتوجه إلى حرب معاوية.

فرفضوا ذلك، وقالوا له: إنما غضبت لنفسك، وطلبوا منه أن

---

(1) كنز العمال ج11 ص287 و 308 عن أبي عبيد، والبيهقي، وابن أبي شيبة.

يشهد على نفسه بالكفر، ثم ينظرون فيما بينهم وبينه، فأيس «عليه السلام» منهم.

ويقولون: إنه «عليه السلام» «رأى أن يدعهم، ويمضي بالناس إلى أهل الشام، فيناجزهم. فقام في أهل الكوفة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن من ترك الجهاد.. الخ..».

«فبينما علي (رض) معهم في الكلام، أتاه الخبر: أن الخوارج خرجوا على الناس. وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبقروا بطن امرأته، وهي حامل. وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أم سنان.

فلما بلغ علياً (رض) ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي، ليأتيهم، وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه، ولا يكتمه شيئاً من أمرهم.

فلما دنا منهم، وسألهم قتلوه. وأتى علياً (رض) الخبر بذلك وهو بمعسكره فقال الناس: يا أمير المؤمنين، على ما ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا، وعيالنا؟! سر بنا إليهم، فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام.

وجاءهم منجم يقال له: مسافر بن عدي الأزدي. فطلب منه أن يسير إليهم في ساعة معينة، وإلا فإنه سيلقى وأصحابه ضرراً شديداً، ومشقة عظيمة. فخالف علي (رض)».

ثم لما قرب منهم طلب أن يسلموه قتلة إخوانه ليقتلهم بهم، ويكف عنهم حتى يلقى أهل الشام، فلعل الله أن يأخذ بقلوبهم ويردهم إلى خير

مما هم عليه.

فقالوا: كلنا قتلناهم، وكلنا مستحلون لدمائكم، وأموالكم، ودمائهم.

ثم كلمهم قيس بن سعد بن عبادة، فلم يستجيبوا الخ..[1].

وقد لخص أمير المؤمنين «عليه السلام» ما جرى بينه وبين الخوارج في كلام وجهه إلى أصحابه فكان مما قال:

«حتى إذا عاثوا في الأرض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا.

فقالوا: كلنا قتلهم، وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم.

وشدت علينا خيلهم ورجالهم؛ فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين. ثم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم، فإنه أفزع لقلوبهم، وأنهك لمكرهم، وأهتك لكيدهم، فقلتم.. الخ..»[2].

ونلاحظ هنا: أن ما فعله «عليه السلام» حيث أمرهم بالمضي من فورهم إلى عدوهم، مع ملاحظة الأمور التي ذكرها.. قد جاء مطابقاً لفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث لاحق جيش أبي سفيان بعد أحد حتى بلغ حمراء الأسد، وكان الذين معه هم خصوص من أصيبوا في غزوة أحد، كما هو معلوم، فراجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي للإطلاع على تفاصيل ما جرى.

---

(1) نور الأبصار ص101 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص90 و 92. وغير ذلك كثير.

(2) الإمامة والسياسة ج1 ص157 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص367 و 368.

أذى الخوارج لعلي عليه السلام:

وحين يواجه الإنسان التحدي من الآخرين، والتعدي عليه من دون مبرر مقبول أو معقول.. ويكون غير قادر على رد التحدي، والثأر لنفسه، فليس له أن يدعي: أن هذا الضعف صفح، وأن الهروب عفو.

وأما حين يكون قادراً على ردع المعتدي. فإن كان عفوه يمثل تفريطاً بما لا يحق له التفريط به، أو تشجيعاً وإغراءً بالعدوان على الضعفاء، فليس له الحق في أن يبادر إلى هذا العفو، بل لا بد له من أن يمارس الردع المؤثر والفاعل، والقوي والحاسم.

فإذا انحصر الأذى بشخصه، ثم كظم غيظه، مع قدرته على ردّ الحجر من حيث جاء، فذلك هو الصفح الجميل، والعفو عن الذنب، الذي دعا إليه الإسلام والقرآن.

وهذه هي حاله «عليه السلام» مع هؤلاء القوم، الذين كانوا يؤذونه ويصفح عنهم، ويذنبون معه، ويعتدون عليه ويعفو ويتجاوز رفقا بهم، واستصلاحاً لهم.

ومن أمثلة ذلك: أنه كان يخطب يوماً؛ فقال: «إذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه.

فوثب القوم ليقتلوه.

فقال «عليه السلام»: رويداً إنما هو سب بسب، أو عفو عن

ذنب»[1].

وقال علي بن البطريق: إن علياً «كان قد مرن على سماع قول الخوارج أنت كافر. وقد كفرت»[2].

الموقف الشرعي الدقيق:

وإن معالجة أمير المؤمنين «عليه السلام» لأمر الخوارج قد جاء النموذج الأمثل، والمثل الرائع للحكمة، والروية، والأناة والحزم، والمرونة، ثم هو التجسيد الدقيق للالتزام بحدود الله، والسياسة الربانية للعباد والبلاد.

وقد لخص «عليه السلام» موقفه من هؤلاء القوم، بعد أن ذكر أمر الحكمين، بقوله: «..فانخذلت عنا فرقة منهم، فتركناهم ما تركونا»[3].

وذكر «عليه السلام» أيضا موقفه هذا بصورة أكثر تفصيلاً، فقال: «إن سكتوا تركناهم ـ أو قال: عذرناهم ـ وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم»[4].

---

(1) الشيعة في التاريخ ص42 ونهج البلاغة ج3 ص254.

(2) راجع مصادر نهج البلاغة ج4 ص297 عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص470.

(3) الغارات ج1 ص213 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص98 والإمامة والسياسة ج1 ص177 و 135 والبحار ج30 ص2 وج33 ص571 ونهج السعادة ج5 ص245.

(4) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص352 وبهج الصباغة ج7

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» سمع رجلاً من الخوارج يقول: لا حكم إلا لله ـ تعريضاً به في التحكيم يوم صفين ـ فقال علي «عليه السلام»:

«**كلمة حق أريد بها باطل**».

ثم قال: «لكم علينا ثلاثة: لا نمنعكم مساجد الله تذكرون اسم الله. ولا نمنعكم من الفيء مادامت أيديكم معنا. ولا نبدؤكم بقتال»(1).

وحتى بعد أن انتهى من حرب النهروان فإنه «عليه السلام» لم يغير سياسته هذه معهم، فقد روي:

عن أبي خليفة الطائي، قال:

لما رجعنا من النهروان لقينا ـ قبل أن ننتهي إلى المدائن ـ أبا العيزار الطائي، فقال لعدي: يا أبا طريف، أغانم سالم؟ أم ظالم آثم؟

قال: بل غانم سالم.

قال: الحكم إذن إليك!

فقال الأسود بن يزيد، والأسود بن قيس المراديان ـ وكانا مع عدي ـ: ما أخرج هذا الكلام منك إلا شر، وإنا لنعرفك برأي القوم.

فأخذاه، فأتيا به علياً، فقالا: إن هذا يرى رأي الخوارج، وقد قال كذا وكذا لعدي.

قال: فما أصنع به؟!

ص155 و 54 و 142 والكامل لابن الأثير ج3 ص334 و 335 ونقل عن الطبري أيضاً.

(1) الإلمام ج1 ص36.

قالا: تقتله.

قال: أقتل من لا يخرج علي؟!

قالا: فتحبسه.

قال: وليست له جناية أحبسه عليها؟! خليا سبيل الرجل[1].

صلوات الله وسلامه على علي أمير المؤمنين، مثال العدل، ومعدن الفضل، ونبراس الهدى وعلم التقى. ولعن الله مناوئيه، وشانئيه، وحاسديه وأصلاهم جهنم وساءت مصيرا.

الفساد والإفساد:

وقد بذل أمير المؤمنين «عليه السلام» محاولات كثيرة، لإقناعهم بالحق، ومنعهم من شق عصا الطاعة..

و «قد خطب علي (رض) بخطب ذوات عدد» على حد قول الصنعاني[2]. وقد أورد في نهج البلاغة عدداً منها[3].

بالإضافة إلى أنه كان يحاول الاتصال بأولئك الذين يعتزمون الالتحاق بهم، وينهاهم عن ذلك، وقد «وعظهم بكل قول، وبصّرهم بكل وجه فلم يرجعوا»[4].

---

(1) تاريخ بغداد ج14 ص365 و 366.

(2) نظم درر السمطين ـ ص117.

(3) راجع على سبيل المثال: نهج البلاغة ـ الخطب رقم 121 و 123 و 118 ج2 ص7 و 11 و 2 والخطبة رقم 117 ص117.

(4) الفخري في الآداب السلطانية ص94.

ثم إنهم.. رغم ذلك كله وسواه: «قتلوا عدة نساء، وسبوا، وفعلوا أفاعيل من هذا القبيل»[1].

وقال البري التلمساني: «ثم اجتمعوا، وشقوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، وقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت ذبحاً. وقيل: إنهم ضربوا عنقه، وبقروا بطن امرأته، وهي حبلى»[2].

وقد ذكر أيضاً: أنهم قتلوا رسول أمير المؤمنين «عليه السلام» إليهم، وهو الحارث بن مرة العبدي[3].

وقتلوا ثلاث نسوة فيهن أم سنان، قد صحبت النبي «صلى الله عليه وآله». وذبحوا ابن خباب، وبقروا بطن امرأته[4].

وقال عبد الله بن شداد لعائشة، عن علي «عليه السلام»: «والله، ما بعث إليهم حتى قطعوا الطريق، وسفكوا الدماء، وقتلوا ابن خباب،

---

(1) الفخري في الآداب السلطانية ص94.

(2) الجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص103 وراجع البداية والنهاية ج7 ص288.

(3) راجع مروج الذهب ج2 ص404 و 405 والإمامة والسياسة ج1 ص147 وغير ذلك.

(4) الإمامة والسياسة ج1 ص147 ومروج الذهب ج2 ص404 وفيه: وقتلوا غيرها من النساء. والكامل لابن الأثير ج3 ص342 وذكر فيه أم سنان بالإضافة إلى النسوة الثلاث وراجع: أنساب الأشراف ج2 ص368.

واستحلوا أهل الذمة»[1].

«واعترضوا الناس، وأخذوا الأموال، والدوابّ، والكراع، والسلاح، ودخلوا القرى، وساروا حتى انتهوا إلى النهروان.

فلما لحقهم علي «عليه السلام».. أقام أياماً يدعوهم، ويحتج عليهم، فأبوا أن يجيبوا، وتعبأوا لقتاله.

فعبأ الناس، ثم خرج إليهم، فدعاهم، فأبوا، وبدأوه بالقتال، فقاتلهم، وقتلهم»[2].

ويلاحظ: أن أفاعيلهم هذه لم ترض أصحابهم أنفسهم، فإنهم: «ساروا حتى قطعوا النهروان، وافترقت منهم فرقة يقاتلون (يقتلون)الناس. فقال أصحابهم:

ما على هذا فارقنا علياً، فلما بلغ علياً صنيعهم الخ..»[3].

ولعل هذا قد سهل عودتهم، حينما وعظهم علي «عليه السلام»، واحتج عليهم، وبصّرهم.

ومهما يكن من أمر، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد قبل أن يبادر إلى حرب هؤلاء القوم أو يوضح للناس حالهم، ليكونوا على

---

(1) تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص305 والبداية والنهاية ج7 ص281 ومسند أحمد ج1 ص86 و 87 وغير ذلك من مصادر ذكرناها في موضع آخر من هذا الكتاب.

(2) جواهر الأخبار والآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار) ج2 ص371.

(3) راجع: منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5 ص429 وكنز العمال ج11 ص271 ورمز فيه إلى: (ابن راهويه. ش.ع.وصحّح).

بصيرة من أمرهم، وعلى يقين بصحة ما يقدمون عليه فأخبر الناس بأن حديث المارقة ينطبق على هؤلاء، وقال: بعد ذكره لذلك الحديث:

«..والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله»[1].

الرسول اليهودي في أمان:

ومن المفارقات أن الخوارج قد قتلوا رسول علي «عليه السلام» إليهم، وهو الحارث بن مرة العبدي ـ كما أشرنا إليه في فقرة: «الفساد والافساد». فعاد أمير المؤمنين «عليه السلام» فأرسل إليهم رسولاً من يهود السواد (وذلك لكي لا يقتلوه كما قتلوا رسوله المسلم؛ فإنهم لا يستحلون قتل غير المسلمين) فطلب منهم أن يبعثوا إليه بقتلة إخوانه، ثم يتركهم إلى أن يفرغ من معاوية.

فبعثوا إليه: «كلنا قتلة أصحابك، وكلنا مستحل لدمائهم، مشتركون في قتلهم»[2].

والظاهر: أن رسل علي «عليه السلام» إلى الخوارج كانوا

---

(1) المصنف للصنعاني ج10 ص148 وفي هامشه عن المصادر التالية: مسلم ج1 ص343 وفرائد السمطين ج1 ص276 و 116 وعن الطبقات الكبرى ج4 - قسم2 ص36 والبيهقي ج8 ص170 وكنز العمال ج11 ص280 ورمز إلى البيهقي، ومسلم، وعبد الرزاق، وخشيش، وابي عوانة، وابن أبي عاصم. وراجع: الرياض النضرة ج3 ص225 ونزل الأبرار ص60 وفي هامشه عن مسلم ج2 ص748.

(2) مروج الذهب ج2 ص405.

كثيرين. وقد ذكرت بعض المصادر: أنه «عليه السلام» أرسل إليهم البراء بن عازب، وأنه بقي يدعوهم ثلاثة أيام[1].

هذا عدا عن صعصعة، وابن عباس وقيس بن سعد وغيرهم. ممن كانوا مهتمين بمحاججتهم، ومحاولة إقناعهم.

تناقضات في موقف الخوارج:

ويذكر المؤرخون، والنص هنا لابن قتيبة: أن الخوارج «..بينما هم يسيرون، فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له؛ فعبروا إليه الفرات، فقالوا له: من أنت؟

قال: أنا رجل مؤمن.

قالوا: فما تقول في علي بن أبي طالب؟

قال: أقول: إنه أمير المؤمنين، وأول المسلمين إيماناً بالله ورسوله.

قالوا: فما اسمك؟

قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقالوا له: أفزعناك؟

قال: نعم.

قالوا: لا روع عليك، حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله، لعل الله ينفعنا به.

---

(1) تاريخ بغداد ج1 ص177.

قال: نعم، حدثني عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: ستكون فتنة بعدي، يموت فيها قلب الرجل، كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك. والله، لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً. فأخذوه وكتفوه. ثم أقبلوا به، وبامرأته، وهي حبلى متم، حتى نزلوا تحت نخل؛ فسقطت رطبة منها؛ فأخذها بعضهم؛ فقذفها في فيه.

فقال له أحدهم: بغير حل، أو بغير ثمن أكلتها؟.

فألقاها من فيه.

ثم اخترط بعضهم سيفه، فضرب به خنزيراً لأهل الذمة؛ فقتله.

قال له بعض أصحابه: إن هذا من الفساد في الأرض.

فلقي الرجل صاحب الخنزير، فأرضاه من خنزيره.

فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك، قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى؛ ما علي منكم بأس. ووالله، ما أحدثت حدثاً في الإسلام، وإني لمؤمن، وقد أمنتموني؛ وقلتم: لا روع عليك.

فجاؤوا به، وبامرأته؛ فأضجعوه على شفير النهر، على ذلك الخنزير، فذبحوه، فسال دمه في الماء.

ثم أقبلوا على امرأته، فقالت: إنما أنا امرأة، أما تتقون الله؟

فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة؛ فيهن أم سنان، قد صحبت النبي عليه الصلاة والسلام.

فبلغ علياً خبرهم؛ فبعث إليهم الحارث بن مرة؛ لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة، ويكتب إليه بالأمر.

فلما انتهى إليهم ليسألهم، خرجوا إليه فقتلوه.

فقال الناس:

يا أمير المؤمنين، تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا سيرنا إليهم، فإذا فرغنا منهم نهضنا إلى عدونا من أهل الشام»[1].

السم في الدسم:

وقد لفت نظرنا ما ذكرته بعض الروايات التي تحدثت عن ابن خباب، فهي تقول: «أتوا على عبد الله بن خباب وهو في قرية له، قد تنحى عن الفتنة، فأخذوه وقتلوه»[2].

ومع أنه سيأتي: في العنوان التالي ما يثبت عدم صحة دعوى اعتزاله في بيته، فإننا نطلب من القارئ الكريم أن يتأمل في هذا الكلام الذي ينضح بالسم، حيث يراد بكلمة «قد تنحى عن الفتنة» الإيحاء بوجود شبهة في صوابية موقف أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعدم ظهور الحق لهم حتىصح التعبير عنها بأنها فتنة..

---

(1) راجع: الإمامة والسياسة ج1 ص146 و 147 والبداية والنهاية ج7 ص288. ومصادر كثيرة أخرى سيأتي شطر منها حين نتحدث عن مفاصل من هذا النص، في دلالاتها في الفصول المختلفة.

(2) كنز العمال ج11 ص27 عن مصادر كثيرة مثل: مسدد، والطيالسي، وخشيش في الاستقامة عن أبي مجلز. ورواه ابن النجار، عن يزيد بن رويم.

وبذلك يمكن التخفيف من جريمة المارقة، وتوجيه اتهام لأمير المؤمنين «عليه السلام» في قتله إياهم..

ابن خباب من عمال أمير المؤمنين عليه السلام:

وإذا كانت هذه الرواية تقول: إنهم قد أتوا ابن خباب إلى منزله، فاستخرجوه، وقتلوه.. فإن ثمة نصوصا أخرى تقول:

إنه كان مستطرقاً، ومعه زوجته أو أم ولده، فالتقوه وقتلوه..

ولعل هذا لا يختلف عن قولهم:

إن الصريم لقي عبد الله بن خباب بالبدار ـ قرية بالبصرة ـ وهو متوجه إلى علي «عليه السلام» بالكوفة، معه امرأته، وولده، وجاريته[1].

وفي نص آخر: إن علياً «عليه السلام» كان قد أرسله عاملاً عليهم فقتلوه[2].

وهذا النص لا يتعارض مع النص الآخر الذي يقول: «..أرسله إليهم علي فقتلوه. فأرسل إليهم: أقيدونا بعبد الله فقالوا: كيف نقيدك، وكلنا قتله؟!»[3].

هذا.. وقد صرح ابن شهرآشوب: بأنه كان عاملاً لعلي «عليه

(1) مجمع الزوائد ج6 ص230.

(2) المبسوط للشيخ الطوسي ج7 ص270.

(3) تهذيب الكمال ج14 ص447.

السلام» على النهروان[1].

وإن كان المسعودي يقول: إنه رحمه الله كان عاملاً لعلي «عليه السلام» على المدائن[2].

والظاهر: أن المسعودي يتحدث عن مرحلة سابقة. بحيث يكون عاملاً لأمير المؤمنين «عليه السلام» على المدائن مدة، ثم صار عاملاً له على النهروان..

ولنا أن نحتمل: أن ولايته على النهروان لم تتم، إن أخذنا بنظر الاعتبار تعبير الطوسي رحمه الله بأن علياً «عليه السلام» قد أرسله عاملاً عليهم، فقتلوه..

تخصيص المطالبة بابن خباب:

إن مراجعة كتب التاريخ تعطينا:

أن الخوارج قد قتلوا حتى رسل علي «عليه السلام» إليهم، وهو أمر يرفضه الوجدان الإنساني، وجريمة يأنف من ارتكابها حتى أهل الجاهلية.. بل لقد قتلوا النساء والأطفال. الأمر الذي يربأ بنفسه من ارتكابه حتى أحط الناس وأرذلهم..

فهل يتورعون بعد هذا عن قتل إنسان مستطرق، ثم بقر بطن امرأته. فكيف إذا كان عاملاً لعلي «عليه السلام» فعلاً، أو حتى فيما سبق؟كما ذكرته بعض الروايات.

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص188.

(2) مروج الذهب ج2 ص404.

ولعل مطالبته «عليه السلام» بقتلة ابن خباب إنما كانت من جهة أنهم كانوا قد بدأوا جرائمهم به وبأم ولده..

وإلا، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن يميز بين مسلم ومسلم، في التزام توفير الأمن له، وفي الاقتصاص ممن يعتدي عليه..

ويدلنا على ذلك موقفه «عليه السلام» ممن يعتدي على المرأة المعاهدة، فيأخذ منها بعض حليها، دون أن يعترضه أحد حيث اعتبر أنه لو أن امرءاً مسلماً مات من هذا أسفاً ما كان عنده ملوماً، بل كان به جديراً.. (1)

مع أن المرأة المعاهدة ليست على دينه، ولا هي في درجة المرأة المسلمة، ولا هو مسؤول عن حمايتها..

كما أن الذي يموت أسفاً هو إنسان مسلم له كرامته الكبيرة عند الله، ومع أن الاعتداء على تلك المرأة لم يصل إلى درجة قتلها، ولا جرحها، ولا هتك حرمتها بالاعتداء على عرضها مثلاً، ولو في أدنى مستوياته، بل كان بسبب أخذ بعض حليها منها.

---

(1) راجع: نهج البلاغة ج1 ـ الخطبة 27 وهي خطبة الجهاد وراجع: عيون الأخبار لابن قتيبة ج2 ص236 والأخبارالطوال ص211 والكامل في الأدب ج1 والعقد الفريد ج4 ص69 والكافي ج5 ص4 والأغاني ج15 ص45 ومقاتل الطالبيين ص27 ومعاني الأخبار ص309 وأنساب الأشراف ج2 ص442 والبيان والتبيين ج1 ص170 والغارات للثقفي وغير ذلك.

خوارج البصرة هم المفسدون:

وقد ذكرت بعض النصوص: أن خوارج البصرة هم الذين قتلوا ابن خباب. وقد احتج عمر بن عبد العزيز على اثنين من الخوارج فقال:

«فأخبراني عن أهل النهروان، وهم أسلافكم، هل تعلمان أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً، ولم يأخذوا مالاً. وأن من خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خباب وجاريته، وهي حامل؟!

قالا: نعم..»(1).

وفي نص: أن عمر بن عبد العزيز احتج على بعض الخوارج؛ فكان مما قال: «فأهل النهروان خرج أهل الكوفة منهم، فلم يقتلوا ولا استعرضوا، وخرج أهل البصرة فقتلوا عبد الله بن خباب، وجارية حاملاً، ولم يتبرأ من لم يقتل ممن قتل واستعرض»(2).

وقال ابن الأثير: «قيل: لما أقبلت الخارجة من البصرة، حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلاً يسوق امرأة على حمار، فدعوه، فانتهروه، وأفزعوه..»(3).

ثم ذكر ما جرى له، وقتلهم إياه.

أضاف نص آخر: «أنهم سألوه عن أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي، فأثنى عليهم خيراً، فذبحوه فسال دمه في الماء، وقتلوا المرأة

---

(1) الكامل في التاريخ ج5 ص47.

(2) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص162.

(3) الكامل في التاريخ ج3 ص341 وأنساب الأشراف ج2 ص367 و 368.

وهي حامل متم. فقالت: أنا امرأة، ألا تتقون الله، فبقروا بطنها، وذلك سنة سبع وثلاثين»[1].

ونقول:

إننا لا نملك تفسيراً لهذا الفرق الظاهر بين سلوك خوارج البصرة وخوارج الكوفة، سوى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عاش مع أهل الكوفة، وعرفوا الكثير من القيم والمبادئ والأخلاق من خلاله «عليه السلام»، فهو القائل لأهل العراق: «وركزت فيكم راية الإيمان، وعرفتكم حدود الحلال والحرام» فتأثير علي «عليه السلام» فيهم، قد أوجب اختلاف حالاتهم وممارساتهم، كما رأينا..

الكوفيون.. وقتال الخوارج:

ثم إن النص الذي قدمناه تحت عنوان تناقضات في موقف الخوارج، قد صرحت الفقرة الأخيرة منه بأن أهل الكوفة (الناس) هم الذين طلبوا من أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يبادر إلى دفع شر الخوارج، بعد أن أفسدوا في الأرض، بقتلهم الأبرياء، وقطعهم السبيل.

مع أن بعض النصوص تقول: إن علياً «عليه السلام» قد بذل جهداً كبيراً في بعث الناس لقتالهم.. وان الذين أجابوه كانوا جماعة يسيرة..

فأي ذلك هو الذي كان؟!

---

(1) أسد الغابة ج3 ص150.

إننا في مقام الإجابة على هذا السؤال نقول:

إن كثيرين من الذين خرجوا على أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا بالنسبة إلى الكوفيين ـ وهم جيش علي «عليه السلام» ـ الابناء، والإخوان، وذوي القربى.. إذن، فقد كان من الطبيعي أن يترددوا ويتباطؤا في الإقدام على قتال جيش يضم كثيرين من هؤلاء. فكيف إذا فرض أن يكون هذا القتال شرساً وضارياً إلى حد أن تُستأصل شأفتهم أو تكاد؟!

ولأجل ذلك، ولأنه لا مجال للقصاص قبل الجناية فقد كان من الطبيعي أن يمهل علي «عليه السلام» الخوارج، ويتركهم، ويتحمل ما يواجهونه به من أذى مادام أنهم لم يخلّوا بالأمن، ولم يخرجوا عن دائرة الانضباط.

أما حين ارتكبوا الجرائم والعظائم، وأفسدوا حياة الناس، فإن عليه من موقع كونه المسؤول الأول عن حياة الناس، وعن أمنهم بمختلف وجوهه أن يعيد الأمور إلى نصابها، وأن يطالبهم بإنصاف الناس من أنفسهم.

حتى إذا ظهر إصرارهم على التزام خط الفساد والافساد، لم يبادر إلى الانتقام لنفسه، بل عفا عنهم في كل ما آذوه به، ولكنه بالنسبة لحفظ الواقع العام أوقع بهم العقوبة الإلهية التي يستحقونها.

وقد ساعد ما أظهره الخوارج من قوة وغلظة، وإصرار على هتك الحرمات، وعلى ارتكاب أعظم الموبقات ـ قد ساعد الكوفيين على تلمّس خطرهم العظيم، وإدراك أن الناس إذا كانوا يحبون

الراحة، فإن عليهم أن يعرفوا أن الذهاب إلى حرب معاوية معناه أن يواجهوا خطرين. أحدهما: أمامهم وهو معاوية، والآخر خلفهم وهو الخوارج.

وسيكون خطر الخوارج أشد لأنه يتهدد العيال والذرية والأموال. فعليهم أن يختاروا درأ هذا الخطر أولاً.. ويبقى خطر معاوية بانتظار عزمة صادقة من عزمات أهل الإيمان والنجدة.

ولن يفيدهم شيئاً إصرارهم على التثاقل عن مواجهته. بل هو سيوقعهم ربما بأعظم الكوارث، وأشد النكبات، وقد حصل ذلك بالفعل؛ وذلك بعد شهادة أمير المؤمنين «عليه السلام». وبعد ما جرى للإمام الحسن الزكي صلوات الله عليه.

ما جرى:

ولكن رغم ذلك كله.. فإن إدراك الكوفيين لهذه الحقيقة لم يفد في إيجاد الحماس لديهم لقتال الخوارج، وذلك لأكثر من سبب، والشاهد على ذلك أنه حين خطبهم علي «عليه السلام» قبل خروجه إلى النهروان لم يجبه إلا اليسير منهم[1].

وقد رضي أمير المؤمنين «عليه السلام» بمن أجابه، وسار بهم إلى حرب الخوارج في النهروان. وكان الذين نفروا معه لا يتجاوزون الأربعة آلاف مقاتل، كما ورد في بعض النصوص، وقيل غير ذلك..

وكان لا بد له «عليه السلام» من أن يعمل على ترسيخ يقين

---

(1) الفتوح لابن اعثم ج4 ص100.

أصحابه بحقانية هذه الحرب، بما كان يملكه من حجج قاطعة لأي عذر، ومزيلة لأي ريب وقد تمكن من ذلك بالفعل، وأعانه الخوارج على أنفسهم.. إلى حد أن أهل الكوفة رضوا باستئصال شأفة الخوارج أو كادوا، دون أن يجدوا في أنفسهم أي حرج أو أسف.. ودون أن يصدر منهم أي اعتراض ذي بال..

وقد حسم الأمر بصورة قاطعة ونهائية ما ظهر لهم بما لا مجال فيه للريب أو للشك من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر بقتلهم، وهذا ما أكدته لهم العلامات المتصلة بالغيب التي عاينوها في أكثر من موقف في سير الأحداث مع هؤلاء القوم..

ولم يكن إخباره «عليه السلام» للناس بصورة قاطعة بعدم عبور الخوارج للنهر هو الأول، ولا كان كشف حقيقة ذي الثدية هو آخر هذه الإخبارات الغيبية التي ساعدت على حسم الأمر بصورة نهائية في عقل ووجدان الناس الذين قتلوا الخوارج أو قاتلوهم معه.

وكان الذي أقنعهم بالمسير إلى الخوارج هو إخباره «عليه السلام» للناس بأمر ذي الثدية، وأنه في الخوارج، فقد روي عن زيد بن وهب الجهني:

«أنه كان في الجيش مع علي كرم الله وجهه، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي كرم الله وجهه: أيها الناس، إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم

تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم «صلى الله عليه وآله» لا اتكلوا على العمل.

وآية ذلك: أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، تتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟!

والله، إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال زيد بن وهب: فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذٍ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدكم يوم حروراء(1).

فرجعوا ورموا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم..

قال: وقتل بعضهم إلى بعض، وما أصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان.

فقال علي كرم الله وجهه: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه.

فقام علي كرم الله وجهه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخرجوهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر، ثم قال:

---

(1) في صحيح مسلم: أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء. وهو الصحيح.

صدق الله، وبلغ رسوله.

فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، بالله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال: أي والله الذي لا إله إلا هو.. حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له»[1].

كما أنه «عليه السلام» قد قال لأصحابه حين انتهى من قتال الخوارج ولم يجدوا في بادئ الأمر ذا الثدية: «ائتوني بالبغلة فإنها هادية مهدية. فأتوه بها فركبها.. ثم تذكر الرواية عثورهم على المخدج..»

وسيأتي: أنها كانت بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وعلى كل حال: فإن النص القائل بأن أهل الكوفة هم الذين طلبوا البدء بقتال الخوارج[3] فهو إن صح، فإنما كان بعد أن رأوا ان امتناعهم عن ذلك سوف يؤدي بهم إلى مواجهة خطرين لا قبل لهما

---

(1) نزل الأبرار ص60 و 61 وفي هامشه عن صحيح مسلم ج2 ص748 و 749.

(2) راجع: كنز العمال ج11 ص275 ومجمع الزوائد ج6 ص41 عن الطيالسي والمحاسن والمساوئ ج2 ص99 وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص144 وفي هامشه عن تاريخ بغداد ج7 ص237 وج1 ص160.

(3) راجع: الفخري في الآداب السلطانية ص94 وراجع الكامل في التاريخ ج3 ص342 والبداية والنهاية ج7 ص288 وأنساب الأشراف ج2 ص368.

بهما، هما معاوية من جهة، والخوارج من جهة. وقد أوضح لهم ذلك «عليه السلام» بصورة جلية بعد أن ذكر لهم «عليه السلام» حديث ذي الثدية حيث قال:

«أفتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في دياركم وأموالكم؟ والله، إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الحرام، وأغاروا في سرح الناس»[1].

وفي نص آخر: «لما خرجت الخوارج بالنهروان قام علي رضي الله عنه في أصحابه فقال: إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس. وهم أقرب العدو إليكم. وإن تسيروا إلى عدوكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم الخ..»[2].

فأدركوا: أن عليهم أن يطيعوا علياً فيما يأمرهم به، فإنه الصواب بعينه، وهكذا كان.

---

(1) المصنف للصنعاني ج10ص148 وفي هامشه عن السنن الكبرى ج8 ص170 وعن مسلم ج1ص343 وراجع: كنز العمال ج11 ص271 و 280 عن خشيش، وابي عوانة، وعبد الرزاق، ومسلم وابن أبي عاصم والبيهقي، وعن ابن راهويه، وابن أبي شيبة وغيرهما ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج5 ص429 والرياض النضرة ج3 ص225 ونظم درر السمطين ص116 ومجمع الزوائد ج6ص238 وفرائد السمطين ج1 ص286 ونزل الأبرار ص60 وكفاية الطالب ص177 والبداية والنهاية ج7ص291 وراجع مسند أحمد ج1 ص91 و 92.

(2) مسند أحمد ج1 ص91.

الفصل الثالث:

في المواجهة..

الجيشان:

سيأتي أن عدد الخوارج الذين قتلوا في النهروان كان يتراوح ما بين الألف وخمس مئة قتيل، وعشرة آلاف. ورقم الأربعة آلاف هو المرجح من بين تلك الأقوال لدى عدد من المؤرخين.

وإذا كان الذين قتلوا هم جميع جيشهم، ولم يفلت منهم إلا أقل من عشرة، فانه يصبح واضحاً: أن هذا الرقم بالذات هو عدد جيشهم في واقعة النهروان.

وأما بالنسبة لعدد جيش علي «عليه السلام»، فإنه كان قليلاً فقد كان معه «عليه السلام» جمعية يسيرة، لأنه إنما جاء ليردهم بالكلام حسبما قاله ابن حبان[1]..

وأما قول بعضهم: إن عدد جيشه «عليه السلام» كان اثني عشر ألفاً[2]، فهو بعيد.

ويؤيد قول ابن حبان: أن ابن أعثم يذكر: أن أمير المؤمنين

---

(1) الثقات ج2 ص296.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص271.

«عليه السلام» قد بذل محاولات جادة لجمع الناس لحرب الخوارج، وخطب الناس لأجل ذلك عدة مرات.

وبعد خطبته الثالثة: «أجابه الناس سراعاً، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل، أو يزيدون، قال: فخرج بهم من الكوفة وبين يديه عدي بن حاتم الطائي، يرفع صوته، وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا   برايات صدق كالنسور الخوافق[1]

ويشهد لذلك أيضاً، ما عرفناه، عن أهل العراق، من أنهم بعد حرب صفين كانوا شديدي التخاذل عن الحرب، وأن علياً «عليه السلام» قد لاقى الأمرين في استنفارهم لحرب معاوية، ولم يتمكن من ذلك حتى استشهد صلوات الله وسلامه عليه، والغصة في قلبه والشكوى منهم على لسانه.

علي عليه السلام والمنجم:

وروى ابن ديزيل قال: عزم علي «عليه السلام» على الخروج من الكوفة إلى الحرورية. وكان في أصحابه منجّم، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى، وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت، وأصبت ما طلبت.

---

(1) الفتوح لابن اعثم ج4 ص105.

فقال «عليه السلام»: أتدري ما في بطن فرسي هذه، أذكر هو أم أنثى؟

قال: إن حسبت علمت.

فقال علي «عليه السلام»: من صدقك بهذا فقد كذب القرآن، قال الله تعالى: **(إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)**(1)، الآية.

ثم قال «عليه السلام»:

إن محمداً «صلى الله عليه وآله» ما كان يدعي علم ما ادّعيت علمه، اتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها؟ وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها؛ فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل ذكره في صرف المكروه عنه.

وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جل جلاله؛ لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها. فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضداً ونداً.

اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضر إلا ضرك، ولا إله غيرك.

ثم قال: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها.

ثم أقبل على الناس فقال:

أيها الناس، إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النار.

---

(1) الآية 34 من سورة لقمان.

أما والله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم، فظفر بأهل النهر، وظهر عليهم.

ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، فظفر وظهر. أما أنه ما كان لمحمد «صلى الله عليه وآله» منجم ولا لنا من بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر. أيها الناس توكلوا على الله، وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه[1].

وإن هذا البيان المسهب منه «عليه السلام» يغني عن أي بيان، بل هو أغنى بيان وأوفاه فكل لسان سواه عييّ، وكل من يدعي المعرفة عنده غبي، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الأئمة من ولده الطاهرين.

التحدي الفاشل لليقين بالغيب:

قد ذكرت النصوص: أن الحرورية جاءوا فكانوا أولاً من وراء النهر، فأخبروا علياً بذلك، فقال: والله، لايقتل اليوم رجل من وراء النهر.

فقالوا له: قد نزلوا.

فأعاد «عليه السلام» قوله هذا.. ثم أعادوا قولهم، فكرر «عليه

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص270.

السلام» مقالته.

وقالت الحرورية، بعضهم لبعض: يرى علي أنا نخافه؟!.. فأجازوا أي عبروا النهر.

فقال «عليه السلام» لأصحابه: «لا تحركوهم حتى يحدثوا».

ثم تذكر الرواية: أنهم ذهبوا إلى منزل ابن خباب، وكان على شط الفرات، فأخرجوه.. ثم قتلوه وشقوا عما في بطن أم ولده.

فطالبهم «عليه السلام» بقاتله، فقالوا: كلنا قتله..

فأعادوا عليهم ذلك ثلاثاً، فسمعوا نفس الإجابة. فقتلوهم جميعاً، ثم طلب منهم أن يطلبوا المخدج في القتلى.

فقالوا: ما وجدنا.

فقال: والله ما كذبت ولا كذبت..

ثم تذكر الرواية: أنه «عليه السلام» بحث بين القتلى حتى وجده في حفرة فيها قتلى كثير الخ..[1].

فترى: أنه «عليه السلام» لا يقبل ما أخبروه به من أنهم قد عبروا النهر، ويقسم أنه لا يقتل رجل من وراء النهر.

بل إنه يحدد موقع قتلهم بصورة دقيقة وواضحة، بعد أن أقسم له من أخبره ثلاث مرات: أنه رآهم قد عبروا النهر، لما بلغهم وصوله «عليه السلام» خوفاً من قتاله. فلا يقبل منه، ويقسم على عدم صحة

---

(1) راجع: تاريخ بغداد ج1 ص205ز206 وراجع ج2 ص290 و 291 وأمثال هذا الحديث مذكور في عشرات المصادر التي تتحدث عن حرب النهروان.

ما أخبره به، وذلك في النص التالي:

وذكر المدائني قال: لما خرج علي «عليه السلام» إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض، حتى انتهى إلى علي «عليه السلام»، فقال:

البشرى يا أمير المؤمنين.

قال: ما بشراك؟

قال: إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك؛ فأبشر؛ فقد منحك الله أكتافهم.

فقال له: الله! أنت رأيتهم عبروا؟!

قال: نعم.

فأحلفه ثلاث مرات، في كلها يقول: نعم.

فقال علي «عليه السلام»: والله، ما عبروه، ولن يعبروه، وإن مصارعهم لدون النطفة. والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث، ولا قصر بوازن حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى.

قال: ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأول، فلم يكترث علي «عليه السلام» فجال في متن فرسه.

قال: فيقول شاب من الناس: والله لأكونن قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه. أيدعي علم الغيب؟!

فلما انتهى «عليه السلام» إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيولهم، وجثوا على ركبهم، وحكموا تحكيمة واحدة، بصوت عظيم، له زجل.

فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إني كنت شككت فيك آنفاً، وإني تائب إلى الله وإليك!

فقال علي «عليه السلام»: إن الله هو الذي يغفر الذنوب، فاستغفره[1].

إذا عرف السبب بطل العجب:

ويوضح بعضهم السبب في الاعتقاد بأنهم قد عبروا النهر على النحو التالي:

«إن الخوارج قصدوا جسر النهر، وكانوا غربه، فقال لعلي أصحابه: إنهم قد عبروا النهر.. فقال: لن يعبروا.

فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم انهم عبروا النهر.

وكان بينهم وبينه عطفة من النهر، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم؛ فعاد فقال: إنهم قد عبروا النهر.

فقال علي: والله ما عبروه، وإن مصارعهم لدون الجسر، والله، لا يقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة.

فتقدم علي إلى الخوارج، فرآهم عند الجسر لم يعبروه.

وكان الناس قد شكوا في قوله، وارتاب به بعضهم. فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا، وأخبروا علياً بحالهم، فقال: والله، ما كذبت

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص272 عن المدائني في كتاب الخوارج. ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص406 و 407 وراجع الفتوح لابن اعثم ج4 ص120.

ولا كذبت الخ..»[1].

ومن كل هذا يتجلى لهم يقين علي «عليه السلام» بالغيب الذي يخبرهم به، حتى إنه لا يتزعزع حتى مع تعدد المخبرين بخلافه، وحتى مع حلفهم ثلاث مرات على صحة ما يخبرون به.

وذلك لأنه «عليه السلام» يرى الأمور على حقيقتها، إلى درجة أنه لو كشف له الغطاء، ما ازداد يقيناً.

إحتجاجات علي عليه السلام وتراجعات الخوارج:

لقد كانت احتجاجات علي «عليه السلام» وأصحابه على الخوارج كثيرة، وكانت لها آثارها الإيجابية الكبيرة.. حيث رجع منهم الألوف التي قد تصل إلى العشرين ألفاً حسب بعض النصوص.

وقد ذكرنا شطراً من تلك الاحتجاجات في فصل مستقل غير اننا نشير هنا إلى بعض ما يكشف لنا حجم تأثير تلك الاحتجاجات، وذلك من خلال تراجع الألوف من الخوارج بسبب تلك الاحتجاجات، فنقول:

إنهم يروون: أنه بسبب احتجاجات ابن عباس على الخوارج «رجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف، فقتلوا»[2].

وقال ابن اعثم، وابن شهرآشوب، والأربلي: «استأمن إليه منهم

---

(1) الكامل في التاريخ ج3 ص345.

(2) مجمع الزوائد ج6 ص241 وقال: رواه الطبري، وأحمد بعضه، ورجالهما رجال للصحيح.

ثمانية آلاف، وبقي على حربه أربعة آلاف»[1].

وقيل: «بل استأمن إليه منهم ألفان»[2].

وقال أبو وائل: «خرجنا أربعة آلاف فخرج إلينا علي، فما زال يكلمنا حتى رجع منا ألفان»[3].

وذكر ابن عساكر: أنه قد نتج عن الإحتجاج عليهم أن «رجع ثلثهم، وانصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على ضلالة»[4].

غير أن البعض يذكر: ان احتجاج ابن عباس عليهم في حروراء لم يؤثر شيئاً، وطلبوا علياً ليكلمهم، فلما كلمهم علي «عليه السلام» رجع ابن الكواء، وعشرة من أصحابه[5]، وأقام الباقون على غيهم. وأمَّروا عليهم الراسبي، وعسكروا بالنهروان، فسار إليهم علي «عليه السلام» حتى بقي على فرسخين منهم. وكاتبهم، وراسلهم، فلم يرتدعوا.

فأرسل إليهم ابن عباس، فكلمهم وكان علي «عليه السلام» وراءه يسمع ما يقولون.

---

(1) الفتوح ج4 ص125 والمناقب لابن شهر آشوب ج3 ص189، وكشف الغمة ج1 ص365 و 367.

(2) مصادر هذا النص كثيرة فراجع: الخصائص للنسائي ص147، وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص99 وستأتي مصادر أخرى إن شاء الله تعالى..

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص99.

(4) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص152.

(5) راجع: كشف الغمة للأربلي ج1 ص264 و 265.

فتقدم علي «عليه السلام» إليهم، فكلموه، وذكروا ما نقموه عليه، فأجابهم عنها، فاستأمن ثمانية آلاف.

فأمرهم بأن يعتزلوه في ذلك الوقت، ثم حارب الباقين، فقتلهم. وكانوا أربعة آلاف[1].

ولعل بعض المؤرخين يتحدث عن مرحلة وواقعة، ويتحدث غيره عن مرحلة وواقعة أخرى، فإن الألفين إنما رجعوا حين كلمهم ابن عباس. ويبدو أن ذلك كان بتوجيه وتلقين مباشر حيناً، وبمشاركة حيناً آخر من أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه.

ونسجل ملاحظة هنا: وهي أن من يراجع احتجاجات ابن عباس يجد أنها قوية وحاسمة، وقد نص عدد من المؤرخين على ان ألفين على الأقل قد رجعوا نتيجة لتلك الاحتجاجات فلا يصح قولهم: إن احتجاجاته لم تؤثر شيئاً.

ويقال: إنه بعد أن احتج عليهم ابن عباس: «رجع عبد الله بن الكواء في ألفي رجل، وبقي الباقون، وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، ثم سمّوا الراسبية. ثم أخذوا في الفساد؛ فقال علي «عليه السلام»: دعوهم.

حتى إذا أخذوا الأموال وسفكوا الدماء، ومروا بالمدائن ولقيهم عبد الله بن خباب..».

إلى أن يقول النص: «فقتلوه، وبقروا عن بطن امرأته، وقتلوا نسوة، وولداناً؛ فخرج إليهم، وقال: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، ونحن

---

(1) راجع: كشف الغمة ج1 ص265 و 267.

تاركوكم.

فأبوا عليه، وثاروا به؛ فتهيأ علي «عليه السلام» لقتالهم، ودعا المسلمين إليهم؛ فقتلهم بالنهروان»[1].

بهذا وعظهم عليه السلام:

قد عرفنا: أنه «عليه السلام» قد خطب الخوارج بخطب ذات عدد، وأنه قد ردهم بكلامه الحلو في غير موطن.. مما يعني أن تجمع النهروان لم يكن هو الأول، ولا كان هو الأخير في سلسلة بغيهم على إمامهم، وجمعهم الجموع لحربه «عليه السلام».

ونورد هنا فقرة واحدة مما خطبهم «عليه السلام» يوم النهروان، فقد قال:

«نحن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، نحن أفق الحجاز، بنا يلحق البطيء، وإلينا يرجع التائب»[2].

ويلاحظ: أن هذه هي نفس كلمات الإمام الحسين «عليه السلام»، التي واجه بها الوليد بن عتبة، حين طلب منه البيعة ليزيد لعنه الله. ثم يلاحظ: أن هذه الصفات تناقض تماماً صفات الخوارج، حسبما سيأتي بعض التوضيح له في فصول هذا الكتاب..

---

(1) البدء والتاريخ ج5 ص136 و 137.

(2) راجع: نهج البلاغة ج2 ص283.

آخر ما وعظهم به علي عليه السلام:

«لما استوى الصفان بالنهروان تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بين الصفين، ثم قال:

أما بعد، أيتها العصابة التي أخرجتها عادة المراء والضلالة، وصدف بها عن الحق الهوى والزيغ، إني نذير لكم أن تصبحوا غداً صرعى بأكناف هذا النهر، أو بملطاط من الغائط، بلا بينةٍ من ربكم، ولا سلطان مبين.

ألم أنهكم عن هذه الحكومة، وأحذركموها، وأعلمكم أن طلب القوم لها دهن منهم، ومكيدة. فخالفتم أمري، وجانبتم الحزم فعصيتموني، حتى أقررت بأن حكمت، وأخذت على الحكمين، فاستوثقت، وأمرتهما أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فخالفا أمري، وعملا بالهوى، ونحن على الأمر الأول، فأين تذهبون، وأين يتاه بكم».

ثم تذكر الرواية: أن خطيبهم طلب من علي «عليه السلام» أن يتوب من الكفر كما تابوا، فقال علي «عليه السلام»: «**أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر، أبعد إيماني بالله، وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقر بالكفر؟! لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، ولكن منيت بمعشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام، والله المستعان**».

ثم حمل عليهم، فهزمهم[1] وسنتحدث عن بعض تفاصيل الحرب فيما يأتي.

كيفية إقرارهم بقتل ابن خباب:

وقد بادر أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى انتزاع اعتراف من القتلة بما صدر عنهم، حيث يقول النص التاريخي: إنه «عليه السلام» قال: «الله أكبر، نادوهم: اخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب.

قالوا: كلنا قتله، فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول»[2].

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال: «..أيكم قتل عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته، وابنته، يظهر لي أقتله بهم، وأنصرف عهداً إلى مدة، حكم الله أنتظر فيكم؟

فنادوا: كلنا قتل ابن خباب، وزوجته، وابنته، وأشرك في دمائهم.

فناداهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: أظهروا إليّ كتائب، وشافهوني بذلك؛ فإني أكره أن يقر به بعضكم في الضوضاء، ولا يقر بعض ولا أعرف ذلك في الضوضاء، ولا استحل قتل من لم يقر بقتل من أقر، لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم.

---

(1) الموفقيات ص325 و 327 والخطبة موجودة في تاريخ الأمم والملوك ج4 ص62 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص458 والإمامة والسياسة ج1 ص109 والمستدرك على نهج البلاغة ص68 راجع الأخبار الطوال ص207 و 208.

(2) تاريخ بغداد ج1 ص206.

ففعلوا، وجعلوا كلما جاء كتيبة، سألهم عن ذلك؛ فإذا أقروا عزلهم ذات اليمين، حتى أتى على آخرهم.

ثم قال: إرجعوا إلى مراكزكم.

فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات: رجعتم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم؟

فنادوا كلهم: نعم.

فالتفت إلى الناس؛ فقال: الله أكبر، الله أكبر، والله، لو أقر بقتلهم أهل الدنيا، وأقدر على قتلهم لقتلتهم، شدوا عليهم، فأنا أول من شد عليهم.

وعزل بسيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات، كل ذلك يسويه على ركبتيه من اعوجاجه. ثم شد الناس معه؛ فقتلوهم، فلم ينج منهم تمام عشرة ».

ثم تذكر الرواية: أنهم لما لم يجدوا ذا الثدية قال: ائتوني بالبغلة؛ فإنها هادية مهدية، فركبها، ثم انطلق حتى وقف على قليب الخ..[1].

علي عليه السلام يدعوهم إلى حكم المصحف:

وتذكر رواية جندب: أنه «عليه السلام» بعد أن ردّ قول الذين أخبروه بأنهم قد عبروا النهروان ـ بل في بعض الروايات: أنه «عليه

---

(1) مناقب الإمام علي «عليه السلام»، لابن المغازلي ص413 و 414. وفي هوامشه عن مصادر كثيرة أخرى فلتراجع، وقاموس الرجال ج5 ص436 و 437 عن أبي عبيدة وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص282 عن أبي عبيدة.

السلام» كان يقسم أنهم لم يعبروه، وأن مصارعهم دونه[1] ـ أخبر جندباً بأنه سوف يرسل إليهم رجلاً يقرأ المصحف؛ فيدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، ولكنهم سوف يقتلونه. وأنه لن يقتل من أصحابه «عليه السلام» عشرة، ولا ينجو منهم عشرة. قال جندب:

«..فانتهينا إلى القوم، وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه، لم يبرحوا. فنادى علي في أصحابه، فصفّهم. ثم أتى الصف من رأسه ذا إلى رأسه ذا، مرتين. ثم قال:

من يأخذ هذا المصحف، فيمشي به إلى هؤلاء القوم، فيدعوهم إلى كتاب الله (ربهم)، وسنة نبيهم، وهو مقتول. وله الجنة؟!

فلم يجبه إلا شاب من بني عامر بن صعصعة.

فقال له علي: خذ.

فأخذ المصحف (فقال له): أما إنك مقتول، ولست مقبلاً علينا بوجهك حتى يرشقوك بالنبل.

فخرج الشاب بالمصحف إلى القوم، فلما دنا منهم حيث يسمعون قاموا، ونشبوا الفتى قبل أن يرجع (قال) فرماه إنسان؛ فأقبل علينا بوجهه، فقعد.

فقال علي: دونكم القوم.

قال جندب: فقتلت بكفي هذه (بعد ما دخلني ما كان دخلني)ثمانية قبل أن أصلي الظهر. وما قتل منا عشرة، وما نجا منهم عشرة، كما

---

(1) راجع: مروج الذهب ج2 ص405.

قال»[1].

تأثير نهج علي عليه السلام في الخوارج:

إن أهل العراق لم يعرفوا علياً إلا لمدة وجيزة كانت مليئة بالحروب والمآسي، مشحونة بالكوارث على مختلف المستويات، والاتجاهات.

وكان العراقيون يعيشون أجواء الحرب والقتال منذ عهد عمر بن الخطاب، الذي جعل العراق منطلقاً لحملاته العسكرية في فتوحات بلاد فارس، وسائر المناطق الشرقية..

وقد تحدثنا عن الحالات التي كان العراقيون يعيشونها قبل عهد أمير المؤمنين علي «عليه السلام»..

وكان لوجود أمير المؤمنين فيما بين أظهر العراقيين تلك الفترة الوجيزة، برغم كل ما واجهه من انشغالات وصوارف أثر في عقليتهم وثقافتهم، ثم في حالاتهم الإيمانية. وحتى في وعيهم السياسي والديني، وفي مختلف شؤونهم..

حتى إنه «عليه السلام» ليقول لأهل العراق: «ركزت فيكم راية الإيمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام»[2].

---

(1) راجع: كنز العمال ج11 ص276 عن الطيالسي، مجمع الزوائد ج6 ص241 و 242 عن الطبراني في الأوسط. وذكره أيضاً في منتخب كنز العمال. مطبوع مع مسند أحمد.

(2) نهج البلاغة ج1 ص168 بشرح عبده. المطبعة الرحمانية بمصر.

بل إن معاوية حينما واجه عكرشة بنت الأطرش، لم يجد مناصاً من الاعتراف بتأثير أمير المؤمنين «عليه السلام» في أهل العراق حيث قال - كما تقدم -: «هيهات يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا»[1].

علي عليه السلام لا يبدؤهم بالقتال:

وكما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يبدأ أحداً بقتال.. كان علي كذلك، ولم يكن موقفه من الخوارج، إلا امتداداً لهذه السياسة..، فقد قال علي «عليه السلام» لأصحابه:

«كفوا عن الخوارج حتى يبدؤوكم»[2].

وقد كانت هذه السياسة معروفة عنه «عليه السلام»، وقد أخذها عنه شيعته الأبرار أيضاً[3]. فكانت البدأة بالقتال تأتي من قبل محاربيه «عليه السلام» ومنهم الخوارج في مختلف المواطن.

ومن المضحك المبكي: أن نجد في أتباع الخط الأموي من يحاول

---

(1) العقد الفريد ج2 ص112 وبلاغات النساء ص104 ـ ط سنة 1972م وصبح الأعشى.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص371 ونور الأبصار ص102 والبداية والنهاية ج7 ص289 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص271 و 272 وغير ذلك من مصادر ستأتي في فقرة تفاصيل منسقة.

(3) البرصان والعرجان ص333.

ـ أحياناً ـ أن يقلد أمير المؤمنين «عليه السلام» في هذه الناحية، فقد «كان المهلب يقول لبنيه: لا تبدأوا الخوارج بقتال حتى يبدؤوكم، ويبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا عليكم نصرتم عليهم»[1].

والأدهى والأمر: أننا نجد حتى الخوارج الذين كان دينهم الإجرام والقسوة إلى درجة ذبح الأطفال، وبقر بطون النساء، والغارات التي لا ترحم.. ـ نجد ـ: أنهم في بعض الأحيان تصدر منهم أفعال تأثروا فيها بما أشاعه «عليه السلام» في الناس.. ومنها عدم البدء بالقتال؛ فإن أبا حمزة الخارجي حين التقى بمحاربيه في قديد، قال لأصحابه:

«كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم بالقتال، فواقفوهم، ولم يقاتلوهم، فرمى رجل الخ..»[2].

لا تتبعوا مولياً:

وكان من سيرة علي «عليه السلام»: أن يأمر أصحابه أن لا يتبعوا مولياً، ولا يجهزوا على جريح.. وقد أمرهم في النهروان أيضاً بأن لا يتبعوا مولياً[3].

فقلده أبو حمزة الخارجي مع محاربيه في قديد أيضاً، فإنه لم يسمح باتباع المدبر، ولا بالإجهاز على جريح حين طلب منه ذلك،

---

(1) شرح نهج البلاغة ج4 ص196 والكامل في الأدب ج3 ص381.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص112 وراجع: العقود الفضية ص203.

(3) تاريخ بغداد ج1 ص160.

وقال: «لا أخالف سيرة أسلافنا»[1]. مع أن سيرة أسلافه كانت ضد ذلك، كما هو معلوم.

إقامة الحجة أولاً:

وكان علي «عليه السلام» لا يقاتل أحداً حتى الخوارج إلا بعد أن يقيم عليه الحجة، وكذلك قال أبو حمزة الخارجي لأصحابه، حين التقى بابن عطية: «لا تقاتلوهم حتى تختبروهم، فصاحوا، فقالوا: يا أهل الشام، ما تقولون في القرآن والعمل؟ الخ..»[2].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص112.

(2) المصدر السابق ج5 ص123.

الفصل الرابع:

آخر الدواء الكي..

أو على نفسها جنت براقش

توضيحات للسياق التاريخي

1 ـ التعبئة:

قال ابن قتيبة وغيره:

«..فرجع علي، فعبأ أصحابه، فجعل على الميمنة حجر بن عدي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي (أو معقل بن قيس). وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة. وعلى أهل المدينة ـ وهم ثمان مئة رجل من الصحابة ـ قيس بن سعد بن عبادة (وقال الشبلنجي، وابن الصباغ: كان على المقدمة). ووقف علي في القلب في مضر.»

2 ـ رواية الأمان:

[قال الإربلي]: «لم يزل يعظهم، ويدعهم، فلمّا لم ير عندهم انقياداً ركز لهم راية أمان».

وعلى حد تعبير ابن قتيبة «قال: ثم رفع لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري. فناداهم أبو أيوب:

من جاء منكم إلى هذه الراية، فهو آمن (زاد الشبلنجي وابن

الصباغ: ممن لم يكن قتل، ولا تعرض لأحد من المسلمين بسوء).

ومن دخل المصر فهو آمن، ومن انصرف إلى العراق، ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن، فانه لا حاجة لنا في سفك دمائكم»[1].

3 ـ التفرق والتراجع:

(زاد ابن الأثير، والشبلنجي، وابن الصباغ: ومن انصرف إلى الكوفة، فهو آمن، ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دماءكم. فانصرف فروة بن نوفل الأشجعي في خمس مئة فارس. وخرجت طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة، وطائفة أخرى إلى المدائن. وتفرق أكثرهم، بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً، فلم يبق منهم غير أربعة آلاف)[2].

(وأمر الذين استأمنوا أن يعتزلوه، ولا يشاركوا في الحرب المتوقعة)[3].

---

(1) راجع المصادر الآتية في الهوامش الثلاثة التالية.

(2) النص الذي بين المعقوفتين نقلناه من: نور الأبصار ص102 والفصول المهمة لابن الصباغ ص93 والكامل في التاريخ ج3 ص346. ونعود من جديد لذكر النص الذي هو لابن قتيبة، وسائر المصادر الآتية في الهامش التالي.

(3) المصادر في الهامش التالي ما عدا كتاب الإمامة والسياسة. والفتوح لابن أعثم ج4 ص125 والمناقب لابن شهر آشوب ج3 ص189.

4 - قبل أن تبدأ الحرب:

«قال: وقدم الخيل دون الرجالة، وصف الناس صفين وراء الخيل، وصف الرماة صفاً أمام صف. وقال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤوكم».

5 - الخوارج يبدأون الحرب:

قال: «وأقبلت الخوارج، حتى إذا دنوا من الناس نادوا: لا حكم إلا لله، ثم نادوا الرواح الرواح إلى الجنة.

قال: وشدوا على أصحاب علي شدة رجل واحد: والخيل أمام الرجال. فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل، فخمدوا.

قال الثعلبي: لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها، ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض علي في القلب بالسيوف والرماح، فلا والله ما لبثوا فواقاً حتى صرعهم الله، كأنما قيل لهم موتوا فماتوا».

6 - الغنائم:

قال: «وأخذ علي ما كان في عسكرهم من كل شيء، فأما السلاح والدواب، فقسمه علي بيننا. وأما المتاع والعبيد والإماء، فانه حين قدم الكوفة رده على أهله»[1].

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص149 و تجد ما تقدم كلاً أو بعضاً في المصادر التالية أيضاً: نور الأبصار ص102 والكامل في التاريخ ج3 ص345 و

تفاصيل في روايات أخرى:

وفي بعض الروايات: أنهم «رموا أصحابه. فقيل له قد رمونا. فقال: كفوا. فكرروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكف، حتى أتي برجل قتيل متشحط بدمه.

فقال علي: الله اكبر، الآن حل قتالهم، احملوا على القوم الخ..»[1].

وقال ابن الطقطقا: «لما التقى الخوارج بالنهروان أجفلوا قدامه إلى ناحية الجسر. فظن الناس أنهم قد عبروا الجسر فقالوا لعلي «عليه السلام»: يا أمير المؤمنين، إنهم قد عبروا الجسر؛ فالقهم قبل أن يبعدوا.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: ماعبروا وان مصارعهم دون الجسر، والله لا يقتل منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة.

فشك الناس في قوله، فلما أشرفوا على الجسر رأوهم لم يعبروه، فكبر أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وقالوا له:

---

346 والمناقب لابن شهر آشوب ج3 ص189 و 193 وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ ص93 وكشف الغمة ص265 والفتوح لابن أعثم ج4 ص125 والفرق بين الفرق ص80 والأخبار الطوال ص207 وراجع البداية والنهاية ج7 ص289 وأنساب الأشراف ج2 ص371 و 372 وفيه تفاصيل وتوضيحات ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص414 والبحار ط قديم ج8 ص563 و 565 وسفينة البحار ج1 ص383 و 384.

(1) راجع بعض المصادر في الهامش السابق.

هو كما قلت يا أمير المؤمنين.

قال: نعم والله، ما كذبت ولا كذبت، فلما انفصلت الوقعة، وسكنت الحرب اعتبر القتلى من أصحاب علي «عليه السلام»، فكانوا سبعة»[1].

ثلاث حملات للخوارج:

وتذكر بعض النصوص: أن الخوارج قاموا في بداية الأمر بحملات ثلاث ضد جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي كان يقارب عدده عدد الخوارج، ففشلوا في حملاتهم تلك.

فقد روى الخطيب البغدادي:

«أن الخوارج حملت على الناس، حتى بلغوا منهم شدة. ثم حملوا عليهم الثانية، فبلغوا من الناس أشد من الأولى، ثم حملوا الثالثة حتى ظن الناس أنها الهزيمة.

فقال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يقتلون منكم عشرة، ولا يبقى منهم عشرة.

فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم، فقتلوا»[2].

عدد القتلى والناجين:

وقد كانت هذه الحملات بعد أن رجع من الخوارج من رجع،

---

(1) الفخري في الآداب السلطانية ص95.

(2) تاريخ بغداد ج14 ص365.

وانصرف منهم من انصرف، ودارت رحى الحرب، ثم انجلت عن الباقين، وقد قتلوا جميعاً، ولم يفلت منهم إلا أقل من عشرة.

وقد اختلفوا في عدد من قتل منهم، فقيل: خمسة آلاف تقريباً.

وقيل: أربعة آلاف.

وقيل: أقل وأكثر من ذلك[1].

وجزم المنقري: أن الذين قتلوا من المحكمة على قنطرة البردان كانوا خمسة آلاف[2].

وقيل: كانوا ستة آلاف رجع منهم ألفان، وقتل الباقون[3].

وقال أبو وائل: كانوا أربعة آلاف، رجع منهم ألفان، وقتل

---

(1) راجع الثقات لابن حبان ج2 ص296 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص193 والفتوح لابن أعثم ج4 ص125 و 123 ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص415 واثبات الوصية ص147 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص371 والخرائج والجرائح ص209 والبحار ط قديم ج8 ص562 و 562 والبداية والنهاية ج7 ص289 وتاريخ بغداد ج1 ص182 وكشف الغمة ج1 ص267 ومروج الذهب ح2 ص406 والفصول المهمة، لابن الصباغ ص93 والأخبار الطوال ص210.

(2) صفين ص855.

(3) راجع المستدرك على الصحيحين ج2 ص150 - 52 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص147 وتلخيص مستدرك الحاكم (مطبوع بهامش المستدرك). وفي هامش الخصائص عن المناقب لابن شهر آشوب ج1 ص267 والبداية والنهاية ج7 ص276 و 281 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص167.

الباقون[1].

وقال بعضهم: أصح الأقاويل أن المقتولين كانوا ألفين وثمان مئة[2].

وقيل: ألف وخمس مئة.. وألف وثمان مئة[3].

وعند بعضهم: لم يخطئ السيف منهم عشرة آلاف[4].

ويظهر من بعض النصوص: أن هذه الأرقام إنما تتحدث عن الفرسان منهم دون الرجالة[5].

وقد يقال: إن من قال: إن عدد المقتولين كان عشرة آلاف. إنما قصد جميع الخوارج، وفي جميع المعارك والحروب التي خاضوها من بدء ظهورهم، إلى وفاة أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام..

عدد الشهداء، وعدد من أفلت:

قد استفاض النقل عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه أخبر أصحابه أنه لا يفلت من أهل النهروان إلا أقل من عشرة، ولا يقتل من أصحابه حتى عشرة فكان كما قال[6].

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ح4 ص99.

(2) شذرات الذهب ج1 ص51 والعقد الفريد ج2 ص490 والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص108 وبهج الصباغة ج7 ص168 و 185.

(3) معجم الأدباء ج5 ص264.

(4) البدء والتاريخ ج5 ص136 و 137.

(5) أنساب الأشراف(بتحقيق المحمودي) ج2 ص371.

(6) راجع الفرق بين الفرق ص80 والفتوح لابن أعثم ج4 ص120 ومجمع

وقيل: لم يقتل من أصحابه «عليه السلام» سوى رجلين[1].

الزوائد ج6 ص241 و 42 والمحاسن والمساوئ ج2 ص98 والمناقب للخوارزمي ص185 والكامل في الأدب ج3 ص187 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 و 415 وبهج الصباغة ج7 ص187 عن تاريخ بغداد ترجمة أبي سليمان المرعشي والمناقب لابن شهرآشوب ج2 ص99 ط الحيدرية في النجف ج3 ص190 و 311 عن يعقوب بن شيبة في كتاب: مسير علي، وعن مسدد، وعن خشيش في الاستقامة عن أبي مجلز وابن النجار عن يزيد بن رويم وكنز العمال ج11 ص272 و 276 وعن مسدد، وخشيش والبيهقي وابن النجار والطيالسي، ويعقوب بن شيبة، والبحار ط حجرية ج8 ص563 و 565 و 554 وج 4 ص307 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص273 والخرايج والجرايح ط حجري ص209 والفخري في الآداب السلطانية ص95 وسفينة البحار ج1 ص384 والكامل في التاريخ ج3 ص345 و 348 ومروج الذهب ج2 ص405 و 406 والفصول المهمة لابن الصباغ ص93 و 94 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص373 وعن سنن الدارقطني (كتاب الحدود) ص343 وكشف الغمة للاربلي ج1 ص267 وتاريخ بغداد ج14 ص365.

(1) راجع: البداية والنهاية ج7 ص291 والسنن الكبرى ج8 ص170 و 171 كلاهما عن مسلم، وسنن أبي داود ج4 ص245 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» ص145 والرياض النضرة ج3 ص225 والمصنف للصنعاني ج10 ص184 وفرائد السمطين ج1 ص276 ونظم درر السمطين ص117 وكفاية الطالب ص177 وكنز العمال ج11 ص281 عن مسلم وعبد الرزاق وأبي عوانة. والبيهقي، وخشيش، وفي هامش

وفي نص آخر: «اعتبر القتلى من أصحاب علي فكانوا سبعة»[1].

أسماء الشهداء:

وقد سمى ابن أعثم الذين استشهدوا في النهروان من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهم:

1 ـ روبية بن وبر البجلي. وعند ابن شهرآشوب في موضع آخر: رؤبة.

2 ـ عبدالله بن حماد الحميري ـ وعند ابن شهرآشوب: الأرحبي.

3 ـ رفاعة بن وائل الأرحبي.

4 ـ كيسوم بن سلمة الجهني.

5 ـ حبيب بن عاصم الأزدي.

وفي موضع عند ابن شهرآشوب: خب بن عاصم الأسدي.

6 ـ عبدالله بن عبيد الخولاني إلى تمام التسعة وعند ابن شهرآشوب عبيد بن عبيد الخولاني.

ثم كان الإشتباك العام، فلم يقتل من أصحاب علي «عليه السلام» سوى أولئك التسعة[2].

وذكر ابن شهرآشوب:

الكنز عن مسلم ج1 ص343.

(1) الفخري في الآداب السلطانية ص95.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص127 أو 128.

1 - رؤبة.

2 - رفاعة.

3 - كيسوم.

4 - حبيب

5 - الفياض بن خليل الأزدي

6 - سعد بن خالد السبيعي.

7 - جميع بن جشم الكندي.

إلى تمام تسعة[1].

الرقم المشبوه:

غير أن ثمة نصاً آخر يقول:

إن الذين قتلوا من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا اثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً[2].

ونقول:

إن هذا الكلام لا يمكن قبوله.

1 - لأنه مخالف لما اتفقت عليه كلمة عامة أهل الحديث والتاريخ. حيث اتفقت كلمتهم على أن من استشهد كانوا اقل من عشرة.

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص190 ط المطبعة العلمية بقم وج2 ص99 ط الحيدرية في النجف سنة 1376 هـ. والبحار ج41 ص307.

(2) خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» للنسائي ص143.

2 ـ إنه مخالف لما أخبر به أمير المؤمنين «عليه السلام»، وليس ذلك من قبيل الكهانة منه «عليه السلام». ولا هو من قبيل التوقعات المبنية على معطيات واقعية، وأرقام وحسابات حسية، فإن وقعة النهروان لا تختلف عن غيرها، فلماذا يتكهن بهذه النتائج، أو لماذا يتوقعها هنا، ولا يتكهن أو يتوقع نتائج حرب الجمل، أوصفين؟

وما هي المعطيات التي تجعل للنهروان هذه النتائج المذهلة. والتي يفترض أن تكون على عكس ذلك تماماً إذا لوحظت عدة وعدد الطرفين المتحاربين ـ وقد كانت مفقودة في حربي صفين والجمل؟.

3 ـ إن هذه الأخبار منه «عليه السلام» قد جاءت على سبيل الإخبار بالغيب الذي يخوله مقام الإمامة، وهو علم توقيفي أخذه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الله سبحانه..

ولعل هؤلاء المشككين يريدون إثارة الشبهة حول هذه النقطة بالذات، لأنها هي التي تهدم بيوت العناكب التي بنوها، وسجنوا أنفسهم في داخلها. وتثبت إمامة علي وبغي كل من ناوأه وخالفه.

الذين أفلتوا إلى أين صاروا؟!

ويقال: إن هؤلاء الذين افلتوا من القتل كانوا تسعة وقد أصبحوا بذرات أخرى للخوارج في مناطق عديدة فيما بعد..

فقد سار منهم رجلان إلى سجستان، ورجلان إلى عمان، ورجلان إلى اليمن، ورجلان إلى ناحية الجزيرة، ورجل إلى تل

مورون في اليمن، فالخوارج في هذه البلاد من أتباع هؤلاء[1].

وعلى حد تعبير ابن أعثم:

«فاختلط القوم، فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم، وكانوا أربعة آلاف فما فلت منهم إلا تسعة نفر.

فهرب منهم رجلان إلى خراسان، إلى أرض سجستان، وفيها نسلهما إلى الساعة. ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة، إلى موضع يقال له: سوق التوريخ، وإلى شاطئ الفرات، فهناك نسلهما إلى الساعة. وصار رجل إلى تلّ يقال له: تل موزن»[2].

عدد من أفلت:

لقد ظهر صدق ما أخبر به علي أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث لم ينج من خوارج النهروان إلا أقل من عشرة.

---

(1) راجع: الملل والنحل ج1 ص117 والفرق بين الفرق ص80 و 81 والفتوح لابن أعثم ج4 ص132 والبحار ط قديم ج8 ص565 عن كشف الغمة ص572 وط جديد ج41 ص307 عن المناقب وسفينة البحار ج1 ص384 وكشف الغمة ج1 ص267 والفصول المهمة لابن الصباغ ص93 واثبات الوصية ص148 ذكر أن الخارجة يوم القيامة من نسل أولئك الأربعة ومناقب آل أبي طالب ط الحيدرية في النجف الأشرف ج2 ص99.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص132. وراجع: نور الأبصار ص102 مع بعض الاختلاف. وكذا الفصول المهمة لابن الصباغ ص93.

فقيل: أربعة[1].

وقيل: خمسة[2].

وقيل: تسعة كما سنرى..

وقيل: إن الذين أفلتوا كانوا عشرة[3].

وقيل غير ذلك..

القول المشبوه:

ولنا وقفة هنا مع هذا القول الأخير الذي يدّعي: أن الذين أفلتوا من النهروان كانوا عشرة..

فإننا نعتبره قولاً مكذوباً لدواع مريبة، وغير نبيلة. فان الظاهر هو أن المقصود به التشكيك فيما أخبر به عن أمير المؤمنين «عليه السلام» من أنه سوف لا يفلت من الخوارج عشرة.. والإيحاء بأن هذا من قبيل الكهانة منه «عليه السلام»، ولا تستند إلى أساس، أومن قبيل التوقعات المستندة إلى التحليلات الشخصية التي تعتمد تحليل الوقائع والأرقام المتوفرة.

والحقيقة هي: أنه غيب اختص به «عليه السلام» ليكون دليلاً على إمامته، وليثبت به وبنظائره التي تفوق حد الحصر: أنه «عليه السلام» هو الإمام الحق، وأن من حاربه مبطل وباغ على إمامه

---

(1) إثبات الوصية ص147.

(2) الكامل في الأدب ج3 ص237.

(3) مروج الذهب ج2 ص406.

المنصوب من قبل الله ورسوله..

تشكيك آخر في عدد من أفلت:

وقد يقول البعض:

إنه قد ذكر فيما تقدم: أن الذين افلتوا من الخوارج في معركة النهروان كانوا أقل من عشرة.

وذلك غير مقبول، لأن الخوارج كانوا كثيرين بعد النهروان، وقد خرجوا على أمير المؤمنين خمس خرجات(1). فكيف يقال: إن من أفلتوا كانوا أقل من عشرة؟؟

ونقول:

أولاً: إن الكلام هو عمن حضر واقعة النهروان منهم.. فالخارجون بعد النهروان إنما هم أناس آخرون، ولعلهم من أولئك الذين أعلنوا الانصراف والرجوع عن الحرب بسبب احتجاج علي «عليه السلام» عليهم قبل نشوب الحرب في النهروان..

ثانياً: إن النص يصرح بأن هؤلاء التسعة الذي تفرقوا في البلاد، قد كانوا بمثابة بذرات نشأ عنها مئات من الخوارج في تلك المناطق.. ولا ينافي ذلك وجود خوارج آخرين كانوا في مناطق العراق قد خرجوا على أمير المؤمنين «عليه السلام» أكثر من مرة.

وخرجوا بعد ذلك على غير أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً.

---

(1) راجع مقالات الإسلاميين ج1ص195-196.

الاختلاف في عدد من أفلت:

يبقى أن نشير إلى أن الاختلاف في عدد من افلت، هل هو أربعة، أو خمسة، أو تسعة؟! الخ.. أمر طبيعي، ما دام أن الذين أفلتوا قد هربوا في البلاد، وقد لا تتوافر الأخبار عنهم بصورة تامة عند هذا أو ذاك، فيخبر كل واحد عما توفر لديه بحسب ظروفه وواقعه..

على أن من الممكن أن يكون المراد بقوله «عليه السلام»: لا يسلم أو لا يفلت منهم عشرة هو السلامة من القتل والجراح معاً، فليكن السالم من القتل هو هذا العدد. وهو تسعة، ومن القتل والجراحة معاً هو ذلك العدد: خمسة، أو أربعة مثلاً.

دفن قتلى الخوارج:

ويقول المؤرخون: طاف عدي بن حاتم في القتلى وطلب ابنه طرفة، فوجده فدفنه، ودفن رجال من المسلمين قتلاهم.

فقال علي حين بلغه: أتقتلونهم، ثم تدفنونهم؟! ارتحلوا، فارتحل الناس[1].

ونقول:

إن هذا الإجراء من أمير المؤمنين «عليه السلام»، حيث أمرهم، بالرحيل، ولم يرض بأن يتولوا هم دفن قتلى الخوارج، قد يكون سببه هو أن لا يعرض أصحابه إلى حالة من الندم والحسرة، وأن لا يثير

---

(1) راجع كلاً من الكامل في التاريخ ج3 ص348 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص66 ط الاستقامة.

عاطفتهم تجاه من كان من الخوارج.. من أرحامهم وأقاربهم.. فإن ذلك قد ينتهي بهم إلى الشعور بعقدة الذنب، والإحساس بأن قتلهم قد يرقى إلى مستوى الجريمة..

ولكن لا بد من استثناء من هو مثل عدي بن حاتم، فإنه من الذين لا يشك في صلابتهم في دينهم، ووضوح الرؤية لديهم، وبعد النظر، وقوة الإرادة، إلى حد يأمن معه غائلة الانسياق وراء العواطف، والوقوع تحت تأثير المصاب..

الأسرى والغنائم:

قال عبد الله بن قتادة: كنت في الخيل يوم النهروان مع علي، فلما أن فرغ منهم وقتلهم لم يقطع رأساً، ولم يكشف عورة[1].

وقد غنم أصحاب علي في ذلك اليوم غنائم كثيرة[2].

وعن عرفجة عن أبيه قال: جيء علي بما في عسكر أهل النهروان فقال: من عرف شيئاً فليأخذه، فأخذوه[3].

وعن عرفجة عن أبيه قال: شهدت علياً حين ظهر على أهل النهروان، فأمر بورثتهم فأخرجت إلى الرحبة ثم قال للناس: من عرف شيئاً فليأخذه. فجعل الناس يأخذون ما عرفوا حتى كان آخر ذلك قدر من نحاس، فمكثنا ثلاثة أيام لا يعرفها أحد، ثم فقدتها، فلا

---

(1) كنز العمال ج11 ص312.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص133.

(3) كنز العمال ج11 ص309.

أدري من أخذها[1].

ويقولون أيضاً: «وجد علي «عليه السلام» ممن به رمق أربعمائة. فدفعهم إلى عشائرهم، ولم يجهز عليهم، ورد الرقيق (والمتاع) على أهله حينما قدم الكوفة، وقسم الكراع والسلاح وما قوتل به بين أصحابه»[2].

زاد الدينوري قوله: «وأمر بما سوى ذلك فدفع إلى وراثهم»[3].

وعن النزال بن سبرة: «أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان. ولكن رده إلى أهله كله، حتى كان آخر ذلك رحل أتي به، فرده»[4].

وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام بجرحاهم الأربعين الذين سقطوا في سواد الكوفة، فإنه أدخلهم الكوفة أيضاً، وأمر بمداواتهم، ثم قال لهم: إلحقوا بأي البلاد شئتم.

وعن شقيق بن سلمة، قال: لم يسب علي يوم الجمل، ولا يوم

---

(1) تاريخ بغداد ج11 ص3.

(2) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج2 ص374 و 375 وتاريخ الأمم والملوك للطبري. ج4 ص66. والأخبار الطوال ص211 وتذكرة الخواص ص105 عن الواقدي والبداية والنهاية ج7 ص289 والكامل لابن الأثير ج3 ص348 ولم يذكر من بهم رمق وفي مروج الذهب ج2 ص207 قال: (قسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والإماء إلىأهلهم).

(3) الأخبار الطوال ص211.

(4) البداية والنهاية ج7 ص290.

النهروان[1].

تاريخ وقعة النهروان بالتحديد:

قال الحموي: «بين خروجه إلى الخوارج، وقتل ابن ملجم لعنه الله تعالى له سنة وخمسة اشهر وخمسة أيام»[2].

وثمة أقوال أخرى في ذلك.

ولا يعنينا تحقيق هذا الأمر كثيراً، ولذا فنحن نكتفي هنا بهذا النقل.

ذو الثدية والراسبي:

قد يظهر من نصوص كثيرة: أن ذا الثدية قد استخرج من بين القتلى، وأنه كان قد قتل أثناء المعركة قبل استخراجه.. غير أن نصاً آخر يقول: إنه استخرج حياً، ثم قتل، وأن الراسبي لم يقتل في المعركة. يقول النص: «وكان المخدج ذو الثدية قد دخل تحت القنطرة، والتاط سقفها.

فقال علي: اطلبوه، ما كذب رسول الله.

فحمحمت البغلة، فنظروا فإذا هو تحت القنطرة، فأخرج، وقتل. ورجع عبدالله بن وهب قبل القتال..»[3].

---

(1) كنز العمال ج7 ص321.

(2) معجم الادباء ج5 ص264.

(3) البدء والتاريخ ج5 ص136 - 137.

ويستوقفنا في هذا النص ما يلي:

1 ـ قوله: عن ذي الثدية! انـه قد استخرج حيا، ثم قتل.. ولا نستطيع أن نكذب هذا النقل، فإنه محتمل، ومعقول.

2 ـ إن قوله: إن عبدالله بن وهب قد رجع قبل القتال يخالف إجماع المؤرخين.. والذي يبدو لنا: أنه قد اشتبه الأمر على الراوي بين عبدالله بن الكواء وعبدالله بن وهب. فإن الذي رجع قبل القتال هو ابن الكواء، لا ابن وهب.

3 ـ إنه «عليه السلام» قد بين لنا: أنه حين يخبر عن ذي الثدية، فانه لا يخبر اجتهاداً ورأياً، بل هو يخبر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد أكد «عليه السلام» على هذا الأمر في أكثر من موضع..

وقد ظهر من الإستعانة ببغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإرشادها إلى موضع وجود ذي الثدية: أن هذا الأمر هو من الغيب الذي يراد له أن يرسخ اليقين لدى الناس بصوابية موقف أمير المؤمنين «عليه السلام»..

الشك في قطع يد المخدج:

ويذكر الطبري نصاً يقول: إنهم حين وجدوا المخدج، وأخبروا علياً «عليه السلام» بذلك قال: «اقطعوا يده المخدجة، وائتوني بها، فلما أتي بها أخذها ثم رفعها وقال: والله، ما كذبت، ولا كذبت»(1).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص69.

ونحن نشك في صحة هذا النص، إذ أن ذلك من قبيل المثلة، ولم يكن أمير المؤمنين «عليه السلام» ليقدم على أمر كهذا.

ويمكن الرد على ذلك: بأنه «عليه السلام» إنما قصد إثبات صحة ما كان أخبر به أصحابه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من مروق الخوارج، وآية ذلك وجود المخدج بينهم.

ولكنه رد غير صحيح، فقد كان بإمكان أمير المؤمنين أن يري الناس المخدج نفسه على ما هو عليه وأن يرفع لهم يده ليروها، من دون حاجة إلى قطع يده المخدجة..

بل إن ذلك يكون أبلغ في الحجة، وأبعد عن التشكيك بالنسبة لمن لم يره قبل قطعها..

وقد ذكرت بعض النصوص: أنه «عليه السلام» قد رفع يده المخدجة ليراها الناس، ولم يزد على ذلك.. **وسيأتي ذلك في فصل.**

قتل المخدج طمأن القلوب:

قد تقدمت نصوص كثيرة دلت على اهتمام علي «عليه السلام» بأمر ذي الثدية، وشكره لله، وسجوده، حين وجدوه. ونورد هنا نصاً واضح الدلالة على أن قتل ذي الثدية كان له أثره الكبير على روح الناس وبث الطمأنينة في نفوسهم..

فقد روي عن أبي كثير مولى الأنصار، قال: كنت مع سيدي، مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم فقال علي رضي الله عنه:

يا أيها الناس، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حدثنا

بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبداً، حتى يرجع السهم على فوقه. وإن آية ذلك: أن فيهم رجلاً أسود، مخدج اليد، أحد ثدييه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإني أراه فيهم.

فالتمسوه، فوجدوه إلى شفير النهر، تحت القتلى، فأخرجوه. فكبر علي رضي الله عنه، فقال:

الله أكبر. صدق الله ورسوله.

وإنه لمتقلد قوساً له، عربية، فأخذها بيده، فجعل يطعن بها في مخدجيه، ويقول: صدق الله ورسوله.

وكبر الناس حين رأوه، واستبشروا، وذهب ما كانوا يجدون[1].

وفي نص آخر قال: سار علي «عليه السلام» إلى النهروان، فقتل الخوارج، ثم قال: اطلبوا، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم، (أوقال:) فيهم رجل أسود مخدج اليد في يده شعرات سود. إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس. وإن لم يكن فقد قتلتم خير الناس.

قال: ثم إنا وجدنا المخدج، قال: فخررنا سجوداً، وخر علي ساجداً معنا[2].

(1) مسند أحمد ج1 ص88.

(2) مسند أحمد ج1 ص108 و 147.

الخوارج بعد النهروان:

إن هناك أقواماً من الناس قد يكون أكثرهم من أولئك الذين استأمنوا في النهروان، أو أنهم رجعوا بسبب احتجاجات علي «عليه السلام» وأصحابه عليهم، أو ممن يشبهون الخوارج في عقلياتهم، ونظرتهم إلى الأمور..

إن هذه الجماعات والأقوام قد جنح بهم شذوذهم وجهلهم، وحماسهم الأعمى إلى أن يغامروا بحياتهم وبمستقبلهم، فيعلنون العصيان، ويخرجون عن الطاعة. فكانت لهم بعد النهروان خرجات على الإمام «عليه السلام» في شراذم قليلة، في بضعة مئات، أو أقل أو أكثر، وخرج في بعضها عليه ألفان منهم.. فكان يقضي على تلك الحركات الواحدة تلو الأخرى بيسر وسهولة.. فخرجوا عليه بالإضافة في النخيلة، في: الانبار، وماسندان، وجرجرايا، والمدائن، وسواد الكوفة [1].

وحين خرج أبو مريم وظفر بهم أمير المؤمنين «عليه السلام» فآمن خمسين رجلاً منهم استأمنوا، وقتل سائرهم[2].

ويلاحظ هنا: إن أؤلئك الذين استأمنوا إليه، وطلب منهم «عليه السلام» أن يعتزلوه، ولا يشاركوا معه في قتال إخوانهم من أهل

---

(1) راجع الفرق بين الفرق ص81، ومقالات الإسلاميين ج1 ص195 و 196 وتاريخ ابن خلدون ج3 ص142 والكامل لابن الأثير ج3 ص372 و 373 وغير ذلك.

(2) راجع أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص486.

النهروان، والذين جرحوا وداواهم، هم أنفسهم الذين خرجوا عليه في النخيلة، وعلى غيره بعد ذلك في عدة مناسبات مثل حيان بن ظبيان، ومعاذ بن جوين، وغيرهما(1).

ويذكر المؤرخون: أن ابن عباس هو الذي خرج لقتال الخوارج بالنخيلة فاستأصلهم، ولم يفلت من القتل إلا خمسة(2).

وذلك يوضح: أن النكسات كانت تتوالى على الخوارج على وتيرة واحدة، وهي تظهر مدى ضعفهم وجبنهم، وضعف إيمانهم.

الخوارج بعد علي:

ويلاحظ: أن الخوارج الذين كانوا مهزومين ـ باستمرار ـ مع علي، قد حاربوا الأمويين بضراوة وعنف. واستمرت حروبهم لهم عشرات السنين. وقد أنهكت هذه الحروب الحكم الأموي، حتى أن انشغال مروان بن محمد الجعدي بحروب الخوارج كان هو السبب في عدم تمكنه من نجدة عامله على شرق البلاد، وهو نصر بن سيار، وأرسل إليه: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب..

وتلاحقت حروبهم للعباسيين بعد ذلك ردحاً من الزمن، ثم خارت قواهم، وتلاشت حركاتهم، ولا تزال لهم بقايا في بعض البلاد إلى

---

(1) راجع: الكامل للمبرد ج3 ص196 و 136 و 236 و 238 وتاريخ ابن خلدون ج3 ص143 وراجع: الخوارج والشيعة ص51.

(2) راجع: قضايا في التاريخ الإسلامي ص81 عن الكامل في الأدب ج3 ص975.

يومنا هذا.

نبوءة صادقة لعلي عليه السلام:

وإن الحالة التي انتهى إليها الخوارج، قد أخبر عنها أمير المؤمنين؛ فقد قال الناس لعلي «عليه السلام» عن الخوارج: هلا ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفنيتهم؟!.

فقال: إنهم لا يفنون، إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء إلى يوم القيامة[1].

وقد ظهر صدق هذا الكلام عبر التاريخ،.. حتى لقد قال المهلب الذي أخذ على عاتقه حربهم دفاعاً عن بني أمية: «ما رأيت ـ تالله ـ كهؤلاء القوم، كلما انتقص منهم يزيد فيهم»[2].

نعم.. وهذه بقاياهم لا تزال موجودة في العديد من المناطق، مثل عمان، وليبيا وغيرها من بلاد شمال افريقية، وان كان وجوداً ضعيفاً وهزيلاً.. هو الآخر قد جاء تصديقاً لقول أمير المؤمنين «عليه السلام»: الذي أخبر أن آخرهم سيكونون لصوصاً سلابين.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص211.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج4 ص199.

الباب الثالث:

توضيحات.. حول النهروان.

الفصل الأول:

معالجة أخطاء فاحشة

بـدايـة:

إننا سنتحدث في فصل مستقل عن شجاعة الخوارج..

ولكننا نشير هنا إلى خصوص ما يدّعى لهم من شجاعة في حرب النهروان..

ونشير أولاً إلى أن هذا الكتاب قد تضمن في فصوله المختلفة حديثاً كثيراً عن أسباب انتشار دعوة الخوارج، وقلنا: إنه قد كان لشعاراتهم التي رفعوها، الدور الهام في ذلك..

بالإضافة إلى ما كانوا يتظاهرون به من زهد وتقوى، وكذلك ما كان يلاقيه الناس من بني أمية من ظلم وجور. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لإعادته، أو للتذكير به..

غير أننا سنذكر هنا بعض ما يرتبط بإسقاط دعوى تجعل من أحداث واقعة النهروان بالذات سبباً لذلك الانتشار أيضاً.. لندفع غائلة ما يمارسه الحاقدون من تزوير للحق وللتاريخ لأهداف بغيضة لا تخفى.

بالإضافة إلى أمور أخرى رأينا أنها بحاجة إلى بعض التوضيح أو التصحيح، فنقول:

جبن الخوارج شجاعة؟!

إن من الغريب حقاً: أننا نجد بعض من يتصدى للبحث التاريخي تبلغ به الغفلة أو التعصب حداً يجعله يصور ضعف الخوارج وجبنهم، وقلة تدبيرهم وهزيمتهم النكراء بطولة خارقة وصموداً، وإقداماً.. فهو يقول عنهم:

«ويشهد المؤرخون بما أبدوه من شجاعة خارقة في معركة لم تكن متكافئة، انتهت بقتل الخوارج ربضة واحدة»[1].

وتستوقفنا هنا أمور عديدة:

فأولاً: لا ندري كيف عرف: أن المعركة لم تكن متكافئة؟! فهل يستطيع أن يبرز لنا جدولاً تاريخياً موثقاً، أو حتى غير موثق يؤكد عدم التكافؤ هذا، من خلال حجم ما حشده علي «عليه السلام» من قوى وعتاد عسكري، وما كانت تمتاز به مواقعه من الناحية العسكرية على مواقع الخوارج. أو أي شيء آخر يدخل في دائرة التفوق العسكري لجيش علي «عليه السلام» على ما كان لدى الخوارج من حشود، وعتاد وسلاح؟!.

وقد تقدم عن ابن حبان أنه نص على أن جيش علي «عليه السلام» كان قليلاً بالنسبة لجيش الخوارج، أو هو يساويه على الأقل. بل قد يكون عدد الخوارج أكثر من عدد جيش علي «عليه السلام»

---

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي ص80 وأشار في الهامش إلى الأخبار الطوال ص210 والعبر وديوان المبتدأ و الخبر ج3 ص142.

فإن جيش علي «عليه السلام» كان أربعة آلاف رجل. أما الخوارج فقد ذكرت بعض النصوص أنهم كانوا أربعة، أو خمسة، بل قيل: كانوا ثمانية آلاف..

ومهما يكن من أمر فإن ابن أعثم يقول: بعد أن ذكر أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بذل محاولات جادة لجمع الناس لحرب الخوارج، وخطبهم عدة مرات، وبعد خطبته الثالثة:

«أجابه الناس سراعاً، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل أو يزيدون، قال:

فخرج بهم من الكوفة، وبين يديه عدي بن حاتم الطائي، يرفع صوته، وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا … برايات صدق كالنسور الخوافق

إلى شر قوم من شراة تحزبوا … وعادوا إله الناس رب المشارق

طغاةً عماةً مارقين عن الهدى … وكل لعين قوله غير صادق

وفينا علي ذو المعالي يقودنا … إليهم جهاراً بالسيوف البوارق

قال: وسار علي رضي الله عنه، حتى نزل على فرسخين من النهروان.

ثم دعا بغلامه، فقال: اركب إلى هؤلاء القوم، وقل لهم عني..

الخ..»[1].

فيتضح من هذا النص: أن التاريخ ليس فقط يرفض أن تكون كفة جيش علي «عليه السلام» هي الراجحة، بل هو يثير احتمالات قوية وجادة في أن تكون كفة الخوارج هي الراجحة، من حيث العدد على الأقل. فضلاً عن وجود دوافع قوية لدى الخوارج للفتك بعلي «عليه السلام» وبجيشه، مع فقد الحماس لدى جيش علي «عليه السلام» إلى درجة مخيفة.

ثانياً: إننا مهما فرضنا من تفوق في العدد والعدة في جانب جيش علي «عليه السلام»، فان النتائج التي أسفرت عنها الحرب تبقى مذهلة وصاعقة.

فإنه إذا كان الخوارج مستميتين في هذه الحرب.. ولنفرض أن عددهم كان قليلاً جداً ولو مئة رجل مقاتل فقط، وكان في مقابلهم عدد هائل جداً ولو بنسبة مئة ألف مقاتل.. وكان الضعف في جانب تلك الفئة القليلة المستميتة وكان الفرسان الشجعان في جانب هذه الكثرة..

نعم.. إننا حتى لو فرضنا ذلك.. فإن ما نتوقعه من هؤلاء المستميتين هو أن يقتلوا من ذلك الجيش الذي ليس لديه رغبة كبيرة بالموت، بل جاء إلى الحرب بتثاقل و وهن وقد بُذل جهد كبير في استنفاره ودفعه إلى ساحة الجهاد ـ إننا نتوقع من هؤلاء المئة المستميتين ـ أن يقتلوا منه بعددهم على الأقل، وذلك في أسوأ

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص105 والبيت الثاني المتقدم ذكره المعتزلي في شرح النهج ج2 ص29.

الاحتمالات وأكثرها تشاؤماً..

فكيف إذا كان المستميتون ألوفاً مؤلفة، ويحتمل أن يكون عددهم ضعف عدد الجيش الذي يواجههم، والمتثاقل عن قتالهم؟!. وكيف إذا كانوا قد قتلوا بأجمعهم، ولم ينج منهم عشرة، ولم يقتلوا من جيش علي «عليه السلام» حتى عشرة؟!!

فهل ثمة من جبن وذهول، واستسلام، وخور أكثر من هذا؟! وكيف استطاع هذا الكاتب ان يعتبر ذلك شجاعة لهم، فضلاً عن أن يعتبره شجاعة خارقة؟!!.

إن هذا الأمر لا يمكن اعتباره حتى تهوراً ومجازفة.. فإن المجازف والمتهور يكون شرساً وجارحاً. وفاتكاً في من يعاديه، ويهاجمه.

ثالثاً: والأغرب من ذلك هو: أن قتلهم قد كان في محل واحد وربضة واحدة. فأين هي مراوغتهم في الحرب، وأين هي جولات الفرسان، ومخاتلة الأقران، ومقارعة الشجعان؟!

وكيف يمكن لهذه الألوف المؤلفة أن تقتل بهذه الطريقة، إلا إذا كانت قد استسلمت لقاتليها كما يستسلم قطيع من الغنم لذابحه بكل بلادة ويسر وهوان؟!

وكيف يمكن لجيش حتى لو بلغ مئات الألوف أن يذبح ألوفاً من الناس ربضة واحدة، وأسلحتهم بأيديهم، وساحة الحرب مفتوحة أمامهم.

رابعاً: إذا كان قد نجا منهم أقل من عشرة، فلماذا لم يلحق بهؤلاء

العشرة عشرات ومئات وألوف أمثالهم لينجوا بأنفسهم من قتل لا فائدة فيه ولا عائدة؟!!

دعاوى حول أسباب تجذر مذهب الخوارج:

ويدعي بعض الذين لا يمتلكون قدرة على التحليل الصحيح لأكثر من سبب:

«أن الموت الدرامي للخوارج في النهروان أضحى في نظر اللاحقين من الخوارج استشهاداً بطولياً من أجل المبدأ والعقيدة. لذلك أصبح المذهب الخارجي بعد النهروان يستند إلى أساس قوي من الفكر، والعقيدة والنضج السياسي.

وانتشرت في العالم الإسلامي تعاليمه بما تنطوي عليه من ثورية وديمقراطية، ودعوة للمساواة، والعدالة الاجتماعية.

ولا غرو فقد لقي استحساناً عند الموالي، وخرج من دائرة العروبة إلى نطاق الإسلام»[1].

ونقول:

إن هذا الكلام لا يمكن قبوله لأكثر من سبب:

فأولاً: إن هذا القائل نفسه يقول بعد ذلك مباشرة وفي نفس الصفحة: «إن حركات الخوارج بعد النهروان برغم كثرتها لم تسفر عن نتائج ايجابية، ويعزى ذلك بالدرجة الاولى لافتقارها إلى التنظيم،

---

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي ص82 و 83 تأليف الدكتور محمود إسماعيل.

واتسامها بالعفوية، والثورية المفرطة»[1].

فالذين يستندون إلى أساس قوي من الفكر، والنضج السياسي، كيف يغفلون أمر التنظيم؟ وكيف يتحركون بعفوية وثورية مفرطة، تكون سبباً في إزهاق الأرواح والنفوس، وفي إفساد حياة الناس، دون أن يكون لها أية فائدة أو عائدة في إسقاط نظام الجبارين، وتخليص الناس من المصائب والبلايا التي يعانون منها؟!.

ثانياً: لم نفهم ماذا يقصد بالموت الدرامي للخوارج، فإن من الواضح: أنه ما كان إلا موت الجبناء، الذين على كثرتهم لم يستطيعوا أن يرفعوا أيديهم بالسيوف أمام جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإذا كانوا مستميتين، ويعدون بالألوف، وإذا كانوا شجعاناً فما بالهم لم يقتلوا من جيش علي عشرة أشخاص، ولم ينج منهم هم عشرة؟!. علماً بأن جيش أمير المؤمنين لم يكن أكثر منهم عدداً، بل ربما تشير بعض النصوص ـ كما تقدم ـ إلى أنهم كانوا هم الأكثر عدداً، والأشد تصميماً على القتال، من جيش علي الذي كان أكثره متردداً يدفعه علي «عليه السلام» دفعاً لقتالهم..

ثالثاً: حبذا لو ذكر لنا هذا الرجل مفردات ولو يسيرة جداً، بل ولو مفردة واحدة تدل على نضجهم السياسي.

بل إن النضج السياسي الذي يدعيه هذا الرجل لهم قد تجلى في انقساماتهم السريعة، التي كانت تحصل لأتفه الأسباب وأبعدها عن التعقل والاتزان، والتي لا تملك مبرراً يمكن تصنيفه في دائرة الوعي

---

(1) قضايا في التاريخ الإسلامي ص83.

والنضج السياسي أبداً.

وعلي «عليه السلام» كان أعرف بهم من كل احد، وهو الذي يقول فيهم: بأن لهم حلوم الأطفال. وأنهم أخفاء الهام، سفهاء الأحلام.

ونظن أن الهدف من هذا الادعاء هو التشكيك بهذا القول وما يشبهه مما سيأتي شطر منه إن شاء الله.

رابعاً: لا ندري كيف نفسر قوله، إن المذهب الخارجي يستند إلى أساس قوي من الفكر.

فهل يستطيع أن يدلنا على مفكر واحد أنتجته الحركة الخارجية؟! وما هي معالم هذا الفكر، ومعاييره، وأصوله، ومناهجه؟!.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في بعض فصول هذا الكتاب كيف أن الخوارج كانوا أعراباً جفاةً، لا يستضيئون بنور العلم، ولا يمسكون بأي سبب من أسباب المعرفة والحكمة..

خامساً: فيما يرتبط بالأساس العقيدي القوي الذي ادعى أن مذهبهم يستند إليه نقول:

لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» أعرف بهم منه، حين قال «صلى الله عليه وآله» عنهم إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وان الدين لا يجاوز تراقيهم..

سادساً: إن غاية ما يمكن أن يتمسك به هؤلاء مما يمكن تصنيفه في دائرة النضج السياسي، هو تلك الشعارات التي كانوا يرفعونها، والتي كانت تستهوي الأحداث والجهلة، والتي كانوا يذكرون معها ما يشير إلى ظلم بني أمية وجورهم.

ولكن ماذا تنفع تلك الشعارات، إذا كانوا يستحلون هم معها قتل الأطفال، وبقر بطون النساء المسلمات؟!! ولا يجرؤون في المقابل على الإساءة إلى أحد من غير المسلمين، في تناقضات بديعة، وشنيعة، لا يستسيغها عقل، ولا يرضى بها ضمير، ولا يقرها وجدان..

سابعاً: ولا ندري ماذا يعني بانتشار تعاليم الخوارج في العالم الإسلامي، فهل انتشر ذلك في أوساط أهل الفكر والعلم؟! أم انتشر ذلك بين الجهال؟! أهل الطيش وأصحاب الأطماع، وطلاب اللبانات. ولماذا لم تستقر هذه التعاليم في الناس؟، بل سرعان ما انحسرت، ولم يبق لها أي أثر إلا بعد أن مستها يد التقليم والتطعيم، التي لم تنجح أيضاً في إبقاء شيء من تعاليمهم إلا في مناطق نائية ليس فيها أثر يعتد به للنشاط الثقافي، والعلمي، والفكري..

هل يدافع علي عليه السلام عن حكمه؟!

وإذا أردنا أن نجيب على السؤال الذي يقول: لماذا كان علي «عليه السلام» شديداً في أمر الخوارج إلى هذا الحد، حيث قتلهم في النهروان، حتى لم يفلت منهم إلا أقل من عشرة.. وهم الذين كانوا إلى الأمس القريب معه، ومن جملة جيشه، الذي حارب معه معاوية. ومع أنه «عليه السلام» هو ذلك الرجل المعروف بأنه الرؤوف الرحيم. وهو الذي لم يزل يسعى لدرء الفتنة، وإخماد النائرة، بأقل قدر ممكن من الخسائر في الأرواح؟!

فهل كان يريد الانتقام لشخصه، من حيث إنه يرى في الخوارج

خطراً متوجهاً إليه كشخص؟!.

إننا نجله كل الإجلال عن مثل ذلك. وهو الرجل الذي اثبت عملياً، ومن يوم وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله»، أنه أسمى من أن يفكر بغير الإسلام، وهو القائل: لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جور إلا عليَّ خاصة[1].

أو أنه كان يرى في الخوارج خطراً يتهدد نظام حكمه، الذي يريد له أن يبقى ويستمر ثابتاً وقوياً، حتى لو كان ثمن ذلك هو قتل الألوف من الناس؟!.

أم أن له ثارات عند هؤلاء القوم، أراد أن يستوفيها بهذه الطريقة الحازمة والحاسمة؟!

إن سيرة علي، وما بينه الله ورسوله في حقه ليكذب كل هذه الدعاوى.. ويبطلها ولسنا بحاجة إلىسوق الشواهد على ذلك.

---

(1) ولأجل ذلك استمر «عليه السلام» بالمعارضة لكل حاكم اغتصب الخلافة، ولم يلتزم بحكم الله فيها. لأن أمور المسلمين لا يمكن أن تسلم في ظل حكومة هذا النوع من الناس. ولو كانت تسلم بذلك لم يصح فرض امامة وخلافة من الله ورسوله. وقد نتج عن هذه المعارضة المستمرة إقصاؤه «عليه السلام» عن حقه طيلة خمس وعشرين سنة، ثم كان من نتيجة ذلك ما ابتلي به من حروب في أيام خلافته. تلك الحروب التي كان يمكنه تجنبها لو أنه قبل بالعمل بنهج غيره، وداهن في دين الله. وقد طلب منه ذلك أكثر من مرة ورفض. ورضى بمواجهة الأذى في ذات الله حتى مات شهيداً مظلوماً على يد أشقاها.

وأما الحديث عن ان له ثارات على الخوارج، فهو اسخف من أن يرد عليه، مادام أن حياة علي «عليه السلام» كلها كانت جهاداً وتضحيات في سبيل حفظ دين الناس وكراماتهم..

ولا يمكن أن نجد في هذا التاريخ ما يشهد لوجود ثارات له عليهم أولهم عليه. وليس علي بالذي يستحل أمراً من هذا القبيل..

ولا بد أن ننتظر الإجابة الصحيحة على السؤال من علي «عليه السلام» نفسه، الذي اعلن بها بكل صراحة ووضوح؛ حيث قال:

«أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ[1]».

خوارج آخر الزمان:

وثمة كلام آخر يقوله بعض الناس عن قضية الخوارج مع أمير المؤمنين «عليه السلام»؛ وهو ما يلي: «..قد يقال: إن الخوارج هم الذين اضطروه إلى هذا العمل، وأنهم ما لبثوا بعد ذلك أن طلبوا إليه الرجوع عنه، وأنه لم يكن له من الرأي والحكم شيء.

ولكن هذا يتناقض مع المنطق الصحيح، ذلك أن علياً حينما وقع مع معاوية أراد أن لا يفرق جماعته، فترك الحق الإلهي بلا ثمن. ذلك الحق الذي كان ضرورياً له في محاربته لخصومه، ومن أجل التمسك بالاتفاق أبعد حقه، وترك الأساس الذي يقوم عليه، والذي تتحقق به الخلافة.

---

(1) نهج البلاغة، الخطبة رقم 122.

أما هؤلاء الذين تمسكوا به، فقد تمسكوا بشخصه، ولم يسيروا معه في أمره على أنه أمر الله، بل على أنه أمر علي، كما فعل أهل الشام في أمر معاوية. ولم يكونوا على أساس قوي عندما ينتظرون التحكيم كأهل الشام.

وهكذا زهدوا في مبدأهم الديني السياسي، الذي كان لا بد منه لكل مسلم.

ومن هنا تفتحت عيون الخوارج على الإمام علي وأصحابه. وعرفوا أن الحق الذي ينادون به ليس إلا حجة، وأنهم إنما يريدون السلطان. ورأى الخوارج أنه إن كان ذلك قد حصل أول الأمر، فلا يمكن أن يصير كذلك إلى آخر الأمر..»[1].

ونقول:

إن هذا البعض قد بذل قصارى جهده ليسجل إدانة لأمير المؤمنين في تعاطيه مع قضية التحكيم، فأدان نفسه من حيث قد أفهم الناس: انه لم يطلع على وقائع التاريخ بدقة، أوأنه قد اطلع عليها، ولم يتمكن من استخلاص الحقيقة بوعي، ويقظة وتدبر. أو أنه لا هذا ولا ذاك، وإنما هو التعصب والحقد البغيض من ذي عاهة مريض، لا يطيق كبت مشاعره الحقيقية، فتظهر لمحات من ذلك التعصب وبوادره في موارد ومناسبات مختلفة.

ولسنا هنا بصدد الدفاع عن علي فإنه «عليه السلام» غني عن

---

(1) الدكتور علي حسن عبد القادر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص170.

دفاعنا فانه مع الحق، والحق معه، يدور حيثما دار ـ بشهادة الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. كما أننا لسنا بصدد الهجوم على سواه. بل نريد فقط لفت نظر القارئ إلى بديهة تاريخية تقول:

إن علياً «عليه السلام» حين قبل بالتحكيم، فإنه لم يترك الحق بلا ثمن كما زعم هذا القائل.. بل هو قد ألزم عدوه بما ألزم به نفسه. ولو أن الخوارج لم يفسدوا ذلك بتعنتهم وإصرارهم على جعل أبي موسى الأشعري، عدو أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه ـ أعني ما ألزم به معاوية ـ لا بد أن يسقط معاوية، ويؤكد حق علي عليه الصلاة والسلام..

لأن القرآن سوف يحكم له «عليه السلام» على معاوية لعنه الله، ولأجل ذلك طلب من الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن. وقال لهما أيضاً: أحكما بما في القرآن ولو في حز عنقي..

وقد كان حق علي «عليه السلام» ثابتاً قبل التحكيم بالنص الصريح عليه، فإنه كان هو الوصي لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

وثابتا بالتحكيم لأن القرآن يحكم بالإمامة لعلي دون معاوية، فهو الذي قال الله عنه: **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)**[1].

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

وهو الذي نزلت فيه آيات الغدير..

ونزل فيه قوله: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)**[1].

و**(وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)**[2].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تُقدّر بالمئات. وتدل على إمامته وخلافته، وعلى أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ومعاوية وأحزابه من الظالمين المحرومين من الكرامة الربانية، بمقتضى قوله تعالى: **(لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)**[3].

تماماً كما حرمت هذه الآية الذين ظلموا الزهراء «عليها السلام» فور وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله»، من أن يكون لهم في هذا الأمر أي نصيب.

كما أن آية: **(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**[4] قد حرمتهم جميعاً ومعاوية منهم من الخلافة الربانية، لأن جهلهم بدين الله كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

إلى غير ذلك من آيات بينات تتحدث عن حرمان من يحمل صفات معاوية، ويفعل أفاعيله التي تتمثل بالخيانة، والكذب، والفسق، والقتل، والظلم، والفتنة والمكر السيء وما إلى ذلك، تحرمه من نيل

---

(1) الآية 207 من سورة البقرة.

(2) الآية 124 من سورة البقرة.

(3) الفتوح لابن اعثم ج4 ص105.

(4) الفتوح لابن اعثم ج4 ص105.

مقام الخلافة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن مقام الولاية على الناس..

كما أن حقه «عليه السلام» ثابت بعد التحكيم، لأن احتيال عمرو بن العاص على أبي موسى، لا يلغي حق ذي الحق، ولا يجعل الحق باطلاً.. بل هو يدين من يمكر، ويوجب العقوبة لمن يحتال..

فما معنى قول هذا القائل إذن: إن علياً «عليه السلام» قد ترك الحق الإلهي بلا ثمن؟!

وهل يمكن ترك الحق الإلهي، مقابل أثمان؟ وما هو نوع تلك الأثمان التي تبرر ترك الحق الإلهي؟! وما هو ذلك الأساس الذي تقوم عليه، وتتحقق الخلافة به، وقد تركه علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟!

إن ما ذكره هذا البعض هو صورة طبق الأصل لما يقوله الخوارج أنفسهم، ولا غرو، فإن هؤلاء في انحرافهم عن علي «عليه السلام» لا يختلفون عن أسلافهم من أهل النهروان، غير أن أولئك قد شهروا السيوف الهندية في وجه علي «عليه السلام» وشيعته الأبرار، وهؤلاء يشهرون أقلام الخيانة والتزوير، التي يغذوها حقد دفين، ومكر خفي. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

الخوارج وحرية الرأي:

وغني عن البيان ان الخوارج حين كانوا يقتلون من يخالفهم في الرأي، بعد أن يكفروه، إنما كانوا يسعون لفرض آرائهم على الناس بالقوة. وكان هذا النهج هو السبب في انقساماتهم السريعة، وتمزقهم

المستمر، وتفرق كلمتهم باطراد.

واللافت أيضاً: أننا نجد منهم إصرارا لا مبرر له على آرائهم ومعتقداتهم الباطلة حتى بعد ظهور زيفها، ولا يثنيهم ظهور بطلانها عن محاولة فرضها على الناس بالقوة، كما يظهر لمن قرأ تاريخهم.. وأصبح الناس معهم أمام خيارين لا ثالث لهما:

الأول: أن يؤمنوا بالباطل ويتخذوه ديناً..

الثاني: أن يواجهوا الموت والهلاك بأبشع صوره، وأشدها ألماً وهولاً..

وهذا الأمر هو الذي جعل الناس سرعان ما يدركون خطرهم، ونفر العقلاء منهم، وجعلهم يندفعون إلى العمل على صيانة حرية الاعتقاد، وإلى دفع شرهم عن الناس الأبرياء..

هذا بالإضافة.. إلى أن إفساح المجال أمام دعوة الخوارج، إنما يعني القبول بسقوط النظام الاجتماعي العام، وجعل كل شيء في خطر دائم ومستمر. وهذا مما لا مجال لقبوله، ولا طريق للسكوت عنه.

هذا حقد أم جهل؟!

قال بعضهم: «قد كانت الثورة ضد عثمان ثورة ضد الخليفة في سبيل الله، ومن أجل الحق والعدل ضد الباطل والجور، ولم يكن هذا المبدأ ليستعمل ضد عثمان بشخصه. ولكنه كان ضد كل حاكم يحيد عن الطريق الصحيح.. وعلى هذا الأساس خرج الخوارج على الإمام، فهذه الثورة، التي جاءت به إلى الخلافة، ما كانت لتغمض

عينها عن علي نفسه عندما يحيد عن الصواب»[1].

ونقول:

إن هذا الرجل قد أخذ كلامه من مستشرق حاقد لئيم، وهو يوليوس فلهوزن، حيث يقول: «..فالثورة التي أتت بعلي إلى الخلافة، لم تتعاون معه حينما ضل الطريق»[2].

وهو كلام لا يمكن قبوله، ولا السكوت عنه، وذلك:

أولاً: لا ندري إن كان فلهوزن ومن تبعه ممن ينعق مع الناعقين، يجهلون حقيقة: أن الخوارج لم يكن لهم أي دور في وصول علي «عليه السلام» إلى الخلافة، فإن هؤلاء الناس كانوا أعراباً جفاةً، يعيشون بذهنيتهم العشائرية في مناطق بعيدة عن مركز القرار، وهم عراقيون، وليسوا من أهل الحجاز، ولم يكن لهم ذكر ولا شأن، وإنما ظهر أمرهم، وطرأ ذكرهم بعصيانهم وتمردهم على أمير المؤمنين في صفين وبعدها..

ثانياً: إن هذا الخبيث يجعل نفسه في موقع العارف بالخطأ، والصواب، و الضلال، والهدى؛ فهو يوزع الأوسمة، ويعطي الشهادات بالهدى وبالضلال لمن أحب حتى تطاول ـ لعنه الله ـ على من هو مع الحق، والحق معه، وباب مدينة علم رسول الله، وسيد الخلق من بعده وصفوة الله، وخيرة الله. وسفينة نجاة هذه الأمة.

---

(1) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص170 تأليف الدكتور على حسن عبد القادر

(2) الخوارج والشيعة ص39.

ثالثاً: إن علياً لم تأت به ثورة، وإنما هو وصي رسول رب العالمين، وقد نص الله ورسوله على إمامته وخلافته. وكانت عودة الناس إليه هي التصرف الطبيعي، والانصياع إلى الحكم الشرعي، والتكليف الإلهي. فهم قد اغتصبوا مقامه وموقعه؛ فلا غرو إذا أرغمتهم الوقائع على الاعتراف بخطأهم، وعلى التراجع عن هذا الخطأ، وإعادة الأمور إلى نصابها..

الفصل الثاني:

عائشة.. والخوارج

الخوارج يسبون عائشة:

قد عرفنا: أن هؤلاء، الذين أجبروا أمير المؤمنين «عليه السلام» على التحكيم، هم أنفسهم الذين عادوا وحكموا عليه بالكفر لقبوله بما أكرهوه عليه.. وحكموا على عثمان أيضاً بالكفر من أجل مخالفات صدرت منه في السنين الأخيرة..

وحكموا على عائشة كذلك بالكفر، بسبب ما أحدثته من أمور بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد ورد: أنها سألت أبا قتادة الأنصاري. ومن كان من الأنصار الستين أو السبعين رجلاً، بعد رجوعهم من قتال الخوارج مع أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ سألتهم عما كان الخوارج يقولونه، فقال لها أبو قتادة الأنصاري: «يسبون أمير المؤمنين، وعثمان، وأنت، ويكفرونكم، فلم نزل نقاتلهم، وعلي «عليه السلام» بين أيدينا، وتحته بغلة النبي الخ..».

ثم تذكر الرواية: أن علياً «عليه السلام» قال لهم: لا تتبعوا مولياً.

ثم تذكر أيضاً حديث ذي الثدية..

ثم رواية عائشة لهم ما سمعته من النبي «صلى الله عليه وآله» في ذم الخوارج: وأنه «يقتلهم أحب الخلق إلى الله ورسوله.

قال أبو قتادة: قلت: قد علمت هذا، فلم كان منك ما كان؟!

فقالت: وكان أمر الله قدراً مقدوراً».

وفي نص آخر: أنها اعتذرت عن ذلك بأنها كانت قد وجدت عليه بسبب موقفه من قصة الإفك، فكان منها تجاهه ما كان، قالت: «وأنا الآن فاستغفر الله مما فعلته»(1).

وحسب نص الخطيب البغدادي: لما فرغ علي بن أبي طالب من قتال أهل النهروان، قفل أبو قتادة الأنصاري، ومعه ستون أو سبعون من الأنصار. قال: فبدأ بعائشة.

قال أبو قتادة: فلما دخلت عليها قالت: ما وراءك؟

فأخبرتها: أنه لما تفرقت المحكمة من عسكر أمير المؤمنين لحقناهم فقتلناهم.

فقالت: ما كان معك من الوفد غيرك؟!

قال: بلى، ستون أو سبعون.

قالت: أفكلهم يقول مثل الذي تقول؟

قلت: نعم.

قالت: قص علي القصة.

فقلت: يا أم المؤمنين، تفرقت الفرقة، وهم نحو من اثني عشر ألفاً، ينادون لا حكم إلا لله، فقال علي: كلمة حق يقال يراد بها باطل.

---

(1) راجع فيما تقدم: تذكرة الخواص ص104 و 105 وبهج الصباغة ج7 ص120 وتاريخ بغداد ج1 ص160 وعنه في الغدير للأميني ج7 ص154.

فقاتلناهم بعد أن ناشدناهم الله وكتابه، فقالوا: كفر عثمان، وعلي، وعائشة، ومعاوية.

فلم نزل نحاربهم، وهم يتلون القرآن، فقاتلناهم وقاتلونا، وولى منهم من ولّى، فقال علي: لا تتبعوا مولياً.

فأقمنا ندور على القتلى، حتى وقفت بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي راكبها، فقال: إقلبوا القتلى.

فأتيناه، وهو على نهر فيه القتلى فقلبناهم، حتى خرج في آخرهم رجل أسود على كتفه مثل حلمة الثدي، فقال علي: الله أكبر، والله، ما كذبت ولا كذبت، كنت مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد قسم فيئاً فجاء هذا، فقال: يا محمد، اعدل، فوالله ما عدلت منذ اليوم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: ثكلتك أمك، ومن يعدل عليك إذا لم أعدل؟!

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا اقتله؟.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا، دعه فإن له من يقتله.

وقال: صدق الله ورسوله.

قال: فقالت عائشة: ما يمنعني ما بيني وبين علي أن أقول الحق. سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: تفترق أمتي على فريقين، تمرق بينهما فرقة محلقون رؤوسهم، محفون شواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرؤون القرآن، لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبهم إليّ، وأحبهم إلى الله تعالى.

قال: فقلت: يا أم المؤمنين، فأنت تعلمين هذا! فلم كان الذي منك؟

قالت: يا أبا قتادة، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وللقدر أسباب[1].

نظرة في اعتذار عائشة:

ونقول:

إن من جملة ما يلفت النظر فيما يرتبط بالنصوص المتقدمة التالية:

1 ـ إن الظاهر هو: أن الشيخ المفيد رحمه الله تعالى قد أخذ قوله: بأن من أسباب حرب الجمل، هو حقد عائشة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، بسبب موقفه «عليه السلام» في قصة الإفك ـ أخذه ـ من هذه الرواية، ومن عائشة نفسها.

لكننا قد أثبتنا في الجزء الثاني عشر من كتابنا (الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»)، وفي كتاب مستقل أسميناه (حديث الإفك) ـ وهو مطبوع في بيروت ـ: أن هذه القضية مزيفة، ولا يمكن أن تصح، وأن الإفك إنما كان على مارية لا على عائشة.. وأن نسبة ذلك إلى عائشة قد كان بسعي من أم المؤمنين نفسها لتفوز بالبراءة الإلهية.. وربما لغير ذلك من أسباب.. وقد أخذه الشيخ المفيد، وهو غافل عن حقيقة الأمر، ومن دون تحقيق علمي كاف.

وها هي عائشة هنا تحاول التأكيد على هذا الأمر بادّعاء: أنها كانت واجدة على علي «عليه السلام» بسبب موقفه من حديث الإفك.

---

(1) تاريخ بغداد ج1 ص160.

فإذ قد ثبت أن القصة مفتعلة، فكل الآثار التي يراد ترتيبها عليها، تصبح بلا قيمة، وتدخل في دائرة الكيد الإعلامي والسياسي الذي لا يعود بعائدة، ولا يفيد أية فائدة على صعيد تحقيق الحق، وإثبات ما هو واقع..

ولعل أم المؤمنين قد حقدت على أمير المؤمنين، من أجل تبرئته لمارية بالطريقة القاطعة لأي عذر والمزيلة لأي شبهة أو ريب.

وكان موقفه «عليه السلام» هو النكير على الآفكين الحقيقيين، وإظهار زيفهم، وإسقاط الأقنعة عن وجوههم.

2 ـ قد وردت عدة نصوص عن عائشة، تدين فيها الخوارج، وتذكر ما سمعته عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذمّهم، ومدح من يقتلهم..

والذي نعهده من عائشة هو: حرصها الأكيد على عدم ذكر أي شيء في فضل علي «عليه السلام». كما ظهر من حديثها الذي تذكر فيه خروج النبي «صلى الله عليه وآله» في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً على الفضل بن العباس، ورجل آخر (لم تذكر اسمه بغضاً منها له، هو علي «عليه السلام»).

غير أنها هنا لم تملك نفسها فصرحت بفضيلة كبرى لعلي «عليه السلام»..

ولعل ذلك بسبب انفعالها وحماسها الذي أثاره ما سمعته عن الخوارج من أنهم يسبونها، ويكفرونها، والله هو العالم بحقيقة الدوافع والنوايا..

3 ـ واللافت هنا: أننا نجد بعض النصوص تقول:

إن علياً «عليه السلام» قال: «لقد علم أولو العلم من آل محمد، وعائشة بنت أبي بكر، فاسألوها: إن أصحاب ذي الثدية ملعونون على لسان النبي الأمي «صلى الله عليه وآله»..».

وفي رواية: «إن أصحاب النهروان..»(1).

فهو «عليه السلام» يوجه الأنظار إلى موقف عائشة، الذي سيأخذه محبوها وغيرهم على مأخذ الجد أكثر من مواقف غيرها من الصحابة، وهي العدوة اللدود لعلي «عليه السلام»، والتي لا تطيق أن تذكره بخير أبداً، وهي زوجة النبي وبنت الخليفة الأول، ومدللة الخليفة الثاني، ولها امتداد واسع ونفوذ قوي لدى جميع المخالفين لأمير المؤمنين «عليه السلام»، والذين ما فتئوا يعملون على تقويض حكمه وطمس فضائله، وتعظيم أعدائه وإطرائهم.

4 ـ قد ظهر من النص المتقدم نقله عن علي «عليه السلام»، فيما يرتبط بما ينقله الصحابة وعائشة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذم أصحاب ذي الثدية: أن علياً «عليه السلام» يريد أن يرسخ الإعتقاد بالإخبارت الغيبية التي تحكي قضيته مع أعدائه، وتؤكد حقانية موقفه..

وما ركوبه لبغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حربه

---

(1) مجمع الزوائد ج6 ص239 وقال: رواه الطبراني في الصغير والاوسط بأسنادين وقال: رجال أحدهما ثقات. وتاريخ بغداد ج13 ص282 وليس فيه ذكر عائشة.

للخوارج وإصراره على الإخبارات الغيبية المتنوعة في أكثر من مورد في حربه مع الخوارج وغيرهم إلا للتأكيد على صلته برسول الله «صلى الله عليه وآله» واختصاصه به، ولتكذيب ما يحاول أعداؤه ومناوؤوه أن يكيدوه به.

5 ـ إن عائشة تعتذر عما فعلته مع علي «عليه السلام»، حينما واجهته بالحرب، التي حصدت الألوف من المسلمين ـ تعتذر عن ذلك بالجبر الإلهي، وهي العقيدة التي أسسها عمر بن الخطاب، ثاني الحكام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتبعه في ذلك، معاوية ثم يزيد فيما يرتبط بقتله للإمام الحسين «عليه السلام». وهكذا فعل غيرهم من الحكام والأمراء من الأمويين وغيرهم، وأصبح ذلك جزءاً من عقائد فريق كبير من الناس في داخل المجتمع الإسلامي.

وهي عقيدة مأخوذة من اليهود، وكانت مستقرة في عقول المشركين. فراجع كتابنا: (أهل البيت في آية التطهير) وغيره.

موقف عائشة من الخوارج:

وقد ذكر عاصم بن كليب عن أبيه: أن رجلاً أراد أن يكلم أمير المؤمنين «عليه السلام» في أمر، فشغل «عليه السلام» عنه، فسألوا ذلك الرجل عن ذلك.

فقال: إني كنت في العمرة، فدخلت على أم المؤمنين عائشة، فقالت: ما هؤلاء الذين خرجوا قبلكم، يقال لهم: حروراء.

فقلت: قوم خرجوا إلى أرض قرية منا، يقال لها حروراء.

قالت: فشهدت هلكتهم؟!

قال عاصم: فلا أدري ما قال الرجل: نعم، أم لا.

فقالت عائشة: أما إن ابن أبي طالب لو شاء حدثكم حديثهم.

فجئت أسأله عن ذلك.

فلما فرغ علي مما كان فيه، قال: أين الرجل المستأذن؟.

فقام فقص عليه ما قص علينا. قال: فأهلّ علي وكبر، وقال: دخلت (على) رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس عنده غير عائشة، فقال: كيف أنت يا ابن أبي طالب؟ وقوم كذا وكذا؟!

فقلت: الله ورسوله أعلم.

فأعادها، فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: قوم يخرجون من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم(1).

عائشة تطلب البينة على المخدج:

عن مسروق قال: قالت عائشة: يا مسروق، إنك من ولدي، وإنك من أحبهم إليّ، فهل عندك علم من المخدج؟.

قال: قلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه: تامرّا، ولأسفله النهراون بين حقايق وطرفاء.

قالت: إبغني على ذلك بينة.

فأتيتها بخمسين رجلاً من كل خمسين بعشرة ـ وكان الناس إذ

---

(1) كشف الأستار ج2 ص362 و 363، ومجمع الزوائد ج6 ص238 عنه وعن أبي يعلى ورجاله ثقات.

ذاك أخماساً ـ يشهدون: أن علياً «عليه السلام» قتله على نهر يقال لأعلاه: تامرّا، ولأسفله النهروان بين حقايق وطرفاء.

فقلت: يا أمّه، أسألك بالله، وبحق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبحقي ـ فإني من ولدك ـ أي شيء سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول فيه؟!.

قالت: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة [1].

وهذه الحادثة هي غير ما جرى لها مع عبد الله بن شداد، وهي التالية:

ابن شداد يروي لعائشة:

وقد روى أحمد بسنده عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري، قال: جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة (رض) ونحن عندها جلوس ـ مرجعه من العراق ليالي قتل علي رضي الله عنه ـ فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي رضي الله عنه.

---

(1) مناقب علي ابن أبي طالب لابن المغازلي ص56 وفي هامشه عن مجمع الزوائد ج6 ص239 وقال: رواه الطبراني، وتراه في أرجح المطالب ص599 ط لاهور وفيه (فأتيتها من كل سبع برجل). وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص267، والبحار ج38 ص15 و 16.

قال: وما لي لا أصدقك؟!

قالت: فحدثني عن قصتهم.

قال: فإن علياً لما كاتب معاوية، وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه، فقالوا:

انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به. ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى.

فلما أن بلغ علياً رضي الله عنه ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن.

فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكّه بيده، ويقول: أيها المصحف! حدّث الناس!

فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟!

قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله.

يقول الله تعالى في كتابه، في امرأة ورجل:

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا)(1).

فأمة محمد «صلى الله عليه وآله» أعظم دماً وحرمة من امرأة

---

(1) الآية 35 من سورة النساء.

ورجل. ونقموا عليّ: أن كاتبت معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل بن عمرو: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال: كيف نكتب؟

فقال: أكتب باسمك اللهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فاكتب: محمد رسول الله.

فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك.

فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً.

يقول الله تعالى في كتابه: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ..)**[1].

فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس (رض) فمن لم يكن يعرفه، فأنا أعرّفه من كتاب الله ما يعرفه به. هذا ممن نزل فيه وفي قومه: **(قَوْمٌ خَصِمُونَ)**[2]؛ فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله.

فقام خطباؤهم، فقالوا: والله، لنواضعنه كتاب الله؛ فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه. وإن جاء بباطل لنبكتنّه بباطله.

---

(1) الآية 21 من سورة الأحزاب.

(2) الآية 58 من سورة الزخرف.

فواضعوا عبد الله بن عباس الكتاب ثلاثة أيام.

[وقد ذكرت رواية ابن عساكر: أنهم ذكروا أنهم نقموا على أمير المؤمنين: أنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كان القوم كفاراً فقد أحل الله دماءهم ونساءهم، وإن كانوا غير ذلك فقد استحل ما صنع بهم.

ثم إنه حكم الرجال في دين الله، والله يقول: **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ)** (1).

وإنه محا اسمه من إمرة المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

فأجابهم ابن عباس بنحو كلام أمير المؤمنين السابق، وأنه قد حكم في الصيد وبين الزوجين، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد محا كلمة (رسول الله) يوم الحديبية، وأنه لا يحل سبي عائشة.

فإن قلتم: إنما يستحل منها ما يستحل من المشركات بعد قول الله تعالى: **(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)**(2) فقد خرجتم من الإسلام انتهت زيادات ابن عساكر.

فرجع منهم أربعة آلاف، كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على عليّ الكوفة.

فبعث علي (رض) إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم؛ فقفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمة محمد «صلى الله عليه وآله» بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمّة (الأمة)، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء؛

---

(1) الآية 57 من سورة الأنعام.

(2) الآية 6 من سورة الأحزاب.

(..إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)[1].

فقالت له عائشة (رض): يا ابن شداد، فلم قتلهم؟

فقال: والله، ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة.

فقالت: آلله؟

قال: آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان.

قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون: ذو الثدي، وذو الثدي؟

قال: قد رأيته، وقمت مع علي رضي الله عنه عليه في القتلى، فدعا الناس؛ فقال: أتعرفون هذا؟

فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي.. ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك..

قالت: فما قول علي رضي الله عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟

قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله

قال: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟!.

قالت: اللهم لا.

قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً رضي الله عنه.

إنه كان من كلامه، لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله

---

(1) الآية 58 من سورة الأنفال.

ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث[1].

وفي نص آخر: عن يزيد بن أبي زياد قال: سألت سعيد بن جبير عن أصحاب النهر، فقال: حدثني مسروق.

قال: سألتني عائشة رضي الله عنها (و) عنهم، فقالت: هل أبصرت أنت الرجل الذي يذكرون، ذو الثدية؟!

قال: فقلت: لم أره، ولكن شهد عندي من قد رآه.

قالت: فإذا قدمت الأرض فاكتب إلي بشهادة نفر قد رأوه.

قال: فجئت والناس أسباع، قال: فكلمت من كل سبع عشرة ممن قد رآه.

قال: فقلت: كل هؤلاء عدل رضى؟!

فقالت: قاتل الله فلاناً. فإنه كتب إلي أنه أصابه بمصر[2].

---

(1) مسند أحمد ج1 ص86 - 87 وترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ج3 ص153 - 157 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص304 و 305 والمصنف للصنعاني ج10 ص148 والبداية والنهاية ج7 ص280 و 281 وراجع كنز العمال ج11 ص278 - 280 عن أحمد والعدني وابن عساكر وغير ذلك. وفي هامشه عن منتخب كنز العمال ايضاً. ومجمع الزوائد ج6 ص235-37 عن أبي يعلى ورجاله ثقات ومستدرك الحاكم ج2 ص152 - 154 وتلخيصه للذهبي بهامشه.

(2) الجوهرة ص110 وراجع البداية والنهاية ج7 ص305 عن دلائل النبوة للبيهقي.

وفي نص آخر: «لعن الله عمرو بن العاص فإنه كتب إلي يخبرني: أنه قتله بالإسكندرية، إلا أنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يقول: يقتله خير أمتي بعدي»[1].

ملاحظات على ما تقدم:

ونسجل هنا ما يلي:

1 ـ قد ظهر مما تقدم: أن هناك محاولة للتشكيك في أمر ذي الثدية وكون علي «عليه السلام» قد أصابه في النهروان، حتى أن البعض يكتب لأم المؤمنين: أنه قد أصابه بمصر. في محاولة وقحة للتزوير، والتجني على الحقيقة والتاريخ، وعلى أمير المؤمنين «عليه السلام» بالخصوص.

2 ـ إن عمرو بن العاص يحاول أن يكذب وينسب إلى نفسه قتل ذي الثدية، بهدف الفوز بالثناء النبوي العظيم على قاتله. ويبعد ذلك عن أمير المؤمنين «عليه السلام». رغم أن أمر ذي الثدية ـ وانه قتل مع الخوارج كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

3 ـ إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن بحاجة إلى ذي الثدية، فله «عليه السلام» من الفضائل والمناقب، ما لا يمكن حصره وعده.. ولكن الناس هم المحتاجون لذلك لكي يعرفوا الحق. ويفوزوا برضى الله، وبنصرة وليه المظلوم.

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج2 ص268 والبحار ج38 ص15.

أضف إلى ذلك: أن الناس لو كانوا واعين لحقائق الدين، وأحكامه، لظهر لهم: أن حرب الخوارج من أعظم القربات، وأجلها، وأن التواني عن ذلك خسران عظيم، ومخالفة لأحكام الله.. وخروج عن جادة الحق والدين..

إن الأمة هي التي كانت بحاجة إلى الهداية وإلى البيان، وكان هذا البيان الغيبي الذي يقهر العقل، ويتصل بالوجدان مباشرة، هو الأسلوب الأمثل في مورد يحتاج إلى السرعة في اتخاذ القرار، وإلى المبادرة، وإلى الموقف الحازم والحاسم.

4 - إن عائشة قد اعترفت بأن أهل العراق كانوا يكذبون على علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويزيدون عليه في الحديث.

5 - إن حديث ابن شداد يشير إلى أن من جملة الأمور التي دفعت بأمير المؤمنين «عليه السلام» إلى حرب الخوارج أنهم قد استحلوا أهل الذمة.. مع أن من المعروف عنهم هو تحرّجهم من قتل أهل الذمة، وذلك يعني: أنهم قد تجاوزوا في الفساد والافساد كل حد، حتى تلك الحدود التي الزموا بها أنفسهم بصورة حازمة وصارمة.

مع وجود احتمال: أن يكونوا في بدايات ظهورهم، لم يكونوا قد وضعوا تلك الحدود، ولا قالوا بتلك المقولات التفصيلية، وإنما كانت تصدر منهم قضايا جزئية وتصرفات فردية. ثم أصبحت فيما بعد نهجاً وسمات عامة لهم بمرور الزمن..

مفارقات في مواقف عائشة:

ونسجل هنا ملاحظة على مواقف عائشة، فإنها حين تسمع بأن

الخوارج يكفرونها تندفع للافصاح عما سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذم للخوارج، ومن ثناء على قاتلهم.. ثم هي تبرؤه «عليه السلام» من أكاذيب أهل العراق، وزياداتهم في الحديث عليه.

مع أننا نعرف:

أولاً: إنها في حديث منع الرسول «صلى الله عليه وآله» لأبيها عن إكمال الصلاة، وخروجه ـ وكان «صلى الله عليه وآله» مريضاً ـ وهو يتوكأ على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل العباس، تقول الرواية: فقال عبد الله بن عباس لعكرمة: فلم تسم لك الآخر؟.

قال: لا والله ما سمته.

قال: أتدري من هو؟

قال: لا.

قال: ذلك علي ابن أبي طالب. وما كانت أمنا تذكره بخير، وهي تستطيع(1).

فعائشة إذن لا تطيب نفسها بذكر اسم علي «عليه السلام»، حتى ولو بمثل أن يعتمد عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مشيته،

---

(1) الجمل ط سنة 1413 هـ. ص158، وطبقات ابن سعد ج2 ص231 و 232 ط سنة 1405 هـ. ومسند أحمد ج6 ص38 و 288، والمستدرك على الصحيحين ج3ص56، والسنن الكبرى ج1ص31، والإحسان ج8 ص198، وصحيح البخاري ج1ص162 ط سنة 1401 هـ. دار الفكر بيروت. وصحيح مسلم (بشرح النووي) ج4 ص138 و 139، والصوارم المهرقة. ص105 والإرشاد ص164.

وهو في مرض موته، لأنها لا تحب أن تذكره بخير أبداً.. هي نفسها عائشة التي تذكر حديث الرسول «صلى الله عليه وآله» ومدحه العظيم لقاتل الخوارج.

وثانياً: إنها حين سمعت بقتل أمير المؤمنين علي «عليه السلام» على يد خارجي ـ وهي التي تروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الخوارج شر الخلق والخليقة، وان علياً خير الخلق والخليقة، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال عن قاتل ذي الثدية: يقتله خير أمتي بعدي. وعلي «عليه السلام» هو الذي قتله..

نعم.. إنها حين سمعت بقتل ابن ملجم الخارجي، لعلي «عليه السلام».. لم تتمالك نفسها عن إبداء الفرح العظيم.. فبادرت إلى عتق غلام لها أسود وسمته: عبد الرحمن، حباً منها بعبد الرحمن بن ملجم، حسب قولها[1].

وسجدت لله شكراً[2].

وفرقت أربعين ديناراً في ضعفة مبغضي أمير المؤمنين من تيم وعدي[3].

وقالت:

---

(1) راجع: تلخيص الشافي ج4 ص158 والجمل ـ ط النجف ـ ص84 والبحار ج22 ص234 وج32 ص341 و 342 وقاموس الرجال ج10 ص475 والشافي ج4 ص356.

(2) مقاتل الطالبيين ص47 والجمل ص159 ط سنة 1413 هـ.

(3) الهداية الكبرى ص197.

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر[1]

وحين سمعت بنعيه «عليه السلام» استبشرت أو تمثلت بقول الشاعر:

فإن تك ناعياً فلقد نعاه نعي ليس في فيه التراب

ثم قالت: من قتله؟

فقيل: رجل من مراد.

فقالت: رب قتيل الله بيدي رجل من مراد.

فقالت لها زينب بنت ابي سلمة: أتقولين مثل هذا لعلي؟ في سابقته وفضله؟

فتضاحكت أو فضحكت، وقالت بسم الله، إذا نسيت ذكريني[2].

وبعد ما تقدم نقول:

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ط دار المعارف بمصرج5 ص150 ومقاتل الطالبيين ص42 والكامل في التاريخ ص394 وطبقات ابن سعد ج3 ص40 ط سنة 1405هـ. وتلخيص الشافي ج4 ص157 والجمل ص159 والبحار ج32 ص340 و 341 والصراط المستقيم للبياضي ج3 ص164 عن ابن مسكويه وتاريخ الأمم والملوك للطبري. والهداية الكبرى ص196 و 197 والشافي ج4 ص355.

(2) راجع المصادر المتقدمة في الهامش السابق وأخبار الوفقيات ص131 والاغاني.

لا ندري كيف نوفق بين هذه المواقف، وبين ما نقلته عن رسول الله من أن الخوارج هم شر الخلق والخليقة، وأن من يقتلهم ـ وهو علي «عليه السلام» ـ خير الخلق والخليقة..

ثالثاً: لنفترض: أن عائشة قد انساقت هنا وراء انفعالاتها الشخصية وحالاتها العاطفية..

غير أننا نقول:

ألف: إن ذلك أيضاً لا يمكن أن يبرر ذلك منها.. فان شماتتها بعلي لا تبرر حبها لعبد الرحمن بن ملجم، وعتق العبيد، وتسميتهم باسمه. وهو شر الخلق والخليقة!!.

ب: لقد قتل خارجي آخر عزيزاً على قلبها، وهو صهرها، وقائد جيشها، ومحارب عدوها.. ألا وهو الزبير بن العوام، فكيف أحبت الخوارج، وسمّت العبيد بأسمائهم، وهم يكفرونها، ويقتلون أعز الناس عليها، خصوصاً من كان لقتله المزيد من الإذلال لها، وإسقاط هيبتها، وكسر شوكتها؟!!

ج: إن علياً «عليه السلام» قد حكم بالنار لقاتل ذلك الحبيب، حيث قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار ـ حسبما روي[(1)].

وقد كنا ننتظر منها أن تحزن لقتل خير الخلق والخليقة، حسبما ذكرته هي. وأن تبغض الخارجي الذي قتله، وهو ابن ملجم. وتبغض الخارجي الآخر الذي قتل مع الخوارج في النهروان. وكان من

---

(1) مصادر هذا الحديث كثيرة، فراجع على سبيل المثال: مسند أحمد ج1 ص89 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص236.

أركانهم وهو عمرو بن جرموز[1].

ولأجل ذلك بشره علي «عليه السلام» بالنار، لا لأجل قتله للزبير، وهو منهزم.. وبشارته «عليه السلام» له بذلك تأتي في سياق إخباراته «عليه السلام» عن الغيب.

ولكن الأمور تأتي من قبل أم المؤمنين ليس فقط على خلاف الشرع، وإنما على خلاف الطبيعة والسجية في أحيان كثيرة.

الزبير قتل وهو منهزم:

قلنا: إن الزبير قد قتل وهو منهزم، وإن بشارته «عليه السلام» لابن جرموز بالنار، إنما هو إخبار بالغيب عما سيؤول إليه أمره من المروق من الدين وصيرورته خارجياً، وليس لأجل أن الزبير قد تاب وانصرف عن الحرب، ولو كان لأجل ذلك لكان أقاده به، ولما طلَّ دمه.

وإنما قلنا: إنه قتل وهو منهزم، استناداً إلى نصوص كثيرة، نذكر منها ما يلي:

1 - إنه حينما ذكّر علي «عليه السلام» الزبير بقول رسول «صلى الله عليه وآله» له: «أما إنك ستحاربه، وأنت ظالم له».

رجع الزبير إلى صفوفه، واتهمه ولده عبد الله بالجبن وقال له:

ما أراك إلا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف

---

(1) تلخيص الشافي ج4 ص145 وشرح نهج البلاغة ج1 ص236 وج2 ص168 والفصول المختارة للشيخ المفيد ص108 و 109.

حداد، تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: ويلك، أتهيجني على حربه؟! أما إني قد حلفت ألا أحاربه.

قال: كفّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني.

ثم أنصل سنان رمحه، وحمل على عسكر علي «عليه السلام» برمح لا سنان له.

فقال علي «عليه السلام»: أفرجوا له، فإنه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة. ثم قال لابنه: أجبناً ـ ويلك ـ ترى؟!.

فقال: لقد أعذرت[1].

2 ـ وقد قال همام الثقفي:

أيعتق مكحولاً ويعصي نبيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق

أينوي بهذا الصدق والبر والتقى سيعلم يوماً من يبر

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص234 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وراجع: تلخيص الشافي ج4 ص150 و 141 و 142 و 143 وراجع: الفصول المختارة ص106 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص502 ط دار المعارف بمصر والكامل في التاريخ ج3 ص240 و 261 وتذكرة الخواص ص71 وراجع البحار ج32 ص205.

ويصدق(1)

3 - وقد قال النجاشي الشاعر، في رثائه لعمرو بن محصن الأنصاري:

ونحن تركـنا عند مختلف القنا أخاكم عبيد الله لحماً ملحّبا

بصفين لما ارفض عنه رجالكم ووجه ابن عتاب تركناه ملغبا

وطلحة من بعد الزبير، ولم ندع لضبة في الهيجا عريفاً ومنكبا(2)

4 - وروى البلاذري: أن ابن الزبير لما جبَّن أباه وعيَّره، قال له: حلفت ألا أقاتله.

قال: فكفر عن يمينك.

فاعتق غلاماً له يقال له: سرجس. وقام في الصف بينهم(3).

5 - و قال عبد الرحمن بن سليمان:

لم أر كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفر الأيمان

---

(1) البحار ج32 ص205.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص819 ط سنة 1964م.

(3) تلخيص الشافي ج4 ص143 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص167 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص509 ط دار المعارف بمصر وأنساب الأشراف، (بتحقيق المحمودي) ج2 ص254.

بالعتق فـي مـــعصية الرحـــمن

6 ـ وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكـــحولاً لـصون ديـــنه كفـــارة لله عـــن يـــمينه

والنكـــث قـــد لاح على جبينه[1]

7 ـ وكتب «عليه السلام» إلى أهل الكوفة يخبرهم بالفتح، ويقول: «فقتل طلحة والزبير. وقد تقدمت إليهما بالمعذرة، وأبلغت إليهما بالنصيحة واستشهدت عليهما صلحاء الأمة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين الخ..»[2].

8 ـ وعن سليم في حديث قال: ونشب القتال، فقتل طلحة، وانهزم الزبير[3].

9 ـ وعن الحسن قال: إن عليا «عليه السلام» لما هزم طلحة والزبير أقبل الناس مهزومين فمروا بامرأة حامل الخ..[4].

10 ـ وذكر الحاكم: ان علياً «عليه السلام» نادى في الناس: أن لا ترموا أحداً بسهم ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف، ولا تطلبوا القوم.. إلى أن قال:

ثم الزبير قال لأساورة كانوا معه: ارموهم برشق. وكأنه أراد أن

---

(1) تلخيص الشافي ج4 ص142 وتاريخ الأمم والملوك ط دار المعارف بمصر ج4 ص502 وتذكرة الخواص ص71.

(2) تلخيص الشافي ج4 ص136.

(3) البحار ج32 ص217.

(4) البحار ج32 ص214.

ينشب القتال.

فلما نظر أصحابه إلى الانتشاب لم ينتظروا، وحملوا. فهزمهم الله، ورمى مروان طلحة الخ..[1].

وهذا يدل على: أن الوقعة الفاصلة قد حصلت بفعل الزبير نفسه وحضوره، وأن الهزيمة وقعت عليه وعلى أصحابه.

11 - وذكر الطبري: أنه «لما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير: أنا الزبير، هلموا إليّ أيها الناس، ومعه مولى له ينادي: أعن حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» تنهزمون؟!.

وانصرف الزبير نحو وادي السباع»[2].

12 - وذكروا أيضاً: أن كعب بن سور أقبل إلى عائشة، فقال: أدركي، فقد أبى القوم إلا القتال، فركبت، وألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها، فلما برزت من البيوت وقفت واقتتل الناس، وقاتل الزبير، فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه، ويقول: أتقتلني، يا أبا اليقظان؟.

فيقول: لا، يا أبا عبدالله.

وإنما كف عنه الزبير لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: تقتل عماراً الفئة الباغية. ولولا ذلك لقتله.

وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة.. فقالت: ما هذا؟

قالوا: ضجة العسكر.

---

(1) مستدرك الحاكم ج3 ص371.

(2) تاريخ الامم والملوك ط دار المعارف بمصر ج4 ص512.

قالت: بخير أو بشر.

قالوا: بشر.

فما فجأها إلا الهزيمة.

فمضى الزبير من سننه في وجهه، فسلك وادي السباع، وجاء طلحة سهم غرب الخ[1].

أضاف ابن الأثير قوله عن الزبير: وإنما فارق المعركة، لأنه قاتل تعذيراً لما ذكر علي «عليه السلام» [2].

13 - ونص آخر يقول: «لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، مضى الزبير حتى مر بمعسكر الأحنف الخ..»[3].

14 - وعن محمد بن ابراهيم قال: «هرب الزبير على فرس له، يدعى بذي الخمار، حتى وقع بسفوان، فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي الخ..»[4].

15 - وفي نص آخر: «هرب الزبير إلى المدينة، حتى أتى وادي السباع، فرفع الاحنف صوته الخ..»[5].

16 - وعن أبي مخنف وغيره: مضى الزبير حين هزم الناس

---

(1) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص243 وراجع ص262 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص507.

(2) الكامل ج3 ص243.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص534.

(4) الجمل ص387.

(5) الجمل ص390.

يريد المدينة، حتى مر بالأحنف أو قريباً منه الخ[1].

17 ـ ولعل ما ذكره البلاذري إذا ضممناه إلى ما تقدم يصلح بياناً لحقيقة ما جرى.

فقد روى عن قتادة، قال: لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل، فأفضى علي إلى الناحية التي فيها الزبير، فلما واجهه قال له: يا أبا عبد الله، أتقاتلني بعد بيعتي وبعد ما سمعت في رسول الله في قتالك لي ظالماً؟!.

فاستحيا وانسل على فرسه منصرفاً إلى المدينة، فلما صار بسفوان لقيه رجل من مجاشع يقال له: النَعر بن زمام، فقال له: أجرني.

قال النعر: انت في جواري يا حواري رسول الله.

فقال الأحنف: وا عجباً!! الزبير لفّ بين غارين (أي جيشين) من المسلمين، ثم قد نجا بنفسه الخ [2].

فالمراد بانصراف الزبير هو: انصراف الهزيمة، لا انصراف التوبة كما هو ظاهر هذا النص. إذ لو كان قد انصرف عن القتال على سبيل التوبة، لما احتاج إلى من يجيره.

وقد صرحت سائر النصوص التي ذكرناها آنفاً بهذه الهزيمة.

---

(1) أنساب الاشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص254.

(2) المصدر السابق ج2 ص258.

الفصل الثالث:

من المناظرات.. والإحتجاجات.

بداية:

قد قدمنا في الفصل السابق وفي غيره، نبذاً من الإحتجاجات المختلفة فيما بين علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأصحابه من جهة، وبين الخوارج من جهة أخرى.. ونلفت نظر القارئ إلى ما رواه ابن شداد لعائشة فيما ذكرناه في الفصل السابق، على وجه الخصوص..

ونذكر في هذا الفصل نبذة من هذه الاحتجاجات والمناظرات، ولا نسعى إلى استقصاء نصوصها، فإن الكتاب ليس معداً لذلك.. فنقول:

المناظرات والإحتجاجات:

لقد نفذ علي «عليه السلام» سياسات الإسلام في الخوارج بدقة، حيث ترك الساكتين منهم، فلم يهجهم.

وبالغ في الإحتجاج على الذين أعلنوا بالخصام، وبادروا إلى الإنفصال وإظهار التمرد..

وقد بين لهم بما لا مدفع له خطأهم في تصوراتهم، وبغيهم في مواقفهم، ولم يقتصر الأمر على ما احتج به هو نفسه «عليه السلام»

عليهم في أكثر من موقف ومناسبة، بل احتج عليهم أيضاً أبو أيوب الأنصاري، وابن عباس، وصعصعة بن صوحان، الذي أصبحت خطبه فيهم مضرب مثل، فيقال: «أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج»[1].

لا تخاصمهم بالقرآن:

إن أول ما يلفت نظرنا هنا هو: أنه عليه الصلاة والسلام يوصي ابن عباس، حينما أرسله إلى الخوارج ليحاورهم، ويقيم الحجة عليهم ـ يوصيه ـ بأن: لا يخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، بل عليه أن يخاصمهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً[2].

وفي نص آخر: «أن علي بن أبي طالب أرسل عبد الله بن عباس، إلى أقوام خرجوا، فقال له: إن خاصموك بالقرآن، فخاصمهم بالسنة»[3].

هذا.. ومن المضحك المبكي هنا: أننا نجدهم قد نسبوا هذه الكلمة بالذات إلى أعداء أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

---

(1) البيان والتبيين ج1 ص326 و 327 وذكر المعتزلي في شرح النهج ج3 ص398 نفس القصة مع بعض الاختلاف. فراجع.

(2) نهج البلاغة، بشرح الشيخ محمد عبده، قسم الوصايا والكتب، رقم 77 والنهاية لابن الأثير ج1 ص444 ومصادر نهج البلاغة ج3 ص478 عنه، وربيع الأبرار ج1 ص691، والبحار ط قديم ج8 ص560.

(3) كنز العمال ج1 ص307 عن أصول السنة، لابن أبي زمنين وراجع العقود الفضية ص60 عن الإتقان للسيوطي.

قال الزمخشري: إن «الزبير رضي الله عنه قال لابنه: لا تخاصم الخوارج بالقرآن، خاصمهم بالسنة.

قال ابن الزبير: فخاصمتهم بها، فكأنهم صبيان يحرثون سخبهم»[1].

وكم لهم من غارات مشنونة، وتعديات محمومة ومجنونة على فضائله وكراماته، وعلى مواقفه، وأقواله، وكلماته، صلوات الله وسلامه عليه، فإن الزبير قد قتل قبل ظهور الخوارج بزمان طويل، وإنما بدأ ظهورهم في قصة التحكيم في صفين.

ومهما يكن من أمر.. فإن سرّ أمره عليه الصلاة والسلام ابن عباس بأن لا يخاصمهم بالقرآن، بل بالسنة هو: أنه «عليه السلام» كان يدرك ويعرف أكثر من كل أحد، ما كانوا عليه من السطحية في الفهم، والسذاجة في التفكير، حسبما ستأتي الإشارة إليه..

والقرآن.. هو ذلك الكتاب الذي شاءت الإرادة الإلهية أن يحوي من المعارف، والدقائق والعلوم ما يكفي البشرية جمعاء، ولتجد الأمم فيه ضالتها المنشودة، وآمالها المعقودة على مدى القرون والأزمان.

فكان لا بد للألفاظ القرآنية أن تتحمل كل هاتيكم المعاني، بمختلف وجوه وأنحاء التحمل الممكنة..

وقد أوضحنا هذا الأمر، في بحث لنا حول إعجاز القرآن، في الجزء الثاني من كتابنا: (الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله

---

(1) الفائق ج3 ص360 ونسب قريش لمصعب الزبيري ص103 وبهج الصباغة ج7 ص179 والقصة فيهما مفصلة.

عليه وآله») حين الحديث عن إعجاز القرآن، والمحكم والمتشابه[1].

وقد لاحظ البعض[2]: أنه «عليه السلام» لا يحتج عليهم بالقرآن بصورة عامة، وإنما يهتم بأن يحتج عليهم بأعمال النبي «صلى الله عليه وآله»، فيقول «عليه السلام»:

---

(1) وقد يكون من الطريف أن نذكر هنا قصة لربما تشير إلى ما تحمله التعابير المختلفة من فوارق في المعاني، وإن كان لا يرتبط هذا المثال كثيراً فيما نحن فيه، والقصة هي على ما جاء في بهج الصباغة ج7 ص176 كما يلي:

ورد: أن رجلاً قال لهشام القوطي: كم تعد؟

قال: واحد إلى ألف ألف وأكثر.

قال: لم أرد هذا، كم تعد من السن؟

قال: اثنين وثلاثين، ست عشرة من أعلا وست عشرة من أسفل.

قال: لم أرد هذا، كم لك من السنين؟

قال: والله، ما لي فيها شيء، السنون كلها لله تعالى.

قال: يا هذا ما سنك؟

قال: عظم.

قال: ابن كم أنت؟

قال: ابن اثنين، رجل وامرأة.

قال: كم أتى عليك؟

قال: لو أتى عليّ شيء لقتلني.

قال: فكيف أقول؟!

قال: تقول: كم مضى من عمرك؟!

(2) تاريخ المذاهب الإسلامية ص73.

«وقد علمتم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجم الزاني، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله. وقتل القاتل، وورث ميراثه أهله. وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله»[1].

كما أنه «عليه السلام» قد احتج عليهم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد منّ على أهل مكة، فلم يسب نساءهم ولا ذريتهم، وبأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد محا كلمة: «رسول الله» من صحيفة الحديبية، وبأنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى النصفة لأهل نجران، حيث قال: (**..ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**)[2].

وبأنه «صلى الله عليه وآله» قد حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة..

فاستأمن من الخوارج لذلك ثمانية آلاف[3].

وفي رواية: أن مناديه «عليه السلام» قد نادى: ألا يدخل عليه

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم 123 ومصادر نهج البلاغة ج2 ص285 عن تاريخ الأمم والملوك للطبري حوادث سنة 38 مع بعض التفاوت.

(2) الآية 61 من سورة آل عمران.

(3) راجع: الفتوح لابن أعثم ج4 ص122 - 125 والفرق بين الفرق ص78 - 80 والبداية والنهاية ج7 ص281 وغير ذلك كثير، فراجع كتب التاريخ.

«عليه السلام» إلا رجل قد قرأ القرآن.

وبعد أن امتلأت الدار بقراء القرآن دعا بمصحف عظيم، فوضعه بين يديه، فطفق يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف، حدث الناس.

فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل منه؟ فإنه ورق ومداد..

ثم تذكر الرواية احتجاجه عليهم[1].

وذلك كله يفسر لنا ما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم[2].

---

(1) راجع: تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص304 وكنز العمال ج11 ص279 والبداية والنهاية ج7 ص280 عن مسند احمد.

(2) كنز العمال ج11 ص130 و 280 عن مسلم، وأبي داود عن علي. وعن عبد الرزاق، وخشيش، وأبي عوانة، ومسلم، وابن أبي عاصم، والبيهقي. وفرائد السمطين ج1 ص276 ونظم درر السمطين ص116 وخصائص الإمام علي للنسائي ص144 وفي هامشه عن سنن البيهقي ج8 ص170 وعن مسند أحمد ج1 ص88 و 91 وعن سنن أبي داود، باب قتال الخوارج.

والبداية والنهاية ج7 ص291 وكفاية الطالب ص176 ونزل الابرار ص60 والرياض النضرة ج3 ص224 و 225 وروي أيضاً عن مسلم ج2 ص748.

العناد واللجاج:

لقد تحدثت النصوص التاريخية عن احتجاجات كثيرة جرت بين الخوارج وعلي «عليه السلام» وأصحابه، ولربما ذكروا: أن هذه الإحتجاجات قد استمرت ستة أشهر.. ولا شك في أن هذه الظاهرة كانت من القوة والظهور بحيث لم تغب عن ذاكرة أي مؤلف أورد روايات خروجهم على علي «عليه السلام»، فقد كان البراء بن عازب رسول أمير المؤمنين «عليه السلام» إليهم، وقد بقي يدعوهم ثلاثة أيام..

فلم تزل الرسل تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله. فلما رأى ذلك «عليه السلام» نهض فقاتلهم(1).

ويقول النص التاريخي أيضاً: «فوعظهم بكل قول، وبصّرهم بكل وجه، فلم يرجعوا»(2).

«وكاتبهم وراسلهم فلم يرتدعوا»(3).

«وبعث إليهم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس، فناظرهم، فرجع أكثرهم، وبقي بقيتهم، فقاتلهم علي.. الخ..»(4).

وقال الزهري: «خاصمت الحرورية علياً ستة أشهر.. إلى ان

---

(1) راجع: بهج الصباغة ج7 ص190 عن الطبري، وتاريخ بغداد ج1 ص177 ومروج الذهب ج2 ص404 و 405.

(2) الفخري في الآداب السلطانية ص94.

(3) كشف الغمة ج1 ص265.

(4) البداية والنهاية ج7 ص279.

قال: فطالت خصومتهم، وخصومة علي بالكوفة»[1].

وقد عبر علي «عليه السلام» عن قوة وكثرة احتجاجه عليهم بقوله: «أنا حجيج المارقين»[2].

وعن احتجاجات ابن عباس وقوتها، وإحساسهم هم بذلك، يقول التلمساني: «وخرج إليهم رضي الله عنه بمن معه ورام رجعتهم فأبوا إلا القتال وكان علي أرسل إليهم عبد الله بن عباس، فاجتمع معهم، واحتج عليهم بحجج من كتاب الله عز وجل، ومن فعل النبي «صلى الله عليه وآله»، وأبي بكر، وعمر حتى قطعهم. ولم يجدوا جواباً لما قال.

فقال بعضهم لبعض: دعوه عنكم، ولا تجيبوه، فلن تطيقوا مخاصمة ابن عباس، فإنه من القوم الذين قال الله تعالى فيهم: **(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)**[3]»[4].

وقال الشبلنجي وغيره: إنهم بعد أن احتج «عليه السلام» عليهم، وأفحمهم في حروراء، قال لهم: قوموا، فادخلوا مصركم يرحمكم الله.

قالوا: ندخل، ولكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذي بينك وبين القوم ههنا ليحيا المال، ويسمن الكراع.

---

(1) راجع تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص305 وراجع ص306 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص353.

(2) نهج البلاغة ج1 ص122، الخطبة رقم72.

(3) الآية 58 من سورة الزخرف.

(4) الجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وآله ص108.

فانصرف علي رضي الله عنه، وهم كاذبون فيما زعموا قاتلهم الله تعالى[1].

اعتراف الخوارج:

إنه لا ريب في أن علياً «عليه السلام» قد أفحم الخوارج، وأقام الحجة عليهم، في خطبه وفي مناظراته أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة. ولا ريب في أن الحق كان هو الفيصل، وهو الأساس القوي في رجوع الكثيرين منهم إلى جادة الصواب، وصرفهم عن مواصلة التمرد، أو على الأقل في إيجاد حالة من التردد لديهم تمنعهم من مواصلة نهجهم الظالم، الذي لا يعتمد على أساس صحيح، الأمر الذي نتج عنه تأخير المواجهة في أكثر من موطن، حتى لقد اعترفوا أنفسهم بهذا الأمر، فقالوا:

«..وقد ردنا بكلامه الحلو في غير موطن»[2].

وحلاوة كلامه «عليه السلام» هي فيما يجلّيه لهم من معالم الحق، من موقع الرأفة بهم، وحب الرشد والهداية لهم، والخوف والخشية عليهم، من أن تأخذهم العزة بالإثم، نعوذ بالله، وإليه نلجأ وبه نعتصم من الخذلان، ومن وساوس الشيطان.

تأثير المناظرات والخطب والمناشدات:

---

(1) نور الأبصار ص99 وراجع: الكامل لابن الأثير ج3 ص238 والفصول المهمة لابن الصباغ ص85 و 86.

(2) مناقب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص407.

وقد كان لتلك المناظرات والاحتجاجات والخطب تأثير بالغ في حقن دماء الألوف منهم، حيث أظهرت لهم خطأهم في مواقفهم، فرجعوا إلى الحق، أو عرفوا أن ما يستندون إليه لا يصلح للاستناد.

وقد ذكر الحارثي الإباضي: أنه بعد أن توقف القتال في صفين انفصلت عنه المحكمة، وهم ما بين أربعة آلاف وستة وعشرين ألفاً[1].

وعن الشماخي: قيل أربعة وعشرون ألفاً[2].

وقد ذكر ابن عبد ربه: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» ناظرهم، فرجع ستة آلاف، ثم ناظرهم ابن عباس فرجع منهم ألفان. وذلك قبل خروجهم إلى النهروان. وقبل تأمير الراسبي عليهم. وبقي أربعة آلاف..

وكان منهم ألفان في الكوفة يسرّون أمرهم[3].

وقد صرحت بعض المصادر برجوع ثمانية آلاف منهم من دون تفصيل[4].

وذكرت مصادر أخرى رجوع ألفين منهم بسبب مناظرات ابن

---

(1) العقود الفضية ص38.

(2) العقود الفضية ص46.

(3) راجع: العقد الفريد ج2 ص388 و 389.

(4) راجع: كشف الغمة ج1 ص266 والفتوح لابن أعثم ج4 ص125 والفصول المهمة لابن الصباغ ص193 وغير ذلك.

عباس لهم[1].

لكن بعض المصادر أطلقت القول: بأن الراجعين من الخوارج كانوا أربعة آلاف[2].

وادَّعى بعضهم: أنه قد بقي من الأربعة آلاف ألف وثمان مئة، وقتل منهم ألف وخمس مئة[3].

وعند ابن كثير: أنه لم يبق منهم إلا ألف أو أقل[4].

وصرح عبد الرزاق: بأن الراجعين منهم كانوا عشرين ألفاً[5].

وفصل ابن كثير فادعى: أن الخوارج كانوا ستة عشر ألفاً، أو اثني عشر ألفاً.. فناظرهم علي «عليه السلام» حتى رجعوا معه إلى الكوفة. وذلك يوم عيد الفطر، أو الأضحى ـ شك الراوي ـ ثم جعلوا يعرّضون له في الكلام، ويسمعونه شتما..

ثم خرجوا إلى النهروان، فكان هناك ما هو معلوم[1].

---

(1) الجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص108 وشذرات الذهب ج1 ص50 وبهج الصباغة ج7 ص166 عن كامل المبرد وتذكرة الخواص ص99 وتلبيس إبليس ص93 وانساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج2 ص361 و 355 والمناقب للخوارزمي ص185.

(2) راجع: مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص413 وتهذيب تاريخ دمشق ج7 ص304 والبداية والنهاية ج7 ص281 و 282 والمصنف لعبد الرزاق ج10 ص148.

(3) بهج الصباغة ج7 ص168.

(4) البداية والنهاية ج7 ص289.

(5) المصنف ج10 ص160.

وبذلك يتضح: عدم صحة ما ذكره المعتزلي، من أن الخوارج لم يرجعوا؛ لأن علياً «عليه السلام» حاججهم بالقرآن حيث قال: «ولذلك لم يرجعوا، والتحمت الحرب، وإنما رجع باحتجاجه نفر منهم»[2].

فإن احتجاجه بالقرآن لا يمكن أن يكون هو السبب في عدم رجوعهم.. وقد عرفنا رجوع الألوف منهم حتى لم يبق سوى أربعة آلاف من أصل ستة وعشرين ألفاً، أو ما يقرب من ذلك، فهل هؤلاء «نفر منهم» على حد تعبيره؟.

خوف الخوارج من المناشدات والإحتجاجات:

وقد أصبح الخوارج يخشون تأثير، احتجاجات ومناشدات علي «عليه السلام» لهم، ويحذرون بعضهم بعضاً من التأثر بها. إذ إن ذلك أوجب ردهم عن الحرب أكثر من مرة.

وقد جاء: أن الراسبي الخارجي قال لأصحابه: «ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فترجعوا، فوحشوا برماحهم..»[3].

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص282.

(2) شرح نهج البلاغة ج18 ص72.

(3) المصنف للصنعاني ج10 ص148 وفي هامشه عن البيهقي ج8 ص170 وعن مسلم والبداية والنهاية ج7 ص291 والرياض النضرة ج3 ص225 وكفاية الطالب ص177 ونزل الأبرار ص60 عن مسلم ج2 ص748 و 749 ونظم درر السمطين ص117 لكنه قال: إن ذلك هو قول علي «عليه السلام» وكنز العمال ج11 ص280 و 281 (عن مسلم ج1 ص343

وعن زيد بن وهب، قال: خطبنا علي «عليه السلام» بقنطرة الديرخان، فقال: أن قد ذكر لي بخارجة تخرج من قبل المشرق، وفيهم ذو الثدية، فقاتلهم.

فقالت الحرورية بعضها لبعض: فردّكم كما يردكم يوم حروراء، فشجر بعضهم بعضاً بالرماح[1].

شذرات من المناظرات والإحتجاجات:

وقد ذكرت الروايات التاريخية نصوصاً متنوعة لما جرى بين علي «عليه السلام» وأصحابه من جهة، وبين الخوارج من الجهة الأخرى، ونحن نورد هنا بعضاً من تلك الاحتجاجات، فنقول:

ورد في النصوص: أن علياً «عليه السلام» قد أمر قنبراً، فقال لهم: ما نقمتم على أمير المؤمنين؟! ألم يعدل في قسمتكم، ويقسط في حكمكم، ويرحم مسترحمكم، لم يتخذ مالكم دولاً؟.

ولم يأخذ منكم إلا السهمين اللذين جعلهما الله: سهماً في الخاصة، وسهماً في العامة[2].

ويقول نص آخر:

وعن عبد الرزاق وخشيش، وأبي عوانة، وابن أبي عاصم، والبيهقي) وفرائد السمطين ج1 ص276.

(1) خصائص علي بن أبي طالب «عليه السلام» للنسائي ص143 وراجع: تاريخ بغداد ج7 ص237 وج1 ص159.

(2) مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص407.

ثم إنهم خرجوا بحروراء، أولئك العصابة من الخوارج بضعة عشر ألفاً، فأرسل إليهم علي ينشدهم الله، فأتوا (فأبوا) عليه. فأتاهم صعصعة بن صوحان وقال:

علام تقاتلون خليفتكم؟!

قالوا: مخافة الفتنة.

قال: فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل.

فرجعوا، وقالوا: نسير على ما جئنا، فإن قبل علي القضية قاتلنا على ما قاتلنا يوم صفين. وإن نقضها قاتلنا معه حتى بلغوا النهروان.

فافترقت منهم فرقة، فجعلوا يهدون الناس ليلاً، قال أصحابهم: ويلكم، ما على هذا فارقنا علياً.

فبلغ علياً أمرهم، فخطب الناس، فقال: ما ترون؟ نسير إلى أهل الشام؟ أم نرجع؟! [1].

هل قصّر ابن عباس في الاحتجاج؟:

وعلى كل حال.. فإن الخوارج يروون أنهم قد أفحموا ابن عباس، وأنه قد رجع إليهم. وقبل بمقالتهم.. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.. وسنبين أنه كلام مزيف وغير مقبول..

وبغض النظر عن ذلك، فإننا نجد أنهم يذكرون: أن علياً «عليه السلام» قد نهى ابن عباس عن مناظرتهم في غيبته فتسرع، ودخل معهم في حوار ظهر فيه أنه غير قادر على رد الحجة بأقوى منها..

(1) مجمع الزاوئد ج6 ص238.

فتولى علي «عليه السلام» ذلك..

ولا نريد أن نقول: إن ذلك مكذوب على ابن عباس من الأساس..

بل نحتمل احتمالاً معقولاً: أن يكون رحمه الله، قد فوجئ ببعض مقولاتهم، واضطرب في إجاباته عنها. ثم تدارك مواقع ضعفه، بما عرفه وسمعه من أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي أسقط كل ما تعلقوا به من طحلب الأوهام، وأزاح كل ما أثاروه من غبار شبهات واهية.

بل ذكرت بعض النصوص: أنه «عليه السلام» كان في بعض مواقف الاحتجاج عليهم، على مقربة من ابن عباس يلقنه ما يقوله لهم، ويلقي إليه ما يحتج به عليهم.

ونذكر فيما يلي للقارئ الكريم بعض ما يوضح ما قلناه، فنقول:

إن بعض النصوص تذكر: أن علياً «عليه السلام» نهى ابن عباس عن مجادلتهم، حتى يأتيه. لكن ابن عباس لم يصبر عن جوابهم، فدخل معهم في نقاش لم يكن موفقاً فيه.

فجاء علي «عليه السلام» وهو يخاصمهم ويخاصمونه، فقال له علي «عليه السلام»: ألم أنهك عن كلامهم؟!.

فكلم علي «عليه السلام» ابن الكواء زعيمهم الخ(1).

وحسب نص آخر: أن ابن عباس خاطب الخوارج بحضور علي «عليه السلام»، فلما فرغوا من احتجاجهم قال: يا أمير المؤمنين قد

---

(1) راجع: نور الأبصار ص98 و 99 والفصول المهمة لابن الصباغ ص84 و 85 والكامل في التاريخ ص327 و 328.

سمعت ما قال القوم، وأنت أولى بالجواب مني.

فقال علي «عليه السلام»: «لا ترتابن، قد ظفرت بهم، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة»[1].

هل هذه الإحتجاجات موضوعة؟!

قال ابن الإسكافي، وغيره:

لما رجع علي «عليه السلام» إلى الكوفة، لم يدخل معه أصحاب البرانس، واعتزلوه، وأتوا حروراء، ونزل بها منهم اثنا عشر ألفاً.

وبعث علي «عليه السلام» بعبد الله بن عباس إلى الخوارج، وقال له: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك.

فلما لقيهم جعلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى سألهم، فقال لهم: كيف نقمتم على الحكمين، وقد قال الله تعالى: **(فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا)**[2].

فزعموا: أن الخوارج قالت: كلما جعل الله حكمه إلى الناس، وأمرهم بالنظر فيه، فهو إليهم. وما نفذ حكم الله فيه فليس لهم رده، وعليهم إمضاؤه، وكذلك عليهم الإمضاء على محاربة أهل البغي.

فقال ابن عباس: وأنتم الذين وادعتم وشككتم دوننا.

---

(1) مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 وراجع الفتوح لابن أعثم ج4 ص122 ولم يذكر جوابه «عليه السلام» لابن عباس وراجع الإحتجاج ج1 ص99 - 100.

(2) الآية 35 من سورة النساء.

وذكروا: أن ابن عباس قال لهم: فإن الله تعالى يقول: **(يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)**[1].

فقالت الخوارج: فعدل عندك عمرو وأبو موسى؟! هذه الآية بيننا، فإن كان عمرو عدلاً فنحن غير عدول.

فقال لهم: ابن عباس: فقد قال الله: فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أرأيتم، إن كانت المرأة يهودية، أليس قد دارت حكومة أهلها، وهم غير عدول[2].

الحجة الدامغة هي حجة علي عليه السلام:

وقال ابن الإسكافي وغيره: إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» خرج إلى الخوارج، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله، فتوضأ فيه، وصلى ركعتين. ثم خرج حتى انتهى إليهم، وهم يخاصمون ابن عباس، فقال علي لابن عباس: انته عن كلامهم. ألم أنهك، رحمك الله؟!.

ثم تكلم علي، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

إن هذا مقام من فتح الله فيه، كان أولى بالفتح يوم القيامة. ومن نطق فيه وأوعب، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.

ثم قال لهم: من زعيمكم؟

قالوا: ابن الكواء.

---

(1) الآية 95 من سورة المائدة.

(2) راجع: المعيار والموازنة ص194 - 196.

قال علي: فما أخرجكم من حكمنا؟!

قالوا: حكومتكم يوم صفين.

قال: نشدتكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن، فإني قد صحبتهم، وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شر أطفال، وشر رجال. امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة، ووهنا، ومكيدة.

فرددتم علي رأيي، وقلتم: لا بل نقبل منهم.

فقلت لكم: اذكروا قولي، ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن، فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء.

فهل قام إليَّ رجل، فقال: يا علي، إن هذا الأمر أمر الله، فلا تعطه القوم؟

قالوا: لا.

قالوا: فأخبرنا، أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟

قال: إنا لسنا الرجال حكّمنا، وإنما حكّمنا القرآن، وهو خط مسطور بين لوحين، لا ينطق حتى يتكلم به الرجال. وأنتم حكمتم أبا موسى، وجئتموني، وأتيتموني به مبرنساً. وقلتم: لا نرضى إلا به. ومعاوية حكم عمروا!..

[ثم قال]: وأخبرني عنك يا ابن الكواء، متى سمي أبو موسى

حكماً؟! أحين أرسل؟ أم حين حكم؟

قال: حين حكم.

قال: فقد سار وهو مسلم، وأنت ترجو ان يحكم بما أنزل الله.

قال: نعم.

قال: فلا أرى الضلال في إرساله، إذ كان عدلاً.

قالوا: فخبرنا عن الأجل لم جعلته بيننا وبينهم؟

قال: ليتعلم الجاهل، ويثبّت العالم. ولعل الله أن يصلح في تلك المدة بين الأمة.

ثم قال علي: أرأيتم، لو أن رسول الله «عليه السلام» أرسل رجلاً مؤمنا يدعو قوماً مشركين إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافرا، كان يضر النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: فما ذنبي، إن ضل أبو موسى، ولم أرض بحكومته إذ حكم، ولا بقوله إذ قال.

قالوا: أفرأيت كتابك باسمك واسم أبيك، وتركك اسمك الذي سماك الله به بإمرة المؤمنين؟!.

قال علي: على يدي دار مثل هذا الحديث.

كتب النبي «عليه السلام»: هذا كتاب من محمد رسول الله.

وقال أبو سفيان، وسهيل بن عمرو: لا نقر ولا نعرف أنك رسول الله، لقد ظلمناك إذاً إن شهدنا أنك رسول الله، ثم قاتلناك، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» اكتب من محمد بن عبد الله، فإن ذلك لا يضر نبوتي شيئاً.

فكتبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لآبائهم، وكتبتها أنا لابنائهم.

قالوا: صدقت. ولكن بقيت خصلة: إنا قد علمنا أنك لم ترض بحكمهم حتى شككت، وكتبت في كتابك: إن جرني كتاب الله إليك تبعتك، وإن جرك إلي تبعتني. تعطي هذا القول وقد أحصا (لعل الصواب: خاضت) خيلنا في دمائهم؟! وما فعلت هذا حتى شككت.

فقال علي: **نبئني أنت ومن معك أولى بأن لا تشكّوا في دينكم أم المهاجرون والأنصار؟**

أم أنا أولى بالشك، أم معاوية؟

قال ابن الكواء: النبي «عليه السلام» أولى باليقين منك.. وأهل الشام خير من مشركي قريش. والمهاجرون والأنصار خير منا.

قال: أفرأيت الله حين يقول لرسوله: (**قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**(1).

أشك النبي «عليه السلام» فيما هو عليه حين يقول هذا؟ أم أعطاهم إنصافاً؟!

فقال ابن الكواء: خصمتنا ورب الكعبة، وأنت أعلم منا بما صنعت.

فقال علي «عليه السلام»: «ادخلوا مصركم رحمكم الله».

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

فلم يبرح علي «عليه السلام» حتى تفرقوا، ودخلوا معه، وقلبوا أترستهم[1].

نص آخر:

وقد روى ابن المغازلي عن عبيدة بن بشر الخثعمي عن أبيه قال:

خرج عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» يريد الخوارج إذ أقبل رجل يركض حتى انتهى إلى أمير المؤمنين عليّ «عليه السلام» فقال: يا أمير المؤمنين البشرى!

قال: هات ما بشراك؟

قال: قد عبر القوم النهروان لما بلغهم عنك،؟ وقد منحك الله أكتافهم.

فقال: الله، لأنت رأيتهم قد عبروا؟

فقال: والله، لأنا رأيتهم حين عبروا.

فحلّفه ثلاث مرات في كل ذلك يحلف له.

فقال له أمير المؤمنين: كذبت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عبروا النهروان، ولن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوران، حتى يقتلهم الله على يديّ، لا ينجو منهم تمام عشرة، ولا يقتل منا عشرة: عهداً معهوداً، وقدراً مقدوراً، وقضاء مقضياً، وقد خاب من افترى.

ثم أقبل أيضاً آخر، حتى جاءه ثلاثة، كلهم يقولون مقالة الأول،

---

(1) راجع: المعيار والموازنة ص198 - 201.

ويقول لهم مثل ذلك.

ثم ركب، فأجال في ظهر بغلته، ونهض الشاب، وأجال في ظهر فرسه، وهو يقول في نفسه: والله لأنطلقن مع علي، فإن كان القوم قد عبروا لأكونن من أشد الناس على علي «عليه السلام»، فلما انتهى إلى النهروان أصابوا القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا دوابهم، وجثوا على ركبهم، وحكموا بحكم رجل واحد، واستقبلوا علياً بصدور الرماح، فقال علي «عليه السلام»: حكم الله أنتظر فيكم.

فنزل إليه الشاب فقال: يا أمير المؤمنين إني قد شككت في قتال القوم، فاغفر ذلك لي.

فقال علي: بل يغفر الله الذنوب، فاستغفره.

ثم نادى علي «عليه السلام» قنبر، فقال: يا قنبر، ناد القوم ما نقمتم على أمير المؤمنين؟ ألم يعدل في قسمتكم، ويقسط في حكمكم، ويرحم مسترحمكم؟ لم يتخذ مالكم دولاً، ولم يأخذ منكم إلا السهمين اللذين جعلهما الله: سهماً في الخاصة، وسهماً في العامة؟

فقالت الخوارج: يا قنبر، إن مولاك رجل جدل، ورجل خصم، وقد قال الله تعالى: **(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)**(1)، وهو منهم، وقد ردّنا بكلامه الحلو في غير موطن، وجعلوا يقولون: والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال علي «عليه السلام»: «يا ابن عباس انهض إلى القوم فادعهم بمثل الذي دعاهم به قنبر، فاني أرجو أن يجيبوك».

---

(1) الآية 58 من سورة الزخرف.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين ألقي عليّ حلتي، وألبس عليّ سلاحي؟ فإني أخاف على نفسي.

قال: بلى، فانهض إليهم في حلتك، فمن أيّ يوميك من الموت تفرّ؟ يوم لم يقدر أو يوم قد قدر؟

قال: فنهض ابن عباس إليهم، وناداهم بمثل الذي أمره به.

فقالت طائفة: والله لا نجيبه حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

وقال أصحاب الحجج في أنفسهم منهم: والله لنجيبنه، ولنخصمنّه، ولنكفرنّه وصاحبه لا ينكر ذلك.

فقالوا: ننقم عليه خصالاً كلها موبقة، وإما مكفرة، أما أولهن فإنه محا اسمه من أمير المؤمنين، حيث كتب إلى معاوية، فإن لم يكن أمير المؤمنين فانه أمير الكافرين، لأنه ليس بينهما منزلة، ونحن مؤمنون، وليس نرضى أن يكون علينا أميراً.

ونقمنا عليه أن قسم علينا يوم البصرة ما حوى العسكر، وقد سفك الدماء، ومنعنا النساء والذراري، فلعمري إن كان حلّ هذا فما حرم هذا؟

ونقمنا عليه يوم صفين أنه أحب الحياة وركن إلى الدنيا جبنا؛ منعنا أن نقاتل معه وأن ننصره، حيث رفعت لنا المصاحف؛ فهلا ثبت وحرّض على قتال القوم، وضرب بسيفه حتى يرجع إلى أمر الله، ونقاتلهم، والله يقول: (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ**

لِلّهِ)[1].

وننقم عليه أنه حكم الحكمين فحكما بجور لزمه وزره.

ونقمنا عليه أنه ولى الحكم غيره، وهو عندنا من أحكم الناس.

ونقمنا عليه أنه شك في نفسه حين أمر الحكمين أن ينظرا في كتاب الله: فإن كان معاوية أولى بالأمر ولوه. فإن شك في نفسه فنحن أعظم فيه شكاً.

ونقمنا عليه أنه كان وصياً فضيّع الوصية.

ونقمنا عليك يا بن عباس حيث جئت ترفل إلينا في حلة حسنة تدعونا إليه.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين قد سمعت ما قال القوم، وأنت أولى بالجواب مني! فقال علي «عليه السلام»: لاترتابن ظفرت بهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة نادهم:

ألستم ترضون بما أنبؤكم به من كتاب الله، لا تجهلون به، وسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا تنكرونه؟

قالوا: اللهم بلى.

قال: أبدأ بما بدأتم به، عليّ مدار الأمر، أنا كاتب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث كتب بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى سهيل بن عمرو، وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين عهداً إلى مدة.

فكتب المشركون: إنا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، فاكتب

---

(1) الآية 193 من سورة البقرة.

إلينا باسمك اللهم، فإنه الذي نعرف، واكتب إلينا ابن عبد الله.

فأمرني، فمحوت: رسول الله، وكتبت: ابن عبد الله.

وكتبت إلى معاوية: من عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومن قبلهما من الناكثين عهداً إلى مدة.

فكتبوا: إنا لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما قاتلناك، فاكتب إلينا من علي بن أبي طالب نجبك.

فمحوت: أمير المؤمنين وكتبت: ابن أبي طالب، كما محا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكما كتب، فإن كنتم تلغون بسم الله الرحمن الرحيم أن محاها، وتلغون رسول الله أن محاها، ولا تثبتونه. فالغوني ولا تثبتوني، وإن أثبتموه، فإن الله تعالى قال: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**[1]، وقال: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)**[2]، فاستننت برسول الله «صلى الله عليه وآله».

قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم إني قسمت بينكم ما حوى العسكر يوم البصرة، فأحللت الدماء ومنعتكم النساء والذرية، فإني مننت على أهل البصرة لما افتتحتها وهم يدعون الإسلام، كما منّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهل مكة وهم مشركون لما افتتحها، وكانوا أولادهم، ولدوا على الفطرة قبل الفرقة بدينهم، وإن عدوا علينا أخذناهم

(1) الآية 7 من سورة الحشر.

(2) الآية 21 من سورة الأحزاب.

بذنوبهم، فلم ناخذ صغيراً بذنب كبير، وقد قال الله تعالى في كتابه: **(وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[1]. وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لو أن رجلاً غل عقالاً من الحرب لأتى الله يوم القيامة وهو مغلول به، حتى يؤديه.

وكانت أم المؤمنين أثقل من عقال، فلو غللتها، وقسمت سوى ذلك، فإنه غلول.

ولو قسمتها لكم، وهي أمكم لاستحل منها ما حرم الله فأيكم كان يأخذ أم المؤمنين في سهمه وهي أمه؟

قالوا: لا أحد، وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني حكمّت الحكمين، فقد عرفتم كراهتي لهما إلا أن تكذبوا وقولي لكم: ولُّوها رجلاً من قريش.

فإن قريش لا تخدع، فأبيتم إلا أن وليتموها من وليتم.

فإن قلتم: سكت حيث فعلنا ولم تنكر.. فإنما جعل الله الإقرار على النساء في بيوتهن. ولم يجعله على الرجال في بيوتهم.

فإن كذبتم وقلتم: أنت حكمت ورضيت، فإن الله قد حكم في دينه الرجال وهو أحكم الحاكمين، فقال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ..)**[2].

وقال: **(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ**

---

(1) الآية 161 من سورة آل عمران.

(2) الآية 95 من سورة المائدة.

أَهْلِهَا)[1]، فإنما على الانسان الاجتهاد في استصلاح الحكمين، فإن عدلا كان العدل فيما أرياه أولى، وإن لم يعدلا فيه وجارا، كان الوزر عليهما، **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**[2].

قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني حكمت، وأنا أولى الناس بالحكم، فقد حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» سعد بن معاذ يوم اليهود، فحكم بقتل مقاتليهم و سبي ذراريهم، وجعل أموالهم للمهاجرين دون الأنصار.

فقالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني قلت للحكمين: انظروا في كتاب الله، فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتوه، وإن كنت أولى بها فأثبتوني.

فلو أن الحكمين اتقيا الله ونظرا في القرآن، عرفا أني كنت من السابقين بإسلامي قبل معاوية، و معاوية مشرك، وعرفت أنهم إذا نظروا في كتاب الله وجدوني يجب لي على معاوية الإستغفار لأني سبقته بالإيمان، ولا يجب لمعاوية عليّ الإستغفار، ووجدوني يجب لي على معاوية خمس ما غنمتم، لأن الله تبارك وتعالى أمر بذلك إذ يقول: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ)**[3]. الآية.

فإذا حكما بما أنزل الله أثبتوني ولو قلت: احكموا وأثبتوني، أبى معاوية. لكني أظهرت لهم النصفة حتى رضي، كما أن رسول الله

---

(1) الآية 35 من سورة النساء.

(2) الآية 164 من سورة الأنعام.

(3) الآية 41 من سورة الأنفال.

«صلى الله عليه وآله» لو قال: أجعل لعنة الله عليكم، أبوا أن يباهلوا، ولكن جعل لعنة الله على الكاذبين، فهم الكاذبون، واللعنة عليهم، ولكن أظهر لهم النّصفة، فقبلوا.

قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إن كان معاوية أهدى مني فأثبتوه. فإنني قد عرفت أنهم لا يجدونه أهدى مني، وقد قال تعالى لنبيه: **(قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**(1)، فقد عرفتم أنهم لا يأتون بكتاب من عند الله هو أهدى من القرآن، فكذلك عرفت أنهم لا يجدون معاوية أهدى مني.

وأما قولكم: إن الحكمين كانا رجلي سوء فلم حكمتهما؟ فإنهما لو حكما بالعدل لدخلا فيما نحن فيه، وخرجا من سوئهما، كما أن أهل الكتاب لو حكموا بما أمر الله حيث يقول: **(وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ)**(2)**.** خرجوا من كفرهم إلى ديننا.

قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إني كنت وصياً فضيعت الوصية، فإن الله تعالى قال في كتابه: **(وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)**(3). ولو ترك الحج من استطاع إليه سبيلاً كفر، ولم يكن البيت ليكفر، ولو تركه الناس لا يأتونه، ولكن كان يكفر من كان يستطيع

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

(2) الآية 47 من سورة المائدة.

(3) الآية 97 من سورة آل عمران.

إليه السبيل فلا يأتيه، وكذلك أنا: إن أكن وصياً فإنكم كفرتم بي، لا أنا كفرت بكم بما تركتموني.

قالوا: صدقت هذه بحجّتنا هذه.

قال: وأما قولكم: إن ابن عباس جاء يرفل في حلة حسنة يدعوكم إلى ما يدعوكم إليه، فقد رأيت أحسن منها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم حرب.

فرجع إليه من الخوارج أكثر من أربعة آلاف، وثبت على قباله أربعة آلاف. وأقبلوا يحكّمون.

فقال علي «عليه السلام»: حكم الله أنتظر فيكم. يا هؤلاء، أيُّكم قتل عبدالله بن خبّاب بن الأرت وزوجته وابنته؟ يظهر لي أقتله بهم، وأنصرف، عهداً إلى مدة، حكم الله أنتظر فيكم.

فنادوا: كلنا قتل ابن خبّاب وزوجته وابنته، وأشرك في دمائهم.

فناداهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: أظهروا لي كتائب وشافهوني بذلك، فإني أكره أن يقر به بعضكم في الضوضاء ولا يقر بعض، ولا أعرف ذلك في الضوضاء ولا أستحل قتل من لم يقر بقتل من أقر. لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم.

ففعلوا، وجعلوا كلما جاء كتيبة سألهم عن ذلك، فإذا أقروا عزلهم ذات اليمين، حتى أتى على آخرهم.

ثم قال «عليه السلام»: ارجعوا إلى مراكزكم. فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات: رجعتم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم؟

فنادوا كلهم: نعم!

فالتفت إلى الناس، فقال «عليه السلام»: الله أكبر! الله أكبر! والله لو أقرّ بقتلهم أهل الدنيا وأقدر على قتلهم لقتلتهم، شدُّوا عليهم، فأنا أوّل من شدّ عليهم. وعزل بسيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات، كل ذلك يسوِّيه على ركبتيه من اعوجاجه ثم شدَ الناس معه، فقتلوهم، فلم ينج منهم تمام عشرة.

فقال «عليه السلام»: آتوني بذي الثُدية، فإنه في القوم، فقلب الناس القتلى فلم يقدروا عليه، فأتي. فأُخبر بذلك، فقال «عليه السلام»: الله أكبر، والله ما كذبت، ولا كذبت، وإنه لفي القوم.

ثم قال: ائتوني بالبغلة فانّها هادية مهدية، فركبها ثم انطلق حتى وقف على قليب، ثم قال: قلّبوا.

فقلّبوا سبعة من القتلى، فوجدوه ثامنهم، فقال: الله أكبر! هذا ذو الثُدية الذي خبَّرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه يقتل مع شر خيلٍ.

ثم قال «عليه السلام»: **تفرقوا**. فلم يقاتل معه الذين كانوا اعتزلوا، كانوا وقوفا في عسكره على حدة[1].

---

(1) مناقب الإمام علي ««عليه السلام»» لابن المغازلي ص406 - 414 وقد قال المعلق على الكتاب ما يلي:

احتجاج علي «عليه السلام» مع الخوارج وهكذا احتجاج ابن عباس لهم مشهورة رواها النسائي في الخصائص ص48 إلى 50 والمحب الطبري في الرياض النضرة ج2 ص240 مقتصرا على ثلاث حجج منها.

وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج6 ص236 من طريق أبي يعلى قال:

جولة جديدة من الاحتجاجات:

قال الزهراوي: «خاصمت الحرورية علياً ستة أشهر, فقالوا! شككت في أمر الله الذي ولاك, وحكمت عدوك , ووهنت في الجهاد.

إلى أن قال: فطالت خصومتهم وخصومة علي بالكوفة , ثم أصبحوا يوماً وقد زالوا براياتهم , وهم خمسة آلاف عليهم ابن الكواء , فقطع بقتالهم. وأرسل علي إليهم عبد الله بن عباس، وصعصعة بن صوحان , من عبد القيس , فناشدوهم ودعوهم إلى الجماعة, فأبوا عليهم.

فلما رأى علي ذلك أرسل إليهم: إنا ندعوكم إلى مدة نتدارس فيها كتاب الله، لعلنا نصطلح فمادّوه بضعة عشر ليلة.

فقال علي «عليه السلام»: ابعثوا منكم اثني عشر نقيباً ونبعث منا مثلهم، ثم ابرزوا بنا إلى مكان ـ سمّاه ـ يجتمع الناس فيه، ويقوم فيه خطباؤنا بحججنا.

ورجاله ثقات وفي ص237 من طريق أبي يعلى أيضا وقال: رجاله رجال الصحيح وفي ص238 و 239 من طريق أبي يعلى والبزار وقال: رجال أبي يعلى ثقات ومن طريق الطبراني وأحمد وقال: رجالهم رجال الصحيح. وهكذا ذكره أبو العباس المبرد في كتابه الكامل ص942 ـ 945 وخرّجه عنه الشارح المعتزلي في شرح النهج ج1 ص204 وأخرجه من أعلام الإمامية أبو منصور الطبرسي في الإحتجاج ص99 ـ 100 وألفاظه أشبه بما رواه المؤلف في الصلب وأخرجه أبو جعفر السروي في مناقب آل أبي طالب ج3 ص188 ـ 189 بغير هذا اللفظ.

ففعلوا، ورجعوا إلى الناس.

فقام علي فتشهد، وقال:

أما بعد, فإني لم أكن أحرصكم على هذه القضية, وعلى التحكيم, ولكنكم وهنتم في القتال, وتفرقتم علي, وحاكمتموني بالقرآن, فخشيت إن أبيت الذي عرض علي القوم من كتاب الله أن يتأولوا كتاب الله علي (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**)(1).

وخشيت أن يتأولوا علي قول الله: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ**)(2).

وخشيت أن يتأولوا علي قول الله في الرجل وامرأته: (**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**)(3).

فيقولوا لي: إن أبيت أن أحكم فيها قد دعاك القوم إلى كتاب الله ليحكم بينهم، قد فرض الله في الكتاب حكمين في أصغر من هذا الأمر، الذي فيه سفك الدماء، وقطع الأرحام، وانتهاك المحارم، فتخاصموني من كتاب الله، بما ترون أن لكم الحجة علي، فأجبت حين

---

(1) الآيتان 23 و 24 من سورة آل عمران.

(2) الآية 95 من سورة المائدة.

(3) الآية 35 من سورة النساء.

دعيت إلى الحكم بكتاب الله، وخشيت وهنكم وتفرقكم.

ثم قامت خطباء علي فنحوا في النحو الذي احتج به علي، حتى إذا فرغوا قام خطباء الحرورية فقالوا: إنكم دعوتمونا إلى كتاب الله فأجبناكم، ودعوتمونا إلى العمل به حتى قتلت عليه القتلى يوم الجمل ويوم صفين، وقطعت فيه الأرحام، ثم شككت في أمرك وحكمت عدوك، فنحن على أمرك الذي تركت، وأنت اليوم على غيره إلا أن تتوب وتشهد على نفسك بالضلالة فيما سلف.

فلما فرغوا من قولهم قال علي: «أما أن أشهد على نفسي بالضلالة فمعاذ الله أن أكون ارتبت منذ أسلمت، أو ضللت منذ اهتديت، بل بنا هداكم الله وبنا استنقذكم الله من الضلالة، ولكن حكمت منا حكماً ومنهم حكماً، وأخذت عليهما أن يحكما بكتاب الله وسنة نبيه والسنة الجامعة غير المفرقة، فإذا فعلا كنت ولي هذا الأمر، وإن خالفا لم يكن لهما علي حكم».

فكثر قول علي وقولهم، واختصامهم، ثم تفرقوا فنبذ بعضهم إلى بعض، فأرسل علي إليهم عبد الله بن عباس وصعصعة، فقال لهم صعصعة: اسمعوا مني أعظكم بكلمات، فإن الخصومة قد طالت منذ هذه الأشهر، يا قوم أذكركم الله والإسلام أن تكونوا شيناً لأهل القرآن، فإنكم والله قد فتحتم أمراً لو دخلت فيه هذه الأمة بأسرها ما بلغت غوره أبداً.

قالوا: يا صعصعة إنا نخشى إن أطعناك اليوم أن نبين عاماً قابلاً.

قال: يا قوم إني أذكركم الله والإسلام أن تعجلوا فتنة العام خشية

فتنة عام قابل.

قال ابن الكواء ـ وهو رئيسهم الذي دعاهم إلى البدعة التي ركبوها ـ: يا قوم ألستم تعلمون أني دعوتكم إلى هذا الأمر وأنا رأسكم اليوم فيه؟!

قالوا: بلى.

قال: فأنا أول من أطاع. فإن هذا واعظ شفيق على الدين.

فقام معه قريب من خمسمائة، ودخلوا في جماعة أمر علي. وبقي قريب خمسة آلاف، فقاتلهم وقاتلوه، حتى أوصلهم إلى آبارهم.

ثم اعتزل منهم أهل النخيلة، وهم قريب من ألف رجل. فأقرهم، على أن يأخذوا أعطيتهم، لا يزيدون عليها من كل ما مر بهم، ولا يثيرون أحداً، ولا يقطعون سبيلاً.

وقال علي: ذروهم ما تركوكم.

فلم يزالوا على ذلك حتى قتل علي رضي الله عنه»[1]

ابن الكواء، وعلي عليه السلام:

لما جاء علي «عليه السلام» إلى أهل حروراء، قال لهم: يا هؤلاء، من زعيمكم؟

قالوا: ابن الكواء.

قال: فليبرز إلي.

---

(1) تهذيب تاريخ دمشق ج7 ص305 - 307 وراجع أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص353 و 354.

فخرج إليه ابن الكواء، فقال له علي: يا ابن الكوّاء، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين، ومقامكم بالكوفة؟!

قال: قاتلت بنا عدواً لا نشك في جهاده، فزعمت: أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، فبينما نحن كذلك، إذ أرسلت منافقاً وحكمت كافراً. وكان مما (من) شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم: «كتاب الله بيني وبينكم، فإن قضى علي بايعتكم، وإن قضى عليكم بايعتموني»، فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك.

فقال علي: يا ابن الكواء إنما الجواب بعد الفراغ، أفرغت فأجيبك؟

قال: نعم.

قال علي: أما قتالك معي عدواً لا نشك في جهاده فصدقت، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم.

وأما قتلانا وقتلاهم، فقد قال الله في ذلك ما يستغني به عن قولي. وأما إرسالي المنافق، وتحكيمي الكافر، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً، ومعاوية حكم عمرواً، أتيت بأبي موسى مبرنساً، فقلت: لانرضى إلا أبا موسى، فهلا قام إليّ رجل منكم، فقال: يا علي، لا نعطي هذه الدنية فإنها ضلالة؟

وأما قولي لمعاوية: إن جرني إليك كتاب الله تبعتك، وإن جرك إلي تبعتني، زعمت أني لم أعط ذلك إلا من شك، فقد علمت: أن أوثق ما في يدك هذا الأمر، فحدثني ـ ويحك ـ عن اليهودي والنصراني، ومشركي العرب، أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام؟.

قال: بل معاوية وأهل الشام أقرب.

قال علي: أفرسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا؟!.

قال: بل رسول الله.

قال: أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول: **(قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[1]. **أما كان رسول الله يعلم: أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى مما في يديه؟.**

قال: بلى.

قال: فلم أعطى رسول الله القوم ما أعطاهم؟

قال: إنصافاً وحجة.

قال: فإني أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله.

قال ابن الكواء: فاني أخطأت، هذه واحدة، زدني.

قال علي: فما أعظم ما نقمتم عليّ.

قال: تحكيم الحكمين، نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكاً وتبذيراً.

قال علي: فمتى سمي أبو موسى حكماً، حين أرسل؟ أو حين حكم؟

قال: حين أرسل.

قال: أليس قد سار وهو مسلم وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟

قال: نعم.

---

(1) الآية 49 من سورة القصص.

قال علي: فلا أرى الضلال في إرساله.

فقال ابن الكواء: سمي حكماً حين حكم.

قال: نعم إذاً، فإرساله كان عدلاً، أرأيت يابن الكواء لو أن رسول الله بعث مؤمناً إلى قوم مشركين، يدعوهم إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافراً، كان يضرّ نبي الله شيئاً؟

قال: لا.

قال علي**:** فما ذنبي أن كان أبو موسى ضل؟ هل رضيت حكومته حين حكم، أو قوله إذ قال**؟!**.

قال ابن الكواء: لا ولكنك جعلت مسلماً وكافراً يحكمان في كتاب الله.

قال علي: ويلك يا ابن الكواء، هل بعث عمرواً غير معاوية؟ وكيف أحكمه، وحكمه على ضرب عنقي؟ إنما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله. أرأيت لو أن رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية، فخافا شقاق بينهما، ففزع الناس إلى الله، وفي كتابه: **(فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)**[1]، فجاء رجل من اليهود، أو رجل من النصارى، ورجل من المسلمين، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله، فحكما**»**.

قال ابن الكواء: وهذه أيضاً، أمهلنا حتى ننظر.

فانصرف عنهم علي.

---

(1) الآية 35 من سورة النساء.

قال صعصعة بن صوحان: يا أمير المؤمنين، إئذن لي في كلام القوم.

قال: نعم، ما لم تبسط يداً.

قال: فنادى صعصعة ابن الكواء.

فخرج إليه، فقال: أنشدكم الله يا معشر الخارجين. ألا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره، وألا تخرجوا بأرض تسمُّوا بها بعد اليوم، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل.

فقال له ابن الكواء: إن صاحبك لقينا بأمر قولك فيه صغير، فامسك[1].

قال ابن حيان: «كان مع علي جمعية يسيرة، إنما جاء على ان يردهم بالكلام، وقد كانت الخوارج قريباً من خمسة آلاف»، فقتلهم علي «عليه السلام» [2].

وقبل أن نختم هذا الفصل نورد نصاً لمحاورة يقال: إنها جرت بين نافع بن الأزرق الخارجي والإمام الباقر «عليه السلام»..

والحقيقة هي أنها إنما جرت بين نافع مولى ابن عمر، لا ابن الأزرق كما سيتضح، والمحاورة هي التالية..

هل حاور الإمام الباقر عليه السلام نافع بن الأزرق؟!

قال الشيخ المفيد: «جاءت الأخبار: أن نافع بن الأزرق جاء إلى

---

(1) العقد الفريد ج4 ص351 - 353.

(2) راجع: الثقات ج2 ص296.

محمد بن علي «عليهما السلام»، فجلس بين يديه، يسأله عن مسائل في الحلال والحرام.

فقال له أبو جعفر «عليه السلام» في عرض كلامه: قل لهذه المارقة، بما استحللتم فراق أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته، والقربة إلى الله بنصرته؟! فسيقولون لك: إنه حكم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه «صلى الله عليه وآله» رجلين من خلقه، فقال: **(فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا)**[1]، وحكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» سعد بن معاذ في بني قريظة: فحكم فيهم بما أمضاه الله.

أوما علمتم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن، ولا يتعدياه، واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال.

وقال حين قالوا له: حكمت على نفسك من حكم عليك، فقال: ما حكمت مخلوقاً، وإنما حكمت كتاب الله.

فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشتراط رد ما خالفه، لولا ارتكابهم في تدعيهم البهتان؟

فقال نافع بن الأزرق: هذا والله كلام ما قرّ بسمعي قط، ولا خطر مني ببال، وهو الحق إن شاء الله»[1].

---

(1) الآية 35 من سورة النساء.

(1) الإرشاد للمفيد ص265، والاحتجاج ج2 ص57 و 58.

وذكر في تفسير القمي مناظرة بين نافع بن الأزرق ـ ووصفه بأنه مولى عمر بن الخطاب ـ مع أبي جعفر الباقر «عليه السلام»، في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك. وفي هذه الرواية: أن نافعاً كان بصحبة هشام هذا، وقد تواطأ معه على أن يسأل الإمام عن مسائل بهدف أن يخجله ـ فكانت النتيجة هي إقرار نافع بأنهم «عليه السلام» أوصياء رسول الله وخلفاؤه(1).

وروي: أن نافع بن الأزرق سأل أبا جعفر «عليه السلام»، «قال: أخبرني عن الله عز وجل متى كان؟

قال: متى لم يكن حتى أخبرك الخ..»(2).

وهذه الفقرة موجودة في الرواية السابقة، كما في الكافي والاحتجاج.

وفي ذيل الرواية التي في الكافي ما يدل على أن نافعاً مولى ابن عمر كان من الخوارج، فقد جاء فيها: أن الإمام الباقر «عليه السلام» قال له: «ما تقول في أصحاب النهروان، فإن قلت: إن أمير المؤمنين

---

(1) تفسير القمي ج2 ص284، تفسير سورة الزخرف، والبحار ج10 ص161 و 162 والرواية في الاحتجاج ج2 ص95 وليس فيها كلمة ابن الأزرق. وكذا في الكافي ج8 ص120 وقال في مرآة العقول ج26 ص513 - 515: هو نافع بن سرجس، مولى عبد الله بن عمر، كان ذمياً.. وكان ناصبياً، خبيثاً، معانداً لأهل البيت «عليهم السلام». يظهر من أخبارنا أنه كان يميل إلى رأي الخوارج، كما يدل عليه هذا الخبر.

(2) الاحتجاج ج2 ص54.

قتلهم بحق فقد ارتددت ـ أي ارتددت عن مذهب الخوارج الذي تقول به ـ وإن قلت: إنه قتلهم باطلاً فقد كفرت.

قال: فولى من عنده، وهو يقول: أنت أعلم الناس حقاً حقاً الخ»[1].

ونقول:

أولاً: إن مولى ابن عمر بن الخطاب هو نافع بن سرجس، لا نافع بن الأزرق..

ثانياً: إن ابن الأزرق قد قتل في واقعة الدولاب في سنة 65 هجرية[2]، أي في وقت (كان عمر الإمام الباقر عليه الصلاة والسلام، لا يزيد على سبع سنوات. وهو في كنف أبيه الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه.. فلا يعقل أن تكون تلك الحادثة قد جرت له معه عليه الصلاة والسلام.

وأما نافع بن سرجس مولى عبد الله بن عمر، فقد توفي في سنة 117 هجرية[3].

وقد كان ناصبياً خبيثاً يميل إلى رأي الخوارج[4].

ومعنى ذلك هو: أن الروايات المتقدمة إنما تتحدث عن هذا الثاني دون الأول، لكن الرواة قد خلطوا بينهما..

---

(1) الكافي ج8 ص122.

(2) الكامل في التاريخ ج4 ص195.

(3) البحار ج10 ص161 و 162.

(4) الكافي ج8 هامش ص120.

ولعل شهرة ابن الأزرق بمذهب الخوارج جعلت أذهان الرواة، تنصرف إليه، فيقحمون كلمة ابن الأزرق بصورة عفوية.. أو استنادا إلى هذا الارتكاز العفوي إن صح التعبير.

ثالثاً: إن كلمة ابن الأزرق وكلمة مولى عمر بن الخطاب قد وردتا في رواية واحدة، وصفاً لنافع واحد. كما تقدم في رواية القمي.. وهذا يؤيد ما ذكرناه بصورة ظاهرة وقوية أيضاً.

رابعاً: إن ما ذكرته الرواية من قول ابن الأزرق أخيراً: «هذا والله كلام ما قر بسمعي قط، ولا خطر مني ببال». يثير الدهشة، فإن هذا الكلام قد سمعه الخوارج في أول ظهورهم وبداية بغيهم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد اعترفوا به، ورجع منهم الكثيرون عن غيهم بسببه. ولا يعقل أن يخفى ذلك على مثل ابن الأزرق الزعيم فيهم، والذي تقوم نحلته على هذا الأساس بالذات وهذا شاهد آخر على أن المقصود ليس هو نافع بن الأزرق، بل مولى ابن عمر كما قلنا.

الفصل الرابع:

تزوير الخوارج للحقائق.

الخوارج يفتئتون على علي عليه السلام:

إن موقف علي «عليه السلام» من الخوارج كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار. وهو منسجم مع التصديق بما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنهم بمروقهم من الدين، وبأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم..

وعلى هذا الأساس فلا مجال للتصديق بما رواه الخوارج أنفسهم عن علي «عليه السلام» في ضد ذلك.

ورواه آخرون ممن تابعوهم في ذلك أيضاً، ربما عن غفلة منهم عن التصرف الذي مورس في النصوص الثابتة، فضلاً عن غفلتهم عن حقيقة السر الكامن وراء هذا النوع من التغييرات.. فرووا ـ والنص لابن كثير ـ: «أن علياً سئل عن الخوارج أمشركون هم؟!

فقال: من الشرك فرّوا.

فقالوا: أفمنافقون؟!.

فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

قيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟!.

قال: إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم علينا»[1].

فهم إذن إخوان باغون، وليسوا مرّاقاً من الدين كما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم فارّون من الشرك وليسوا بمنافقين.. وهل ذكرهم لله كثيراً وتظاهرهم بالعبادة وقراءة القرآن يبعدهم عن دائرة النفاق والكفر؟! فإننا قد نجد في المنافقين من يعبد الله ليلاً ونهاراً، ليخدع بذلك من يسعى لإسقاط أطروحته، والقضاء على نهجه.. خصوصاً إذا علمنا أنهم: يقرؤن القرآن ولا يجاوز تراقيهم..

وفي نص آخر: أن علياً «عليه السلام» أرسل ابن عباس إلى أهل حروراء، فنظر في أمرهم وكلمهم، ثم رجع فقال له «عليه السلام»: «ما رأيت؟

فقال ابن عباس: والله، ما أدري ما هم.

فقال علي «عليه السلام»: رأيتهم منافقين.

قال: والله، ما سيماهم بسيما المنافقين، إن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون القرآن.

فقال «عليه السلام»: دعوهم ما لم يسفكوا دماً، أو يغصبوا مالاً. وأرسل إليهم ما هذا الذي أحدثتم الخ..»[2].

وعن الحسن، قال: لما قتل علي رضي الله عنه الحرورية، قالوا:

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص290 عن ابن جرير، وغيره والعقود الفضية للحارثي الإباضي ص63 والأشعثيات ص234 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص73 والإباضية ص83.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج2 ص310 عن ابن ديزيل في صفينه.

«من هؤلاء يا أمير المؤمنين؟ أكفار هم؟

قال: من الكفر فرّوا.

قيل: فمنافقون؟!.

قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً.

قيل: فما هم؟.

قال: قوم أصابتهم فتنة، فعموا فيها، وصمُّوا»[1].

ولعل هذا الذي روي عن الحسن إنما هو حكاية لما قاله علي «عليه السلام» حين سئل عن أصحاب الجمل. كما ورد[2]، فراجع..

الرواية الصحيحة:

والنص الصحيح، الموافق لما اخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولسائر ما صدر عن علي «عليه السلام» في حق الخوارج. هو النص الذي أورده ابن أعثم، فهو يقول: «..فلم يزل يخرج رجل بعد رجل، من أشد فرسان علي، حتى قتل منهم جماعة، وهم ثمانية.

وأقبل التاسع، واسمه حبيب بن عاصم الأزدي، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء الذين نقاتلهم أكفار هم؟!

---

(1) المصنف للصنعاني ج10 ص150 وكنز العمال ج11 ص286 و 276 عنه.

(2) العقد الفريد ج4 ص330.

فقال علي: من الكفر هربوا، وفيه وقعوا..

قال: أفمنافقون؟!

قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

قال: فما هم يا أمير المؤمنين، حتى اقاتلهم على بصيرة ويقين؟!

فقال علي: هم قوم مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية، يقرأون القرآن، فلا يجاوز تراقيهم، فطوبى لمن قتلهم.

قال: فعندها تقدم حبيب بن عاصم هذا نحو الشراة ـ وهو التاسع من أصحاب علي ـ فقاتل حتى قتل.

واشتبك الحرب بين الفريقين. فاقتتلوا قتالاً شديداً. ولم يقتل من أصحاب علي إلا أولئك التسعة»[1].

وبعد ما تقدم نقول:

لقد حان الآن موعد إعطاء أمثلة يسيرة تبين لنا بعض أخبارهم، من خلال مزاعمهم هم، فنقول:

رواية الخوارج لقصة ذي الثدية:

إن إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمر ذي الثدية، وتركيز أمير المؤمنين «عليه السلام» على هذا الأمر، واهتمامه بإظهاره، وتأكيداته المتكررة على وجوده بين القتلى يوم النهر، ثم ظهور صدقه وصحة قوله لهم عليه الصلاة والسلام كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار ـ قد أحرج الخوارج، وجعلهم

---

(1) الفتوح لابن أعثم: ج4 ص127 - 128.

يضيقون ذرعاً، لأنه تضمن إدانة صريحة لكل حركتهم. وأظهر مناقضتها للدين، وللحق الصريح، وللنص الصحيح.

فانبروا لمواجهة هذا الواقع بمحاولة تزويرية للحقيقة وللتاريخ، لم تقنع أحداً من الناس إلا إن كان من الخوارج أنفسهم، وهم معاشر اخفاء الهام سفهاء الأحلام. فرووا للناس قصة ذي الثدية بطريقة تضمنت الاعتراف بأن علياً قد كشف أمر ذي الثدية، ولكنها حاولت اعتبار ذلك مجرد تمثيلية وخدعة منه «عليه السلام» للناس!!.

وإليك روايتهم المشوهة لهذه القصة، فهم يقولون:

«..في السير أيضاً، من كتاب النهروان، عن جابر بن زيد: أن علياً أظهر الندامة للناس.

قيل له: قتلت قوماً، وأظهرت الندامة عليهم، وطفقت تمدحهم، وتزين أمرهم؟!، لتخلعن، أو لتقتلن.

فلما أصبح قال: ابتغوا في القتلى رجلاً، فوجدوا نافعاً مولى ترملة، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان صالحاً مجتهداً، قطع الفحل يده.

فقال: هذا هو.

فقال له الحسن: هذا نافع مولى ترملة.

قال له: أسكت، الحرب خدعة.

وهذا الرجل هو الذي التبس به على القوم أمر دينهم، وظنوا أنه علامة للباطل..»[1].

---

(1) العقود الفضية ص69.

واللافت للنظر هنا: أننا لم نجد في ما بأيدينا من كتب تراجم الصحابة من اسمه ترملة، أو من اسمه نافع مولى ترملة.

ندامة علي عليه السلام في روايات الخوارج:

ويحرص الخوارج، والمؤلفون منهم على تسجيل ندامة علي «عليه السلام» على قتلهم، وأنه حين قتلهم بكى عليهم بكاء مراً، ووصفهم بالأوصاف الحميدة.

فرووا عن قنبر مولى علي، قال: «تحولت أنا وعلي إلى النهر بعد القتال، فانكب طويلاً يبكي.

فقال: ما يبكيك؟!.

قال: ويحك، صرعنا ههنا خيار هذه الأمة وقراءها.

فقلت: إي والله، فابك.

فبكى طويلاً، ثم قال: جدعت أنفي، وشفيت نفسي.

فاظهر الندامة على قتله إياهم»[1].

وتلقى الحسن بن علي «عليه السلام» أباه حين دخل الكوفة. فقال: «يا أبتي، أقتلت القوم؟!.

قال: نعم.

قال: لا يرى قاتلهم الجنة.

قال: ليت أني أدخلها، ولو حبواً»[1].

---

(1) العقود الفضية ص68.

(1) العقود الفضية ص67.

ويروي الخوارج أيضاً: أنه لما فقد علي «عليه السلام» تلك الأصوات بالليل، كأنها دوي النحل قال: أين أسود النهار، ورهبان الليل؟!.

قالوا له: قتلناهم يوم النهر[1].

وقال الحارثي الإباضي أيضاً: «..قال في كتاب بيان الشرع ـ وهو من الكتب العمانية القديمة، المعتبرة، المعتمدة:

قيل: لما قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان أمر بعيابهم، فجمعت، فإذا مصاحف وترايس. فذكروا أنه أصيب في عسكرهم أربعة آلاف مصحف إلا مصحف.

فبكى علي حتى كادت نفسه تخرج.

ويقال: إنه دخل على ابنته أم كلثوم، فهنأته بالظفر بهم.

فقال علي: أصبح أبوك من أهل النار، إن لم يرحمه الله..»[2].

الخوارج يروون تأييد عائشة لهم:

ولم يكتف الخوارج بتصوير علي «عليه السلام» بصورة النادم على قتلهم، والباكي المتلهف من أجلهم، بل هم يروون: أن عائشة أم المؤمنين أيضاً قد أيدت أنهم قد ظلموا، وقتلوا بغير حق، فهم يروون أن عبد الله بن شداد قدم المدينة، فأرسلت إليه عائشة، فقالت: يا عبد الله، لما قتل علي أصحابه..

---

(1) العقود الفضية ص67.

(2) العقود الفضية ص80.

فحدثها بالقصة كلها..

فقالت: ظلمهم.

قالت: هل تسمي أحداً ممن قتل؟!.

قال: نعم. حرقوص بن زهير السعدي.

فاسترجعت.. ثم ذكرت: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد شهد لحرقوص بالجنة ثلاث مرات. ثم قالت: ومن؟!.

«قلت: زيد بن حصن الطائي.

فبكت، وقالت: والله، لو اجتمعت الأمة على الرمح الذي طعن به زيد لكان حقاً على الله أن يكبهم جميعاً في النار»[1].

موقف ابن عباس برواية الخوارج:

وإذا كان الخوارج قد رووا عن عائشة ما تقدم، وقد يجدون من يصدقهم في ذلك، بسبب ما عرف عن عائشة من عداوة وضدية مع علي «عليه السلام»، ومخالفة له، حتى لقد شنت عليه حرباً في يوم الجمل، قد حصدت أكثر من عشرين ألفا من المسلمين.

وإذا كانوا قد ادعوا أن علياً «عليه السلام» قد ندم على قتلهم، وبكى عليهم.

فإن ذلك لم يكن ليقنع الناس، فإن مناظرات ابن عباس لهم التي كان له الفلج فيها عليهم، والتي شاع أمرها وذاع في البلاد والعباد، كانت مرة المذاق، بالغة الحدة والأثر عليهم. فكان أن حاولوا الالتفاف

---

(1) العقود الفضية ص68.

عليها أيضاً، من ناحيتين:

فقرروا أولاً: أن الفلج لم يكن لابن عباس عليهم. بل كان الفلج لهم على ابن عباس..

ثم زادوا على ذلك: أن ابن عباس قد أيدهم، ووقف إلى جانبهم، بسبب ذلك. وامتنع من مشاركة علي «عليه السلام» في قتالهم.

ثم رووا ما يشير إلى أنه قد استمر على رأيه الايجابي فيهم في مستقبل أيامه أيضاً.

ولم يقيموا وزنا إلى كل ذلك التأييد والتسديد، والجدال الذي كان يقوم به ابن عباس في مناصرته لعلي «عليه السلام»، وتأييده طوال حياته إلى أن وافاه أجله رحمه الله.

ونذكر من رواياتهم في هذا المجال ما يلي:

1 - قال الحارثي الإباضي، بعد أن ذكر صورة لمناظرة لابن عباس مع الخوارج تظهر أن الفلج كان لهم عليه[1].

«..وانصرف عنهم، وهو مقر لهم، ومعترف لهم: أنهم قد خصموه، ونقضوا عليه ما جاء به، مما احتج به عليهم.

فرجع ابن عباس إلى علي، فلما رآه قام إليه وناجاه، وكره أن يسمع أصحابه قولهم، وحجتهم التي احتجوا بها.

فقال علي: ألا تعينني على قتالهم؟.

فقال ابن عباس: لا والله، لا أقاتل قوماً قد خصموني في الدنيا، وإنهم يوم القيامة لي أخصم، وعليّ أقوى، إن لم أكن معهم لم أكن

---

(1) العقود الفضية ص51 - 59.

عليهم.

واعتزل عنه ابن عباس رضي الله عنه. ثم فارقه.

وكتب إليه علي «عليه السلام» يؤنبه بمال أخذه من البصرة من بيت المال، فقال له: قد عرفت وجه أخذي المال أنه كان بقية دون حقي، من ما أعطيت كل ذي حق حقه. قد علمت أخذي للمال من قبل قولي في أهل النهروان. ولو كان أخذي للمال باطلاً كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن»[1].

و «في السير، من كتاب النهروان: حدثني مسعود بن الحكم الهمذاني: أن ابن عباس قال للحسن:

إنكم لأحق بيت في العرب أن تتيهوا كما تاهت بنو إسرائيل، قمتم بكتاب الله، وسنة نبيه «عليه السلام»، فجاهدتم بها. ثم جعلتم حكماً على كتاب ربكم. ثم قتلتم خيار المسلمين وفقهاءهم، وقد أفنوا المخ واللحم، وأجهدوا الجلد والعظم من العبادة، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله»[2].

وعن ابن عباس، قال: أصاب أهل النهر السبيل. أصاب أبو بلال السبيل[1].

ونلاحظ هنا على ما تقدم:

---

(1) العقود الفضية ص95 وحول أخذه المال (من قِبَلِ قوله في أهل النهروان) راجع: العقود الفضية ص40.

(2) العقود الفضية ص67.

(1) العقود الفضية ص68.

1 ـ أن عكرمة الخارجي مولى ابن عباس ـ قد حاول هو الآخر أن ينسب إلى ابن عباس: أنه يرى رأي الخوارج[1].

لكن أحداً لم يلتفت إلى قول عكرمة هذا، ولا إلى ما يدعيه الخوارج على ابن عباس. وسيأتي في الفصل التالي: أن عكرمة كان خارجياً، وكان كذاباً، ويتهم في أمر الصلاة الخ.

2 ـ إن النص المذكور آنفاً يحاول أن يدعي: أن الخوارج هم فقهاء المسلمين، تماماً على عكس ما عرف عنهم، ولهج به أعلام الأمة، ومؤرخوها كما أوضحناه في بعض فصول هذا الكتاب.

3 ـ أما بالنسبة لقضية استيلاء ابن عباس على أموال البصرة، ومفارقته علياً «عليه السلام»، فقد أثبتنا عدم صحة هذه القضية في كتاب مستقل طبع بعنوان: ابن عباس وأموال البصرة، فراجع.

من تزوير التاريخ أيضاً:

وما تقدم يوضح لنا حجم التزوير الذي يحاول الخوارج المتأخرون ممارسته، وهم حيث يحاولون الاستفادة من عنصر التقديس لصحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي دخل في التكوين الفكري والإيماني للناس في وقت لاحق، حينما احتاج الحكام إلى تلميع صورة أناس من الصحابة يهمهم أمرهم.

---

(1) سير أعلام النبلاء ج5 ص22 وميزان الاعتدال ج3 ص96 وقاموس الرجال ج6 ص327 عن ذيل تاريخ الأمم والملوك للطبري. ومختصر تاريخ دمشق ج17 ص144 وفتح الباري (المقدمة) ص425.

فأراد بقايا الخوارج تبرئة أنفسهم، حين نسبوا، الخارجين على أمير المؤمنين إلى الصحابية، بل زعموا ـ زوراً وبهتاناً ـ: أنهم من أهل بدر، وبيعة الرضوان. واستدلوا بذلك على صلاحهم.

بل لقد نسبوا بعض الخلّص من أصحاب علي «عليه السلام» ـ زوراً ـ إلى أنهم من الخوارج، كابن عباس، وأبي الهيثم بن التيهان، وصعصعة بن صوحان وغيرهم.

وزعموا: «أن الراسبي صحابي، ذكره ابن حجر وغيره. وكذا حرقوص بن زهير، وشجرة بن أوفى السلامي، وأبو الهيثم بن التيهان، وفروة بن نوفل الأشجعي، وسارية بن لجام السعدي، ويزيد بن قيس الأزدي، وجعفر بن مالك السعدي، وبشر بن جبلة العامري، وشريك بن الحكم الأزدي، ومرداس أبو بلال، وإخوة حيان، والمستورد بن علاثة، والأشعث بن بشر العبدي، وميسرة بن خالد الفهري، وابو الصهباء، وحمزة بن سنان، وزيد بن حصن الطائي. وعباد بن الحرشاء الطائي، والحويرث بن ودع الأسدي، وعمر بن الحارث الأنصاري، ويزيد بن عاصم، وأربعة أخوة له ممن بايع تحت الشجرة، وشجرة بن الحارث السلامي، وعبد الله بن شجرة، بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة، وأربعة اخوة له، وثلاثة بني أخوة له، و..»[1].

ويستمر في ذكر أسماء من زعم أنهم كانوا من الصحابة، وكانوا من الخوارج.

---

(1) العقود الفضية ص47 و 48 وراجع ص46 و 63 و 64.

ثم إن الحارثي الإباضي يقول إزاء ما ورد في حق المارقة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فيجب احترام الصحابة، وقول الحق فيهم.

وتحمل الأحاديث الواردة في الخوارج، على الصفرية والأزارقة، الذين يستحلون دماء أهل القبلة، وسبي ذراريهم، ونسائهم»[1].

وقد أشار الحارثي إلى أن المراد بالخوارج، هم خصوص الأزارقة والصفرية في غير هذا الموضع من كتابه أيضاً، فراجعه.

ونقول:

إننا نسجل هنا ما يلي:

1 - إن الذين ذكر أسماءهم على أنهم من الصحابة لا تجد للكثير منهم حتى الأسماء ذكراً في كتب الصحابة، ولو على سبيل الاحتمال، ومعنى هذا أن ثمة خداعاً واضحاً وتزويراً ظاهراً، لا مجال لتبريره.

2 - إن الالتجاء إلى ما شاع لدى بعض الفرق من تقديس لكل من رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يجدي في تصويب ما عليه الخوارج، ولا يعطيهم شرعية لمواقفهم. لاسيما وأن الخوارج أنفسهم يحكمون على مشاهير الصحابة بالكفر، والخروج من الدين[1].

وتكفيرهم للصهرين، وكل من شايعهما وتابعهما لا يستطيع أحد أن ينكره، أو أن يشكك فيه.

---

(1) العقود الفضية ص63.

(1) راجع العقود الفضية ص70 و 167.

3 - إن وجود هؤلاء الأشخاص ـ حتى لو كانوا من الصحابة ـ لا يستطيع أن يلغي قول النبي «صلى الله عليه وآله» في الخوارج. ولا يمكن أن يبرئهم من جريمة مروقهم من الدين التي أثبتها عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وإحالة الأمر على الأزارقة، والصفرية لا يلغيه عمن عداهم، لاسيما وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصفهم لعلي «عليه السلام» بالمارقين. وأخبره أنه «عليه السلام» سوف يقاتلهم.. وأخبره «صلى الله عليه وآله» أيضا عن وجود ذي الثدية فيهم، إلى غير ذلك مما هو معروف ومشهور، وفي مختلف المصادر والمراجع مسطور.

4 - إن عدّ أبي الهيثم بن التيهان في جملة الخوارج، هو كعد صعصعة بن صوحان في جملتهم أيضاً، لا يمكن أن يصح، بل لا يستحق الالتفات، إليه فضلا عن الاستدلال على بطلانه..

5 - إن عد ابن ملجم في جملة الصحابة هو الآخر جريمة كبيرة، وخزي عظيم، يدل على الجهل الذريع بحقيقة هذا الرجل. أو على التعصب البغيض الذي يجرّ صاحبه للكذب والاختلاق، والتزوير المفضوح..

الباب الرابع:

علي عليه السلام.. والخوارج.

الفصل الأول:

علي عليه السلام.. وشعارات الخوارج

شعارات الخوارج:

إن شعارات الخوارج كانت دينية في ظاهرها، ورنانة ومثيرة، وقادرة على أن تجتذب إليها أولئك الناس الذين ينطلقون في مواقفهم من خلال مشاعرهم وأحاسيسهم. ولا يملكون من المعايير الفكرية ما يمكنهم من تقييم الأمور بطريقة صحيحة وموضوعية.

بل كانت تلك المشاعر والأحاسيس تختلس منهم فرصة التفكير الهادئ والرصين، لتكون ترجمتها هيجاناً عارماً، وفتكاً فظيعاً، وبطشاً بشعاً ومريعاً.

ويزيد هذه الشعارات تأثيراً في عنف حركة الخوارج هو كونها تنطلق في تلك المناخات الموبوءة والمريضة، وفي ظل مظاهر الانحراف الأموي عن جادة الحق والدين.

بالإضافة إلى أن تلك الشعارات كانت تتناغم مع مشاعر الشباب الذين يميلون إلى التمرد، وحب الاستقلال، والرغبة بالاضطلاع بأعمال كبيرة، تجذب أنظار الآخرين. وغير ذلك من حالات تختزنها شخصية الشباب الناشئ، والحدث الذي لم يجرب الأمور، بل يندفع إليها برعونة وطيش، وبلا حساب.

ولعل هذه الشعارات وتلك العواطف الجياشة في مثل هاتيكم المناخات كانت هي السبب في بقاء الخوارج في أصلاب الرجال ـ كما أخبر به علي «عليه السلام» ـ فكانت تظهر بصورة وبأخرى فورات تتميز بالعنف والطيش والرعونة، ثم تخمد تحت وطأة الضغوط والظروف الموضوعية، التي تنشأ من حالات الفعل وردات الفعل، مما لم يكونوا يحسبون له حسابات صحيحة أو كافية لاستيعاب تداعيات الحدث الذي يثيرونه في الواقع العام.

وهكذا.. فقد كانت تلك الشعارات تسقط أمام ضغط الواقع، وتتلاشى في زحمة نزوات الأهواء، وعثرات الميول ـ وينتهي الأمر بحاملي تلك الشعارات إلى أن يصبحوا ـ حسبما تنبأ به علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ في نهاية الأمر لصوصا سلابين.

سمات.. وحالات:

وإذا أردنا أن نستعرض سمات وحالات الخوارج في النصوص التاريخية، فسنجد ـ كما قد تقدم في تمهيد الكتاب: أن من هذه الصفات والحالات التي عرفوا بها:

أن ألسنتهم ذليقة بالقرآن..

وأن لهم سمت وخشوع.

وأنهم يحسنون القيل.

ويسيئون الفعل.

وأنهم يسألون كتاب الله، وهم أعداؤه.

ويدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء.

وأن جباههم سود من كثرة العبادة..

وأن شعارهم هو: لا حكم إلا لله.

وأن ازرهم تكون إلى نصف الساق. وان سيماهم التحليق. أو التسبيل.

إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرتهم وأحوالهم.

بين الواقع والشعار:

وإذا راجعنا الأحاديث الواردة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وصف الخوارج، وبيان علاماتهم وصفاتهم، فإنها تفيدنا: أن على الإنسان المؤمن والواعي أن لا ينخدع بالمظاهر، وان لا يعتبرها الميزان والمعيار في الحق والباطل، وفي الصلاح والفساد، وأن عليه أن لا ينساق وراء الشعارات الثورية والبراقة. ما لم يتأكد من محتوى الشعار وخلفياته.

أي أن عليه أن يرصد حركة الواقع بدقة ووعي ليتعرف على دوافع إطلاق الشعار، وعلى العوامل التي أفرزت تلك المظاهر.

وقد كان أصحاب الطموحات، وطلاب اللبانات وما زالوا يحاولون الاستفادة من شعارات مغرية، وأساليب ذات طابع إنساني، أو ديني في سبيل الوصول إلى مآرب، وتحقيق أهداف لا تنسجم ولا تتلاءم معها، إن لم تكن أقرب إلى الانحراف والخيانة واللصوصية منها إلى الإنسانية والشرف والدين.

أمير المؤمنين عليه السلام وشعارات الخوارج:

وقد كان أمر الخوارج واضحاً بيناً لكل من مارس الأمور، وأحكمته التجارب، وجرى وفق المعايير الصحيحة في فهم الأمور وتقييمها.

ومن هنا، فإننا نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بذل محاولات مضنية وكبيرة في سبيل تعريف الخوارج على مواقع خطئهم في فهم الأمور. وقد ناظرهم، وأقام عليهم الحجة، فرجع منهم إلى الحق من رجع، وهم كثيرون، وبقيت ثلة كبيرة منهم، لم يرتدعوا عن غيهم، رغم أنه «عليه السلام» قد أوضح لهم أنه: لم يحكم الرجال في دين الله، وإنما حكم القرآن، لأن حكم الكتاب واحد[1].

وقد أدان هذا النوع من العمل، وهذه الطريقة من الممارسة وأوضح حقيقة ما يرمون إليه حين أعلن أن شعارهم الذي يقول: لا حكم إلا لله كان مجرد خدعة، رسمت معالمها عن سابق علم وتصميم، وأطلق كلمته التي ذهبت مثلاً: «كلمة حق يراد بها باطل»[2].

---

(1) راجع: المعيار والموازنة ص172 و 177 و 199 وكنز العمال ج11 ص291 عن ابن أبي حاتم في السنة. والبيهقي في الأسماء والصفات والأصبهاني واللالكائي.

(2) راجع: مسند أحمد ج5 ص44 و 36 والمعيار والموازنة ص170 وكنز العمال ج11 ص180 و 294 ورمز للمصادر التالية: (حم. ق. ط وابن جرير) ومجمع الزوائد ج6 ص230 عن أحمد، والبزار والطبراني، وتاريخ بغداد ج1 ص160 وج10 ص305 وفرائد السمطين ج1 ص277

فقد روي، عن أبي إسحاق، قال:

لما حكمت الحرورية قال علي «عليه السلام»: ما يقولون؟.

قيل: لا حكم إلا لله.

قال: الحكم لله، وفي الأرض حكام، ولكنهم يقولون: لا إمارة، ولابد للناس من إمارة يعمل فيها المؤمن، ويستمتع فيها الفاجر، والكافر، ويبلغ الله فيها الأجل[1].

وعن قتادة قال: لما سمع علي المحكّمة قال: من هؤلاء؟!.

قيل له: القراء.

قال: بل هم الخيابون العيابون.

قيل: إنهم يقولون: لا حكم إلا لله.

قال: كلمة حق عزي بها (أو أريد بها) باطل الخ.. [2].

والبداية والنهاية ج7 ص292 والخصائص للنسائي ص139 ونظم درر السمطين ص116 وكشف الغمة ج1 ص264 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص188 وذخائر العقبى ص110 وعن تاريخ اليعقوبي ج2 ص191 وعن الاشتقاق ص220 والرياض النضرة ج3 ص224 والثقات ج2 ص295 وتذكرة الخواص ص99 ونهج البلاغة ج3 ص197 وج1 ص87 وبشرح النهج للمعتزلي ج1 ص104 والكامل لابن الأثير 3 و 334 و 335.

(1) المصنف ج10 ص150 وكنز العمال ج11 ص286 و 309 ورمز له بـ (عب. ق. ش) وراجع: العقد الفريد ج2 ص388 وراجع: أنساب الأشراف ج2 ص377 بتحقيق المحمودي ونهج البلاغة ج1 الخطبة رقم 40 وفجر الإسلام ص259.

(2) المصنف للصنعاني ج10 ص150 والمعيار والموازنة ص170 وكنز

فهذه الشعارات التي كانوا يطلقونها، والتي كانت تفعل فعل السحر في نفوس السذج والبسطاء من الناس. قد جعلت استجابة هؤلاء، الناس إليهم، سريعة ورعناء، ومن دون أن يكلف المستجيبون أنفسهم عناء التأمل والتفكير في ابعاد تلك الشعارات وخلفياتها، ومنطلقاتها، وركائزها العقائدية، ومدى صحتها، إن كان ثمة أساس أو مرتكز عقائدي وإيماني لها.

والذي ساعد على ذلك: أن الذين كانوا على مستوى مقبول من الثقافة والمعرفة، وكان يمكنهم تعريف الناس على حقائق الأمور، كانوا غير موجودين في صفوف الخوارج، وإذا كان منهم من لديه شيء من المعرفة، فإنه كان قد اختار طريق الانحراف، وكان يعمل على انتهاز الفرصة لتحقيق طموحاته ومآربه.

وقد روى سعيد بن جمهان قال:

كنا مع عبد الله بن أبي أوفى، يقاتل الخوارج ـ وقد لحق غلام لابن أبي أوفى بالخوارج ـ فناديناه: يا فيروز، هذا ابن أبي أوفى!.

قال: نعم الرجل لو هاجر.

قال: ما يقول عدو الله؟.

قال: يقول: نعم الرجل لو هاجر.

العمال ج11 ص273 وفي هامشه عن منتخب كنز العمال، وعن جمع الجوامع، وعن الجامع الكبير.

والكلمة الأخيرة في كنز العمال 11 و 281 عن (ابن وهب. م. ابن جرير. أبي عوانة. حب. ابن أبي عاصم. ق)

فقال: هجرة بعد هجرتي مع رسول «صلى الله عليه وآله»؟ يرددها ثلاثاً ـ سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: طوبى لمن قتلهم، ثم قتلوه. قال عفان في حديثه: وقتلوه، ثلاثاً[1].

وعن أبان قال: خرجت خارجة من البصرة، فقتلوا، فأتيت أنساً: فقال: ما للناس فزعوا؟

قلت: خارجة خرجت.

قال: يقولون ماذا؟!.

قال: قلت: يقولون: مهاجرين.

قال: إلى الشيطان هاجروا، أو ليس قد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا هجرة بعد الفتح[2].

ومهما يكن من أمر، فإن ما قام به «عليه السلام» من تعريف الناس على خلفيات تلك الشعارات، وبيان زيفها لهم قد آتى ثماره، حيث لم يستطع زعماء الخوارج أن يربحوا إلى صفوفهم إلا الأحداث والجهال الذين ليس لديهم أثارة من علم، ولا سابقة في الإسلام. وقد رجع الألوف من نفس أولئك الذين خدعوهم بشعاراتهم في بادئ الأمر ـ رجعوا بسبب ـ ما ظهر لهم، بعد أن أقام «عليه السلام» عليهم الحجة، وجلىّ لهم الحقيقة.

وقد رأينا: أن أنساً، وابن أبي أوفى اللذين كانا على اطلاع تام بما جرى بين علي «عليه السلام» وبين الخوارج، وباحتجاجاته «عليه

---

(1) مسند أحمد ج4 ص382 و 357.

(2) المصنف ج10 ص152.

السلام» عليهم، وبإيضاحاته المتتالية لفساد ما يستندون إليه، وما يعتمدون عليه ـ قد رأينا ـ أنهما قد اتخذا الموقف الصحيح من تلكم الشعارات الخادعة. وأعلنا للناس بفسادها تأسياً بعلي «عليه السلام».

تفصيلات عن موقف علي عليه السلام:

وبعد.. فإن مراجعة حياة أمير المؤمنين «عليه السلام» وسيرته تفيدنا:

1 ـ إنه «عليه السلام» قد رفض هذه الأساليب في التعامل في جميع أدوار حياته، ولم ينس الخوارج، ولا غيرهم، رفضه «عليه السلام» لمكيدة رفع معاوية وجيشه للمصاحف في صفين[1].

ثم إنه قد أطلق في حرب الجمل كلمته المشهورة الأخرى، حينما قال: إنما يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

وقال: إعرف الحق تعرف أهله[2].

2 ـ قد يقال: إن علينا أن نفهم موقف الخوارج على أنه منطلق من شبهة دخلت عليهم، أو جعلتهم يشكون في صواب مواقف علي «عليه السلام» فاتخذوا على أساس ذلك مواقف حادّة، تنطلق من حقد يجيش

---

(1) لا يحتاج ذلك إلى مصادر فإن أغلب من تحدث عن صفين ذكر ذلك عنه «عليه السلام».

(2) كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي ص84 و 195 والطرائف ص5 والبحار ج27 ص279 وج4 ص126 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص344 والمعيار والموازنة ص5 والتدقيق الرباني ص195.

في صدورهم، ثم خالط ذلك حب الدنيا، والطموح إلى الحصول على شيء من حطامها، ولاسيما لدى زعمائهم..

ونقول في مقام توضيح ذلك وتصحيحه:

إن علينا أن نضيف إلى ذلك أيضاً: أنه يفهم من الروايات الواردة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن الجهل الذريع، إذا استحكم في الإنسان، وخالطه شيء من العجب بالنفس نتيجة لقراءتهم القرآن من دون تدبر، وعبادتهم المضنية من دون خشوع، فإنه يؤدي إلى الهلاك المحتم، وإلى الدمار المريع، ويهلك ذلك الحرث والنسل، حيث يكون ذلك سبباً في أن يصبح الهوى شريعة، والانحراف ديناً، ولا يبقى ثمة ميزان يعرف فيه الحق من الباطل، والدين من اللادين، وتتحكم بمصير الأمة الأهواء الطاغية، والطموحات الباطلة. والنزوات والشهوات..

3 - إن الأمر الصادر بقتل هؤلاء رغم تظاهرهم بالعبادة، وبقراءة القرآن، لا يبقي مجالاً للتعلل، والقعود، والسكوت عن الانحراف بحجة: أن جهلهم عذر لهم، وان إسلامهم وعبادتهم سياج وحصن لهم يلوذون به ويلجأون إليه..

وحتى لو فرضنا: أنهم مقتنعون بمواقفهم، فإن قطعهم ويقينهم لا يبرر مواقفهم الخاطئة التي تمس في خطئها جوهر الدين، أو على حساب حياة ووحدة واستقرار، وطمأنينة، وانتظام أمور المسلمين جماعات، وأفرادا..

بل إن عليهم أن يلتزموا خط الطاعة والانقياد لولي أمرهم

العارف بالدين، والصادع بالحق، الذي هو مع الحق والحق معه، يدور معه حيثما دار.

وحتى لو كان ذلك يصدر منهم من منطلق رؤيتهم لأنفسهم، بأن لهم الحق في أن يجتهدوا، وأن يقرروا، ولو على تقدير تصنيفهم في دائرة الجاهل المركب. أو رؤية الناس لهم، على أنهم قد اجتهدوا فأخطأوا، وأرادوا الحق، فوقعوا في الباطل، بحسن نية، وسلامة طوية، فإن ذلك كله لا يصلح عذراً لهم في معصية إمامهم، ثم الولوغ في دماء المسلمين بهذه الطريقة البشعة، كما أنه لا يصلح للإعتذار به عن التصدي لفسادهم وانحرافهم، ودفع غائلتهم، ومنعهم من الفساد في الأرض، وفي الدين.

4 - إنه نتيجة لجهل هؤلاء بالدين وأحكامه قد ارتكبوا في حق الأمة والدين تلك الجرائم والعظائم. وهذا يشير إلى أن خطر الجهل يفوق كل خطر، حتى إنه قد يودي بحياة أمم وأجيال، ويكرس الانحراف ليصبح سنة قائمة، وشريعة دائمة..

5 - إن الجاهل إذا اتخذ سبيل النسك، والعبادة، طريقاً له فانه لا يخدع الناس بمظاهره وحسب، بل إنه هو نفسه أيضاً ينخدع بنفسه حيث يتخيل أنه قد وصل إلى درجات عالية لم يصل إليها غيره، وأنه أصبح يمثل إرادة الله سبحانه على الأرض، وتصبح لديه الجرأة على التصدي لأعمال، لم يكن يجرؤ على التفكير فيها من قبل، ويقدم على مواقف خطيرة، قد تمس مصير الأمة بأسرها، وقد يعطي لنفسه الحق بان يقول في الدين، ويصدر الفتاوى ويبتكر النظريات فيه، فيخبط

خبط عشواء، وتظهر من جراء ذلك البدع، وتصبح الأهواء شريعة، والشهوات ديناً..

وينخدع بمثل هؤلاء السذج والبسطاء، حيث يرون هؤلاء الجهلة عباداً ونساكاً، ويدعون لأنفسهم العلم والمعرفة، ويطلقون الشعارات البراقة والخادعة، ويصورون لهم أنفسهم على أنهم هم القيمون على الدين، وعلى شريعة سيد المرسلين.. كما كان الحال بالنسبة للخوارج موضع بحثنا هنا..

ومن ذلك كله نعرف بعضاً من المغزى العميق، الذي تشير إليه كلمة علي أمير المؤمنين «عليه السلام»: «قصم ظهري اثنان: عالم متهتك، وجاهل متنسك»(1).

كما أننا مما تقدم وسواه ندرك بعض السر لما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق الخوارج، من أنهم: «شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة»(2).

وفي لفظ آخر: «يقتلهم خيار أمتي، وهم شرار أمتي»**(3)**.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص284.

(2) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص56 وأرجح المطالب ص599 ط لاهور وعن مجمع الزوائد ج6 ص239 والشيعة في التاريخ ص42 عن مسند احمد بن حنبل عن مسروق عن عائشة وقريب منه عن تاريخ بغداد ج1 ص160 وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص267.

(3) مجمع الزوائد ج6 ص239 عن البزار والطبراني في الأوسط وفي المحاسن والمساوئ ج2 ص99: أن النبي صلى الله عليه وآله: عن ذي

6 - إن الجريمة التي ارتكبها الخوارج في حق الدين والأمة، والتي ستبقى آثارها إلى يوم القيامة.. بسبب جهلهم، وانقيادهم لأهوائهم، وإظهارهم النسك والعبادة و.. و.. و.. الخ..

إن هذه الجريمة تفوق في هولها وفظاعتها وعمقها كل جريمة على الإطلاق، حتى استحقوا أن يصفهم الرسول «صلى الله عليه وآله» بأنهم شر الخلق والخليقة.

فلو أنهم لم يقفوا ذلك الموقف حين رفع معاوية وجيشه المصاحف، وسمعوا قول إمامهم، وامتثلوا أمره بمواصلة الحرب، حتى تفيء الفئة الباغية لأمر الله سبحانه، لتغير مجرى الحوادث في التاريخ، ولكانت اجتثت الشجرة الخبيثة من فوق الأرض، ولم يبق لها ثمة من قرار..

كما أن موقفهم بعد ذلك من أمير المؤمنين «عليه السلام»، وإفسادهم في الأرض، حتى انجر ذلك إلى حربهم، قد جعل العراقيين يملون الحرب، ويتثاقلون عنها، بعد أن قتلوا آباءهم وابناءهم وإخوانهم في النهروان، فلم يستجيبوا لدعوة أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم للنفر إلى حرب القاسطين، وهم معاوية وحزبه من جديد.

ثم إنهم قتلوا أمير المؤمنين علياً صلوات الله وسلامه عليه، غيلة بعد ذلك.. فمكنوا لمعاوية، ولكل من هم على شاكلته من أن يستمروا في خططهم لهدم الإسلام، وطمس معالمه، وتسخير كل شيء في سبيل أهواءهم ومصالحهم.

الثدية: أنه يقتل مع شر جيل يقتلهم خير جيل.

وقد كانت تلك خدمة جليلة أسداها الخوارج للحكم الأموي، ولكل المنحرفين عن خط الرسالة، وعن أهل بيت النبوة، عليهم الصلاة والسلام. دون أي مقابل.. سوى ما جروا على أنفسهم، وعلى الأمة، وعلى الدين من ويلات وكوارث.

ويبتلي الخوارج بعد وفاة أمير المؤمنين بمحاربة نفس هذا الحكم الذي مكنوا هم أنفسهم له. فيكيلون له ويكيل لهم الضربات القاصمة.

7 - إن ما ورد في الروايات عنه «صلى الله عليه وآله» من كونهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يدل على أنهم ليسوا على شيء من الدين، وأنهم قد خرجوا منه كما دخلوا فيه.

إذن، فاعتبارهم على شيء من الدين والإسلام، لا يتناسب مع هذه الروايات، ولا ينسجم معها. وقد قال الجاحظ رداً على من كان يحمد الله على أنه لم يشهد حروب الجمل، وصفين، والنهروان، وفتنة ابن الزبير.

إنا لا نعرف لبعض ما قال وجهاً، لأنك لا تعرف فقيهاً من أهل الجماعة لا يستحل قتال الخوارج، كما أنا لا نعرف أحداً منهم من لا يستحل قتال اللصوص. وهذا ابن عمر ـ وهو رئيس الحلسية بزعمهم ـ قد لبس السلاح لقتال نجدة[1].

ونحن لا نوافق الجاحظ على الفقرة الأخيرة، فإن ابن عمر قد وافق نجدة وصلى خلفه، كما سنرى.

8 - إن قوله «عليه السلام»: «نعم، إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء

---

(1) البيان والتبيين ج3 ص130.

يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير الخ..»[1].

يفيدنا أن الخوارج يرون: أنه ليس للحاكم أن يتصرف أي تصرف يرى فيه صلاح المسلمين ودفع شر أعدائهم. وفي هذا تعطيل لدوره كحاكم. فهم إذن يريدونه مأموراً للرعية لا آمراً. فأوقعهم ذلك في الخطأ والتناقض، فهم أنفسهم لا يمكنهم أن يضبطوا أمورهم إلا بواسطة تعيين حاكم وأمير لهم، وكانوا يفعلون ذلك، ولا يصبرون على العيش بدونه، بل لا يتهيأ لهم ذلك ولا يقدرون عليه. ولكنهم يصرون على أمير المؤمنين أن لا يتصرف كأمير وحاكم، زاعمين له أن حق الحاكمية: إنما هو لله فلا يصح لغيره أن يتصرف!!.

9 - والغريب في الأمر: أنهم قد خلطوا أيضاً بين التحكيم وبين الحاكمية مع أن التحكيم غير الحاكمية، فإنه يمكن التحكيم والطلب من الحكمين أن يحكما بموجب القرآن، وهذا ليس معناه: أنهما قد جعلا الحكمين حاكمين في قبال الله، فإن اكتشاف الحكم من القرآن لا يعني الحاكمية والإمرة للمكتشف..

قال المعتزلي بعد أن ذكر أن قول يعقوب: إن الحكم إلا لله معناه: أنه إذا أراد شيئاً من أفعال نفسه فلا بد من وقوعه، بخلاف غيره من القادرين بالقدرة، فالذي ينفذ مراده لما هو من أفعاله، هو الله تعالى فقط، قال:

«فهذا معنى الكلمة، وضلت الخوارج عندها، فأنكروا على أمير المؤمنين «عليه السلام» موافقته على التحكيم، وقالوا: كيف يحكم وقد

---

(1) شرح نهج البلاغة ج2 ص307 وفجر الإسلام ص259.

قال الله سبحانه: **(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)**؟[1]، فغلطوا لموضع اللفظ المشترك. وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم، فإذن هي كلمة حق يراد بها باطل، لأنها حتى على المفهوم الأول، يريد بها الخوارج في كل ما يسمى حكماً إذا صدر عن غير الله تعالى. وذلك باطل لأن الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع»[2].

وحسبنا ما ذكرناه هنا، فإن ما سوف نشير إليه إن شاء الله في ثنايا هذا الكتاب يكفي لإعطاء تصوير على درجة من الوضوح عن هذه الفئة، وذلك بالمقدار الذي يسمح لنا به الوقت المحدود، والفرصة المتاحة، وما توفره لنا النصوص التي أفصح لنا عنها تاريخ هذه الفئة، وأمكننا الرجوع إليها. والحصول عليها.

الموقف الرسالي:

عن كثير بن نمر، قال: دخلت مسجد الكوفة عشية جمعة، وعلي يخطب الناس، فقاموا في نواحي المسجد يحكمون. فقال بيده: هكذا، ثم قال:

كلمة حق يراد بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم. أحكم فيكم بكتاب الله، وسنة رسوله، وأقسم بينكم بالسوية، ولا نمنعكم من هذا المسجد أن تصلوا فيه، ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[3]

---

(1) الآية 57 من سورة الأنعام.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص17.

(3) مجمع الزوائد ج6 ص242 و 243 وراجع الإلمام ج1 ص36 وراجع

و في نص آخر: لكم علينا ثلاث، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بقتال[1].

ومن الواضح: أن أدنى ما يمكن توقعه من أي حاكم من الحكام الزمنيين، الذين رأينا عبر القرون والأحقاب أنحاء تعاطيهم مع أمور كهذه هو ـ أنه حين يواجه أمثال هؤلاء، ويكون في موقف كهذا، أن يأمر باعتقال كل الذين يطلقون شعاراً يسيء إلى حكمه، وإلى موقعه, ثم يحاسبهم ويعاقبهم بالصورة التي تضمن عدم تكرار ذلك منهم، بحيث يكون ذلك عبرة لغيرهم.

ولكن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ـ وهو الحاكم الإلهي المعصوم ـ لا يقيم وزناً للحكم بما هو حكم؛ لأن الحكم عنده إنما هو وسيلة لإقامة الحق، ودفع الباطل. فليس الحكم بما هو حكم امتيازاً، وإنما هو مسؤولية وأمانة، لا بد من القيام بها على أحسن وجه، وأدائها إلى أصحابها.

ومن هنا.. يصبح من الطبيعي أن نجده «عليه السلام» لا ينطلق في مواقفه من مبدأ هيبة الحكم، وهيمنة السلطان، ولا يعاقب على الجرأة على ذلك ولا يهتم له. فإن ذلك ليس إلا مجرد اعتبارات

أنساب الأشراف ج2 ص325 بتحقيق المحمودي.

(1) المبسوط ج7 ص269 وراجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص39 عن فتح الباري ج12 ص301 وراجع البداية والنهاية ج7 ص282 و 285 والكامل لابن الأثير ج3 ص335.

وعناوين صنعها ضعف الإنسان، وصورها له خوفه من فقدان ما يراه امتيازاً شخصياً له.

أما علي «عليه السلام» فإنه ـ يسجل مبدأه في التعامل مع الآخر، وأنه من موقع التكليف الشرعي والمسؤولية الإلهية، فلا تثيره تلك الشعارات، ولا تخرجه عن حالة التوازن، بل هو يقرر القاعدة الإسلامية التي تقوم على الأسس الأربعة التالية:

1 ـ الحكم فيهم بكتاب الله، وسنة نبيه.

2 ـ يقسم بينهم الفيء بالسوية.

3 ـ لا يمنعهم من مساجد الله سبحانه أن يصلوا فيها، ما دامت أيديهم مع أيديهم.

4 ـ لا يبدؤهم بقتال حتى يبدؤوه.

لماذا هذه الأربعة؟!:

ويبقى أن نشير هنا إلى سر التركيز على هذه الأصول الأربعة دون غيرها، فإن ذلك واضح، من حيث أنه يمس حياة الناس، ويلامس وجودهم ومصيرهم فالمطلوب من أي حاكم كان أن لا يتجاوز هذه الأصول الأربعة. فإن الرعية إنما تطلب من الحاكم أن يتعامل معها على أساس ضوابط محددة ومقبولة. ولا يسعدها أن يتعامل معها على أساس نوازعه الشخصية، وطموحاته وأهوائه، لأنها لا تجد في ذلك حلاً لمشاكلها التي تعاني منها، إن لم تجد فيه ما يزيدها شقاءً وبلاء وعناءً..

وهي أقرب إلى التسليم والإنقياد والوثوق بما يأتيها من قبل الله

سبحانه، الذي عرفته خالقاً مدبراً، حكيماً، عالماً بكل صغيرة وكبيرة، لا يريد لها إلا الخير، ولا يجر نفعاً إلى نفسه سبحانه، ولا يخالجها أدنى شك بصواب تدبيره، وصحة تشريعاته.

وبالنسبة للأصل الثاني: فإنه قد جاء موافقاً لواقعية النظرة الإسلامية، في مجال العدالة الاجتماعية، مادام أن المقتضي لقسمة الفيء، والهدف منه لا يختلف من شخص لآخر، ولا من فريق بالنسبة إلى غيره. بعد أن شارك الجميع وساعدوا في الحصول على ذلك الفيء، بعد أن كانت مبررات إنفاقه فيهم متساوية من حيث الهدف والمنشأ على حد سواء.

وبالنسبة للأصل الثالث: فإنه هو الذي ينسجم مع أصل الحرية المشروطة، التي هي منحة إلهية للإنسان على أساس حفظ أصول التعايش، والحفاظ على المصالح المشتركة لابناء بني الإنسان، فهم أحرار في مجال الاستفادة من المرافق العامة، مادام أن هذه الاستفادة توجب القوة والمنعة، وتذليل الصعاب..

أما إذا أصبحوا في موقع التآمر، والعداء، فإن وجودهم في المساجد حينئذ يصبح سبباً في التشتت والخلاف، والتمزق والضعف، وإشاعة حالة النفاق والنميمة، والاطلاع على مواضع الضعف والقوة، ومعرفة الثغرات التي يمكن من خلالها تسديد الضربات للقوى الصالحة والمؤمنة.

وحول الأصل الرابع والأخير، نقول: إن ذلك هو ما تمليه المسؤولية الشرعية وأخلاق الإسلام وتعاليمه. فان الحاكم، لا بد أن

يرعى حالة الأمن للأمة بطريقة صحيحة.

ومن الطبيعي: أن يكون لاحتمالات شن الحكم حرباً على الرعية بصورة ابتدائية، وبمبادرة غير مسبوقة، سيجعل الناس يعيشون حالة الرعب والخوف، وعدم الثقة بالحكم وبالحاكم، ويفسح المجال ـ من ثم ـ لمن في قلوبهم مرض لإشاعة هذه الحالة، وتشكيك الناس بنوايا الحكم والحاكم تجاههم في أي وقت بلا مبرر ولا جهة.

ولا يعود للحكم ولا للحاكم تلك القداسة، ولسوف تختل الرابطة بينهم وبينه، والتي لا بد أن تقوم على أساس الحب والثقة. فلا حب بعد ولا ثقة، ولا يعود الحكم هو الحامي والحافظ، والملجأ لهم والملاذ.

الإمتحان.. والناجحون والمخفقون:

عن أبي سعيد الخدري: أن أبا بكر جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، إني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشع حسن الهيئة، يصلي.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: إذهب إليه، فاقتله.

قال: فذهب إليه أبو بكر، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: إذهب فاقتله.

فذهب عمر، فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر، قال: فكره أن يقتله.

قال: فرجع، فقال: يا رسول الله، إني رأيته يصلي متخشعاً، فكرهت أن أقتله.

قال: يا علي، إذهب فاقتله.

قال: فذهب علي فلم يره، فرجع علي، فقال: يا رسول الله لم أره.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية[1].

وعند البزار وغيره: أن أبا بكر وعمر قد تبرعا بأن يقتلاه، فأذن لهما رسول الله، فرجع كل واحد منهما وقال: إني وجدته يصلي، فلم استطع أن اقتله.

تقول الرواية: «فقال علي: أفلا أقتله أنا يا رسول الله.

قال: بلى، أنت تقتله إن وجدته.

فانطلق علي، فلم يجده».

وحسب نص الصنعاني: أنت له، إن أدركته! ولا أراك أن تدركه.

---

(1) مسند احمد ج3 ص15 وراجع: المصنف للصنعاني ج10 ص155 و 156 ومجمع الزوائد ج6 ص225 و 226 و 227 والبداية والنهاية ج7 ص299 وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص266 و 267. والكامل في الأدب ج3 ص220 و 221.

وفي كنز العمال ج11 ص307 عن سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه: أن الرسول أمر أبا بكر بأن يذهب ليقتله، فذهب فلم يجده فقال «صلى الله عليه وآله»: لو قتلته لرجوت أن يكون أولهم وآخرهم.

فقام، ثم رجع، فقال: والذي نفسي بيده لو وجدته لجئتك برأسه(1).

إشارات ودلالات الحديث:

ولهذا الحديث العديد من الدلالات والإشارات، نذكر بعضاً منها هنا، على سبيل الاختصار، فنقول:

1 - إن هذه الرواية قد ذكرت: أن هذا الرجل، يتخشع، حسن الهيئة يصلي.. وقد أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتل هذا الرجل بالذات، فلم يمنعه «صلى الله عليه وآله» ما كان يتظاهر به من عبادة وصلاح من اصدار الأمر بقتله حين كان مستحقاً لذلك.. وهذا يدل على أن العبرة ليست بالمظهر، وإنما بالجوهر.

وفي هذا السياق بالذات جاء الحديث الشريف في مورد آخر لينهى الناس عن أن ينظروا إلى كثرة صلاة الرجل، وصومه، وطنطنته بالليل، بل عليهم أن ينظروا إلى صدقه في الحديث، وأدائه للأمانة.

---

(1) كشف الأستار عن مسند البزار ج2 ص360 و 361 والعقد الفريد ج2 ص404 وراجع: المصنف للصنعاني ج10 ص155و 156 ومجمع الزوائد ج6 ص226 و 227 والمناقب لابن شهر آشوب. 3 ص187 و 188 عن مسند أبي يعلى وإبانة ابن بطة والعكبري وزينة ابي حاتم الرازي وكتاب أبي بكر الشيرازي وغيرهم. والنص والاجتهاد ص93 و 94. وفي هامشه عن الإصابة ج1 ص484 وحلية الأولياء ج2 ص317 وج3 ص227 والبداية والنهاية ج7 ص298 والغدير ج7 ص216 والطرائف ج2 ص429.

2 - إنه «صلى الله عليه وآله» حين أمر أولئك الثلاثة بقتل هذا الرجل، لم يعط تفسيراً، ولا تبريراً لإصدار هذا الأمر، رغم أنهم قالوا له: إنهم رأوه يصلي، ويتخشع، وأنه حسن الهيئة.

الأمر الذي يعني: أن التعامل مع مقام النبوة والإمامة المعصومة لا بد أن يكون من موقع الطاعة والانقياد والتسليم. **(ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)**[1].

تماماً كما كان الحال بالنسبة لإبراهيم «عليه السلام»، حينما أمره الله بذبح ولده، حيث لم يكن منهما «عليهما السلام» سوى التسليم والانقياد لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه، دون أي تردد، أوشك أو حيرة، أو تساؤل، مهما كانت طبيعته ونوعه، ومداه.

وبذلك يكون الله سبحانه قد جسد لنا في إبراهيم وإسماعيل «عليهما السلام»، ميزة التزامهما جانب الصبر والثبات في مواجهة الغيب المرتبط بالله سبحانه، من موقع الإيمان واليقين بهذا الغيب. كما أراده الله سبحانه لكل مؤمن يتقي الله سبحانه: (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)**[2].

3 - تحدثت الرواية المتقدمة: أن الرجلين الأولين لم ينفذا أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولم يكن لديهما أي مبرر لذلك سوى أنهما وجداه يصلي. مع ملاحظة:

ألف: أنه لم تستجد أية حالة جديدة تستدعي أن يراجعا رسول الله

---

(1) الآية 165 من سورة النساء.

(2) الآيتان 3 و 4 من سورة البقرة.

«صلى الله عليه وآله» فيها.

ب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان على علم بصلاته وخشوعه، وقد أصدر أمره لهما بقتله بناءً على نفس هذه الصفات والحالات التي اخبراه هما بها، وأطلعاه عليها.

ج: إن عدم تنفيذ أمر رسول الله، الذي يعلم الجميع أنه لا ينطق عن الهوى إنما يعني أن ذينك الرجلين كانا في شك من كاشفيه قوله «صلى الله عليه وآله» عن الواقع والحقيقة. مع ملاحظة أن نفس إصدار النبي أمره لهما بقتله يكفي لإدراك أنه «صلى الله عليه وآله» يتعامل مع هذا الأمر من موقع العلم بالواقع إما على أساس تلقي ذلك من جبرائيل عن الله سبحانه. أو على أساس الاطلاع عليه بصورة قاطعة. أي أنهما قد رأيا أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مستكملا لشروط الإنفاذ.

4 ـ أن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ كما صرحت به الرواية ـ قد قال لعلي «عليه السلام»: «بلى أنت تقتله إن وجدته».

وهذا يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف علياً عليه الصلاة والسلام حق المعرفة، إنه يعرف ميزاته وخصائصه، وبماذا يفكر، وكيف، وبأية روحية يتعامل مع القضايا.

ولأجل ذلك: نجده «صلى الله عليه وآله» قد أخبر عن أمر غيبي رآه «صلى الله عليه وآله» وسلم بعين اليقين، متوفراً في علي عليه الصلاة والسلام، من خلال معرفته بيقين علي «عليه السلام» بصحة وواقعية كل ما يصدر عن رسول «صلى الله عليه وآله»، وبأنه لا

ينطق عن الهوى. وذلك من موقع ايمانه الراسخ والعميق بنبوته «صلى الله عليه وآله».

5 ـ إن هذه الحادثة تفيدنا: أن هذا النحو من الاختبار العملي من شأنه أن يجسد النموذج الاسلامي الأصيل لكي يعرف الناس الفضل لذي الفضل، وسابقة ذي السابقة. ويصبح ذلك مقياساً ومعياراً يسقط من خلاله الكثير مما يثار من شبهات وترّهات، فيما يرتبط بفضل علي، أو بفضل ومزايا غير علي «عليه السلام»، بالقياس إليه صلوات الله وسلامه عليه.

ولا يبقى مجال للكثير من الدعاوى العريضة، التي قد يسهل إطلاقها، ولا يستطيع من لا خبرة له ولا معرفة ان يواجهها بالوسائل التي تكشف الزيف، وتظهر ما فيها من افتئات، أو ما تحمله من مبالغات.

6 ـ إن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «فاقتلوهم هم شر البرية» قد جاء على شكل ضابطة عامة قد نزعت ـ من خلالها ـ الحصانة عن كل أولئك الذين يبطنون الكفر والجحود والطغيان، ويتسترون خلف المظاهر الخادعة، فراراً من العقوبة لهم على ما اقترفوه من جرائم ومآثم.

وإن إظهارهم للتوحيد، وممارستهم للشعائر الدينية، لا يمنع من إنزال العقاب الصارم الذي يستحقونه بهم.

7 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر هذا النوع من الناس الذين عرفوا فيما بعد باسم الخوارج أنهم «شر البرية».

ولعل ذلك لأجل أن خطر هؤلاء على الدين أعظم من خطر غيرهم، لأنهم إنما يحاربون الدين باسم الدين، الأمر الذي يمكنهم من خداع ابنائه، ويجعلهم أدوات طيّعة في خدمة أغراضهم ومآربهم، وتقع من ثم الكارثة الكبرى، حيث يتولى ابناء الإسلام هدم هذا الإسلام، متقربين بذلك إلى الله، راجين مثوبته، وتوفيقه ومعونته، حتى لو كان ثمن ذلك هو تشويه تعاليمه، واستئصال وإبادة أهله و علمائه، وحتى أئمته صلوات الله عليهم، بدءاً من أمير المؤمنين «عليه السلام» فكيف بمن عداه، وتلك هي المصيبة الأدهى والأمر، والأخطر والأضر.

8 ـ ونذكّر القارئ الكريم هنا بما ظهر من النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث رأيناه يخبر عن أمور غيبية، حين أشار إلى أن علياً «عليه السلام» لن يجد ذلك الرجل، وأنه لو وجده لقتله وبظهور أولئك الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، مع بيان بعض حالاتهم، وما يكون منهم، بالإضافة إلى تحديد التكليف الإلهي الموجه للأمة تجاههم، علماً بأن ظهور صدقه «صلى الله عليه وآله» فيما أخبر به علياً «عليه السلام» من أنه لن يجده يأتي بمثابة الدليل الحسي على صدق خبره «صلى الله عليه وآله» الآخر عن الخوارج، الذين سيبتلي بهم علي «عليه السلام» أيضاً.

9 ـ وآخر ما نشير إليه في هذا المجال هو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر بقتل ذلك الرجل، في حين أنه لم يظهر منه ما يستحق به القتل، بل ما ظهر منه يشير إلى ضد ذلك، لأنه كان متخشعاً، حسن الهيئة، يصلّي.

وتشبه هذه القضية في سياقها، وفي عناصرها ما جرى للعبد الصالح مع موسى، حينما قتل العبد الصالح ذلك الغلام. الذي عرف منه أن يضطهد أبويه إلى درجة أنه كان ثمة خشية من أن يرهقهما طغياناً وكفراً..

ومن الطبيعي أن يكون هذا الأمر الصادر من الرسول الكريم «صلى الله عليه وآله» بقتل ذلك الرجل مما يدخل في هذا السياق، حيث يكون «صلى الله عليه وآله» قد اطلع على واقع هذا الرجل الذي استحق معه أن يواجه هذه العقوبة العادلة على بعض ما صدر منه من جرائم، وما ارتكبه من مآثم وعظائم عن طريق الوحي أو عن طريق آخر، لكن المطلوب على أي حال هو تصديقه والتسليم والخضوع له. ولم يكن ذلك إلا من علي «عليه السلام»..

ونقتصر هنا على هذا المقدار من القول:

عصمنا الله جميعاً من الزلل، في الفكر، وفي القول، وفي العمل، إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير.

الفصل الثاني:

بعلم الإمامة يواجههم

بداية.. ونهاية:

إن ما تقدم في فصول هذا الكتاب، هو بعض ما روي في المصادر حول ذي الثدية، وحول سائر ما أخبر به «عليه السلام» من أمور غيبية حول الخوارج..

هذا وكان «عليه السلام» قبل أن تقع المواجهة الحاسمة قد أخبر أصحابه بأن الخوارج لم يعبروا النهر، ولن يعبروه، وحدد لهم مكان قتلهم، وأخبرهم بعدد من يقتل من الفريقين، ومن يفلت.

وقد ذكرنا في مواضع من هذه الدراسة بعضاً من ذلك، ونذكر هنا أيضاً: أن أحدهم أخبره «عليه السلام» بعبور المارقة النهروان، فقال له: «أنت رأيتهم عبروا؟!.

فقال: نعم.

فقال «عليه السلام»: والذي بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» لا يعبرون، ولا يبلغون قصر بنت كسرى، حتى تقتل مقاتلتهم على يدي، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة، ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة»[1].

---

(1) كشف الغمة ج1 ص274 و لهذا الحديث، أعني عدد من يفلت منهم ومن

وعن جندب الأزدي، قال: لما عدلنا إلى الخوارج مع علي بن أبي طالب.

قال: يا جندب، ترى تلك الرابية؟

قلت نعم.

قال: فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبرني أنهم يقتلون عندها[1].

وفي نص آخر قال «عليه السلام»: «لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر»[2].

أما إخباراته عن وجود ذي الثدية فيهم، وكونه في جملة القتلى، فقد ذكرت في مختلف المصادر والمراجع. وقد أوردنا في تمهيد الكتاب وفي فصوله الأخرى شطراً كبيراً من تلك المصادر.

وتقول بعض تلك النصوص: «..فطلب الناس، فلم يجدوه، حتى قال بعضهم: غرنا ابن أبي طالب من إخواننا حتى قتلناهم.

فدمعت عين علي «عليه السلام». قال: فدعا بدابته فركبها، فانطلق حتى أتى وهدة فيها قتلى، بعضهم على بعض، فجعل يجر بأرجلهم، حتى وجدوا الرجل تحتهم، فأخبروه، فقال علي: الله اكبر.

يستشهد من أصحابه «««عليه السلام»»» مصادر كثيرة أخرى ذكرت في موضع آخر من هذه الدراسة.

(1) كنز العمال ج11 ص290 عن ابن عساكر.

(2) تاريخ بغداد ج1 ص205 وبهج الصباغة ج7 ص189 ولهذا المعنى مصادر كثيرة جداً.

وفرح، وفرح الناس»[1].

واللافت للنظر هنا: أنه «عليه السلام» حين يريد أن يبحث عن المخدج. يصر على إفهام الناس عمق ارتباطه برسول الله، حيث يكتشفه لهم بصورة إعجازية، تقريبا فإنه «عليه السلام» ركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما قال أبو قتادة، قال: «فأقمنا ندور على القتلى، حتى وقفت بغلة النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام». راكبها، فقال: اقلبوا القتلى»[2].

وفي نص آخر: «فالتمسوه، فلم يجدوه، فما رأيت علياً جزع جزعاً قط أشد من جزعه يومئذٍ».

ثم تذكر الرواية: كيف أنهم بحثوا عن ذي الثدية ثلاث مرات، وكان «عليه السلام» بعد أن يخبروه بأنهم لم يجدوا ذا الثدية يكذبهم، ويؤكد أن النبي «صلى الله عليه وآله» لعنهم. وكان «عليه السلام» يسألهم عن اسم المكان فيخبرونه. وقد ذكر لهم حتى عدد الشعرات التي كانت على يد ذي الثدية، وأنها ثلاث.

---

(1) راجع: مجمع الزوائد ج6 ص238 عن أبي يعلى. ورجاله رجال الصحيح. وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج5 ص319 وكشف الغمة ج1 ص267 وليس فيه عبارة: وفرح، وفرح الناس.

(2) بهج الصباغة ج7 ص188 عن الخطيب في ترجمة أبي قتادة الأنصاري، وتذكرة الخواص ص104 وتاريخ بغداد ج1 ص160 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص276.

ثم وجدوه آخر الأمر في ساقية[1].

وبعض النصوص يصرح: بأنه «عليه السلام» بكى مرتين حين كانوا يخبرونه بعدم وجدانه، ثم قام في الثالثة بنفسه فركب بغلته الشهباء، فلما وجده سجد[2].

ونص آخر يقول: إنهم حين وجدوا المخدج كبّر علي، وحمد الله، وخرّ هو والذين كانوا معه سجدّاً[3].

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» سجد سجدة طويلة [4].

ويقول غيره: «ففرح فرحاً شديداً»[5].

---

(1) كنز العمال ج11 ص310 وتاريخ بغداد ج1 ص199 وج13 ص222 والبداية والنهاية ج7 ص294 وبهج الصباغة ج7 ص189 ومصادر حديث ذي الثدية لا تكاد تحصى لكثرتها.

(2) البداية والنهاية ج7 ص295.

(3) المناقب للخوارزمي ص185. مسند احمد ج1 ص108 و 147 والبداية والنهاية ج7 ص292 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص276 والخصائص للنسائي ص141 وسنن البيهقي ج8 ص170 وكنز العمال ج11 ص289 عن الدورقي، وابن جرير، وانساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص376 وذكر بعض المصادر الأخرى في هوامشه.

(4) البداية والنهاية ج7 ص290 وراجع ص280 و 295 وتاريخ بغداد ج14 ص362 وراجع: بهج الصباغة ج7 ص187 و 189 عن الخطيب في ترجمة أبي مؤمن الوائلي، وابن عباس. وفي كنز العمال ج11 ص289 عن ابن أبي عاصم، والبيهقي في الدلائل والخطيب: فخرّ علي ساجداً.

(5) انساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص377.

وفي آخر: «فكبر علي رضي الله عنه والناس، وأعجبهم ذلك»(1).

وحسب نص المسعودي: «أمر علي بطلب المخدج، فطلبوه، فلم يقدروا عليه. فقام علي، عليه أثر الحزن لفقد المخدج. فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعضهم، فقال: أفرجوا.

ففرجوا يميناً وشمالاً، واستخرجوه. فقال علي: الله اكبر ما كذبت على محمد..

إلى أن قال: فثنى علي رجله، ونزل، وخر لله ساجداً»(2).

وعن مالك بن الحارث قال: «شهدت علياً رضي الله عنه يوم النهروان طلب المخدج، فلم يقدر عليه، فجعل جبينه يعرق، وأخذه الكرب. ثم إنه قدر عليه، فخر ساجداً، فقال: والله، ما كذبت ولا كذبت»(3).

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال لهم: اطلبوا المخدج، فقالوا: لم نجده، فقال: والله، ما كذبت ولا كذبت، يا عجلان! ائتني

---

(1) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (للنسائي) ص143 وفي هامشه عن تاريخ بغداد ج1 ص160 وعن مسند احمد ج1 ص88. وراجع شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص276.

(2) مروج الذهب ج2 ص406.

(3) مستدرك الحاكم ج2 ص154 وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وصححاه على شرط الشيخين. وتاريخ بغداد ج13 ص158 وراجع: البداية والنهاية ج7 ص294.

ببغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتاه بالبغلة، فركبها، وجال في القتلى، ثم قال: اطلبوه ههنا.

قال: فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر وطين.

وفي رواية أبي نعيم، عن سفيان: «فقيل: قد أصبناه فسجد لله تعالى. فنصبها»(1).

ولعل المراد بقوله: فنصبها! أنه رفع يد المخدج ليراها الناس.

وفي نص آخر: أن علياً أرجعهم في طلبه مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه(2).

وفي نص آخر: أنه هو بنفسه قام فبحث عنه فوجده في حفرة فيها قتلى كثير(3).

وعن ابن عباس قال: لما أصيب أهل النهروان خرج علي وأنا

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص191 عن تاريخ الأمم والملوك للطبري، وإبانة ابن بطة، وسنن أبي داود، ومسند أحمد.

(2) كنز العمال ج11 ص282 عن ابن وهب ومسلم، وابن جرير، وابن أبي عاصم، والبيهقي، وأبي عوانة، وابن حبان وراجع: نزل الأبرار ص60 وعن الرياض النضرة ج3 ص224 وعن صحيح مسلم ج2 ص749 وراجع: ذخائر العقبى ص110 وتاريخ بغداد ج10 ص305 وراجع ج12 ص480 وراجع ج1 ص199 و 200 وفرائد السمطين ج1 ص277 ونظم درر السمطين ص116 والخصائص للنسائي ص291 وروي أيضاً عن البداية والنهاية ج7 ص291.

(3) تاريخ بغداد ج1 ص206 وكنز العمال ج11 ص272 ومنتخب كنز العمال ج5 ص429 و 430 ومجمع الزوائد ج6 ص238 عن أبي يعلى.

خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه ـ يعني المخدج ـ فالتمسوه، فجاؤوا فقالوا: لم نجده، فعرف ذلك في وجهه، فقال علي: ويلكم ضعوا عليهم القصب، أي علموا كل رجل منهم بالقصب، فجاؤوا به، فلما رآه خرّ ساجداً[1].

وتذكر رواية أخرى: أنه «عليه السلام» لما لم يجدوه قام والعرق يتصبب من جبهته حتى أتى وهدة من الأرض، فيها نحو من ثلاثين قتيلاً. فاستخرجه منهم. واظهر للشاك بالأمر آيتين جعلتاه يعود إلى يقينه، فلتراجع[2].

وعند التلمساني: فلم يوجد، فتغير وجه علي، وقال: والله، ما كذبت ولا كذبت، فتشوه، ففتشوه، فوجدوه في وهدة من الأرض بين القتلى، فلما رآه علي كبر، وحمد الله تعالى[3].

وفي حديث آخر: أنهم حين وجدوا المخدج: رفع علي يديه يدعو والناس يدعون، قال: ثم وضع يديه، ثم رفعهما أيضاً، ثم قال:

والله، فالق الحبة، وبارئ النسمة، لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما سبق من الفضل لمن قتلهم على لسان النبي «صلى الله عليه وآله»[4].

وحين وجدوا المخدج كبر «عليه السلام»، ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله «صلى الله عليه وآله». فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا

---

(1) تاريخ بغداد ج1 ص174.

(2) خصائص علي «عليه السلام» للنسائي ص30.

(3) الجوهرة ص109.

(4) المصنف ج10 ص151.

أمير المؤمنين، الله الذي لا اله إلا هو، أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.

فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو. حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف[1].

وفي نص آخر عن عبيدة: أن علياً قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يخرج قوم فيهم رجل مودن (أو مثدون، أو مخدج اليد) لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيَّه.

قال عبيدة: قلت لعلي رضي الله عنه: أأنت سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.

قال: إي ورب الكعبة. إي ورب الكعبة. إي ورب الكعبة[2].

---

(1) المصنف للصنعاني ج10 ص148 و 149 وفي هامشه عن مسلم، وعن البيهقي ج8 ص170 وكنز العمال ج11 ص281 عن مسلم، وعبد الرزاق، والبيهقي، وابن أبي عاصم، وأبي عوانة، وخشيش. والبداية والنهاية ج7 ص291 و 290 وعن صحيح مسلم ج1 ص343.وراجع: فرائد السمطين ج1ص276 و 277. وعن طبقات ابن سعد ج4 ق2 ص36 ونظم درر السمطين ص117 وخصائص الإمام علي للنسائي ص145 وكفاية الطالب ص177 وذخائر العقبى ص110 عن مسلم ونزل الأبرار ص61.

(2) راجع مسند احمد ج1 ص95 و 78 و 55 وراجع ص113 و 121، ونزل الأبرار ص61 وفي هامشه عن مسلم ج2 ص747. والمصنف للصنعاني ج10 ص149 وكنز العمال ج11 ص282 عن الترمذي،والبخاري،ومسلم

حرب الخوارج هي الأصعب:

وقد ذكر لنا التاريخ صراحة: أن بعض من كانوا مع علي، قد ارتابوا في حرب الخوارج.

ويذكرون أيضاً: أن الناس كأنهم قد وجدوا من أنفسهم من قتلهم الخوارج[1].

فحين رأوا صدق إخباراته الغيبية «عليه السلام» عادوا إلى يقينهم.

يقول جندب بن عبد الله الأزدي: «شهدت مع علي الجمل، وصفين، ولا أشك في قتالهم، حتى نزلنا النهروان فدخلني شك، وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم؟!! إن هذا الأمر عظيم!!».

ثم تذكر الرواية: أنه عاد إلى يقينه حين رأى صدق ما أخبر به

وأبي داود والطيالسي، وابن جرير، وخشيش، وابن حبان، وابن أبي عاصم، والبيهقي، وأبي عوانة، وابن ماجة وغيرهم، وراجع: منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند احمد) ج5 ص434. وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص146 وتاريخ بغداد ج11 ص118 والرياض النضرة ج3 ص225 والبداية والنهاية ج7 ص292 و 293 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص416.

(1) راجع كنز العمال ج11 ص286 عن احمد، والحميدي والعدني، والبداية والنهاية ج7 ص294 ومسند احمد ج1 ص88 وتاريخ بغداد ج14 ص363 وبهج الصباغة ج7 ص187 و 188.

أمير المؤمنين «عليه السلام» بعدم عبورهم النهر[1].

وعن أبي سليمان المرعشي، قال: لما سار علي إلى أهل النهر سرت معه، فلما نزلنا بحضرتهم أخذني غم لقتالهم لا يعلمه إلا الله تعالى حتى سقطت في الماء مما أخذني من الغم، قال: فخرجت من الماء وقد شرح الله صدري لقتالهم[2].

وهذه كرامة لعلي «عليه السلام»، حيث ذهب الغم عنه بمجرد سقوطه في الماء، وذهبت الأوهام والتخيلات، ثم شرح الله صدره لقتالهم وهذا لطف إلهي، ورعاية ربانية، كما هو ظاهر.

الحدث الذائع:

وقد ذاع هذا الأمر وشاع حتى إن أبا سعيد يقول:

حدثني عشرة من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله»، ممن أرتضي، في بيتي هذا أن علياً قال: التمسوا لي العلامة التي قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنها، فإني لم اكذب، ولم أكذب.

فجيء به.

فحمد الله علي حين عرف علامة رسول الله «صلى الله عليه وآله» [3].

---

(1) كشف الغمة ج1 ص277 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص406 وغير ذلك كثير.

(2) تاريخ بغداد ج14 ص365.

(3) كنز العمال ج11 ص302 عن ابن جرير.

ونحن هنا نشير إلى الأمور التالية:

1 - إن هذه الرواية تشير إلى أن أبا سعيد لم يكن يرتضي جميع صحابة النبي «صلى الله عليه وآله»، أو على الأقل لم يكن يرتضي الرواية عنهم بأجمعهم. بل كان يرتضي بعضاً منهم دون بعض.

2 - إن هذا الحديث قد ذاع وشاع إلى درجة أن عشرة من الصحابة، ومن خصوص المرضيين لأبي سعيد فقط، كانوا حاضرين وفي خصوص بيت هذا الرجل ـ يحدثون بهذا الحديث، فكيف بمن لم يأت منهم إلى بيت أبي سعيد، أو لم يكن مرضياً عنده، أو حدثه في غير بيته. وكيف بسائر الناس، الذين لا بد أن يرووا ما رأوا وما سمعوا أيضاً.

3 - إن ما جرى في كشف أمر المخدج يعطينا: أن ذلك قد أسهم في نشر حقانية موقف أمير المؤمنين، حتى في أوساط الذين لم يحضروا تلك الحرب، فقد كان حدثاً لافتاً ومثيراً للعجب، كما أشارت بعض النصوص، حيث جاء فيها: «وكبر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون»[1].

وفي نص آخر: «فكبر علي رضي الله عنه والناس، وأعجبهم ذلك»[2].

وأن أحداثا كهذه تمس الناحية العقيدية والإيمانية للناس. ولاسيما

---

(1) راجع مسند احمد ج1 ص88 وكنز العمال ج11 ص286، عن احمد، والحميدي، والعدني. والبداية والنهاية ج7 ص294.

(2) تقدمت الإشارة لمصادر هذا النص قبل صفحات يسيرة.

على مستوى حرب تخاض ضد من يحملون اسم الإسلام، ويظهرون زهداً وعبادة، وهم الأهل والعشيرة والإخوان.. ثم تكون لها تلك النتائج الكبرى والحاسمة.

وهي أحداث مثيرة، فلا غرو أن يتناقلها الناس، باندفاع وبحرص، واهتمام بالغ.

وهذا أيضاً أحد الأمور التي سيكون علي «عليه السلام» مسروراً لها، وذلك لما لها من الأثر الايجابي على ذهنية الناس، ونظرتهم للأمور، وموقفهم منها، إن حاضراً وان في المستقبل القريب أو البعيد على حد سواء.

4 - إن مراجعة نصوص حادثة النهروان تشير إلى أن علياً «عليه السلام» قد اخبرهم بأكثر من خبر، بل إنه حتى بالنسبة للمخدج نفسه، لم يكتف بالإخبار عنه، بل اخبر أيضاً بالعلامات التي فيه، وأصر على التعرف عليها. كما ذكرته هذه الرواية. بل تقدم أنه أخبرهم حتى بعدد الشعرات التي على يده.

5 - إن من الواضح: أن علياً «عليه السلام» الذي ينظر إلى الأمور بعين البصيرة، والعقل، ونورالحكمة لم يكن يحتاج في إيمانه إلى رؤية خوارق ومعجزات. أما أولئك الذين ينظرون إلى الأمور من موقع الأهواء، والعصبيات، والجهل، فإنهم يحتاجون إلى الصدمة التي تسد على نفوسهم الإمارة منافذ التحايل على العقل، وتمنعها من التغرير به، واستخدامه في صناعة وسائل الصد عن الحق، وإثارة الشبهات. وتزيين الباطل..

ولأجل ذلك نقول: إن المؤمنين الحقيقيين هم العقلاء حقاً. ومن هنا عرفنا أيضا أن الخوارج كانوا أخفاء الهام سفهاء الأحلام. ولأجل ذلك أيضاً كان معاوية يعمل على أن يستخف قومه ليطيعوه، تماماً كما فعل فرعون مع قومه.

ومن الواضح: أن الإيمان حين يأتي عن طريق الصدمة، فانه لا يكون له ذلك الرسوخ والعمق. و سرعان ما تعود النفس الأمارة بعد هدوء الحال إلى محاولاتها لتزوير الحقيقة. ولأجل ذلك نلاحظ: أن الذين كانوا يطلبون المعجزات من الأنبياء كان إيمانهم سطحياً، ومدخولاً، ومشوباً إلى درجة كبيرة.

أما الإيمان العميق والصحيح فهو إيمان أولئك الذين عرفوا الحق بفطرتهم، ولمسوه بوجدانهم، وعاينوه بعين بصيرتهم.

وبذلك نستطيع أن نفهم بعمق كيف أنه بعد أن فرغ علي «عليه السلام» من أهل النهروان، وخطب الناس بالنخيلة: قام إليه رجل منهم، فقال: «ما أحوج أمير المؤمنين اليوم إلى أصحاب النهروان، ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا»[1].

فإن هؤلاء هم الذين لم يلامس الإيمان شغاف قلوبهم، ولم يمازج فطرتهم، وبقي مجرد لعق على ألسنتهم، لا يجاوز تراقيهم.

إشهار أمر المخدج:

وإن مراجعة نصوص حديث المخدج تعطينا: أنه «عليه السلام»

---

(1) الشيعة في التاريخ ص42 عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص146.

كان يسعى إلى إشهار أمره ونشره.

أما ما رواه إبراهيم بن ديزيل، عن حبة العرني، بعد وصفه ذا الثدية حيث قال:

«فلما وجدوه قطعوا يده، ونصبوها على رمح، ثم جعل علي «عليه السلام» ينادي: صدق الله، وبلغ رسوله. لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر، إلى أن غربت الشمس، أو كادت»[1].

فلا نستطيع قبوله، فإن علياً «عليه السلام» لا يرضى بقطع يد القتيل، لأن هذا قد يكون نوعاً من المثلة المنهي عنها، إلا أن يكون الناس هم الذين فعلوا به ذلك في غيابه ومن دون موافقة منه «عليه السلام».

وعلى كل حال، فقد روي عن يزيد بن رويم قال ـ بعد أن ذكر أنه كان عاملاً لعلي «عليه السلام» على باروسما، ونهر الملك ـ: فأتاه من أخبره عن أمر الخوارج. قال علي «عليه السلام»: «يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية.

فلما طحن القوم، ورام استخراج ذي الثدية، فاتبعه، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة. وركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: اطرح على كل قتيل منهم قصبة، فلم أزل كذلك، وأنا بين يديه، وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة. فنظرت إليه وإذا وجهه أربد، وإذا هو يقول: والله، ما كذبت، ولا كذبت. فإذا خرير ماء عند موضع دالية ـ ثم يذكر العثور على ذي

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص276 عن ابن ديزيل في صفينه.

الثدية هناك، ثم يقول ـ: فكبر علي بأعلى صوته، ثم سجد، فكبر الناس كلهم»[(1)].

قبل.. وبعد النهروان:

إن الأمر لم يقتصر على إخبار علي «عليه السلام» بأمر ذي الثدية. ونحو ذلك مما يدخل في نطاق حرب الخوارج له «عليه السلام». بل تعداه إلى ما قبل وبعد حرب النهروان، حيث نجد علياً «عليه السلام» يستمر في إعطاء الدليل تلو الدليل على أنه هو الذي اختصه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمعارف والعلوم التي عرفه الله إياها. وذلك حين يخبر الناس أيضاً بمستقبل هذا الخط الانحرافي عن صراط الله. وذلك فور عثوره على المخدج..

فعن حبة العرني قال: لما فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً، فقال علي «عليه السلام»: « مه، لا تقل هذا! فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء. ولا يزالون يخرجون، حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين، حتى يخرج إليهم رجل من ولدي، فيقتلهم، فلا يعودون أبداً»[(2)].

وقد ذكرت بعض الروايات: اسم الحسن والحسين «عليهما

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص277 و 278 ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص415.

(2) تاريخ بغداد ج8 ص275.

السلام» في هذه القضية، فعن أبي جعفر الفراء، قال: شهدت مع علي النهر. فلما فرغ من قتلهم قال: أطلب المخدج.

فطلبوه، [فلم يجدوه، وأمر أن يوضع على كل قتيل قصبة]، فوجدوه في وهدة [منتقع ماء]، رجل أسود، منتن الريح، في موضع يده كهيئة الثدي، عليه شعرات، فلما نظر إليه، قال: صدق الله ورسوله

فسمع أحد ابنيه، إما الحسن، أو الحسين يقول: الحمد لله الذي أراح أمة محمد «صلى الله عليه وآله» من هذه العصابة.

فقال علي: «لو لم يبق من الأمة إلا ثلاثة، لكان أحدهم على رأي هؤلاء. إنهم لفي أصلاب الرجال، وفي أرحام النساء»[1].

ومن الواضح: أن كلامه لم يأت رداً على قول أحد ولديه «عليهما السلام»، لأن الحمد على إراحة الله الأمة من عصابة أهل النهروان، لا يعني أن قتلهم في النهروان سوف يمنع من ظهور غيرهم ممن ينتحل نحلتهم في الأمة على مر الزمان.

فالله قد أراح الأمة من هؤلاء، وعلي «عليه السلام» يخبر عن ظهور آخرين منهم في الأمة في الأزمنة التالية..

---

(1) كنز العمال ج11 ص277 عن الطيالسي، ومجمع الزوائد ج6 ص242 عن الطبراني في الأوسط.

الفصل الثالث:

أنا فقأت عين الفتنة

مما سبق:

قلنا فيما سبق: إن الخوارج كانوا يطمحون إلى تسجيل نصر حاسم على مخالفيهم، حتى أمير المؤمنين «عليه السلام»، حيث قد زين لهم الشيطان، وأنفسهم الأمّارة بالسوء: على أنهم ظاهرون.. أو على الأقل كانوا يطمعون بالحصول على بعض المكاسب الدنيوية، التي لونوها بلون الدين، وصبغوها بصبغته..

وبإلقاء نظرة سريعة على الظروف وسير الأحداث آنذاك يتضح بشكل قاطع: كم كان أمير المؤمنين «عليه السلام» مظلوماً، ومفترىً ومتجنّى عليه آنئذ، ولكنه تقبل الحدث بمسؤولية، وعالجه معالجة قاطعة، وحاسمة، يتجلّى فيها الحزم والثبات والحكمة.

ثم إنهم بعد أن أفسدوا في الأرض، وقتلوا الأبرياء، كان لا بد لأمير المؤمنين، صلوات الله وسلامه عليه، وهو الرجل الفذ الذي لم يكن ليساوم ولا ليهادن أحداً على حساب دينه ومبدئه من أن يقف منهم ذلك الموقف القوي والحازم والحاسم، بعد أن يئس من رجوعهم إلى الصواب عن طريق الحجاج والمنطق..

فكانت موقعة النهروان، التي لم يفلت منهم فيها إلا اقل من

عشرة. ولم يستشهد من المسلمين إلا أقل من عشرة، كما أخبر «عليه السلام» به.

ثم كانت بعض الشراذم تخرج عليه الفينة بعد الفينة، فكان صلوات الله عليه يقضي عليها ويسحقها بسرعة الواحدة تلو الأخرى، وينزل بهم الضربات القاصمة التي لا فلاح بعدها، ولم يكن ليفسح لهم المجال ليمكنوا لأنفسهم ما دام أنهم يفسدون في الأرض، ويقتلون الأبرياء ويخيفون ويقطعون السبيل.

وكانت حركاتهم تلك تتسم بالارتجال، والسرعة، والعنف، وذلك لما يجدونه في نفوسهم حسبما أشار إليه الإمام الصادق «عليه السلام».. ولما ذكرناه من طبيعة تركيبتهم عموماً، ولغير ذلك من أمور.

ونريد في هذا الفصل إلقاء نظرة على ما روي عنه «عليه السلام» من أنه هو الذي فقأ عين الفتنة، وماذا يعني «عليه السلام» بقوله هذا.. فنقول:

أنا فقأت عين الفتنة:

عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، أنه قال: «أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها، واشتد كلبها»

أضاف في رواية أخرى لهذا النص قوله «عليه السلام»: «لو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون».

أو «ما قوتل فلان، وفلان».

أو «ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان»(1).

وقد قال عدي بن حاتم: «لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه، فانه ما وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب»(2).

نعم، لقد كانت حرب هؤلاء جميعاً مخاطرة كبرى، لا يمكن الإقدام عليها لأي كان من الناس إلا لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام. ولأجل ذلك نجد أبا بكر لم يقدم على قتال أهل القبلة إلا بعد أن ادعى أنهم قد ارتدوا عن الإسلام.

والسر في ذلك يرجع إلى الأمور التالية:

1 ـ القوة السياسية للناكثين:

لقد كان على رأس الناكثين طلحة والزبير، وهما من أهل السابقة

---

(1) راجع: نهج البلاغة، بشرح عبده الخطبة رقم 89، وتاريخ اليعقوبي ج2 ص193 والغارات للثقفي ج1 ص6 و 7 و 16 وحلية الأولياء ج4 ص186 وج1 ص68 وكنز العمال ج11 ص285، ورمز له بـ (ش، حل، والدورقي) والبحار ط قديم ج8 ص556 وط جديد ج32 ص316 وكشف الغمة ج1 ص244 والبداية والنهاية ج7 ص289 ـ 294 وترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق ج3 ص175 وكفاية الطالب ص180 والخصائص للنسائي ص146 وفي شرح النهج للمعتزلي ج7 ص57: إن "هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير، وهي متداولة، منقولة، مستفيضة".

(2) الإمامة والسياسة ج1 ص121 وبهج الصباغة ج4 ص264.

في الإسلام.

ثم أم المؤمنين عائشة، وهي المرأة الشجاعة، والذكية جداً، وزوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر. وقد وضعت الأحاديث في فضلها. وكانت تحظى برعاية وعناية خاصة ـ لم تكن لأحد سواها ـ من قبل عمر بن الخطاب، الذي كان يتميز بعظمة خاصة في نفوس العرب، وكان رأيه وفعله كالشرع المتبع، وكان محبوباً لدى قريش وسائر العرب، لأمور لا مجال لذكرها الآن، حيث كان عمر يميزها في العطاء ويعطيها أكثر من جميع نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، بحجة أنها حبيبة الرسول، وابنة أبي بكر(1).

2 ـ القاسطون وقوتهم المتميزة:

وأما القاسطون.. فكان يتزعمهم معاوية بن أبي سفيان، الذي جعله عمر على عرش الشام. وكان يعامله معاملة متميزة بالمقارنة مع معاملته لكل من عداه من عماله. وقد استمر على عمله ذاك في عهد عثمان أيضاً، مع كل ما كان يحظى به من حفاوة وشأن لدى عثمان.

وقد طال مقامه في الشام إلى عشرات السنين، حتى لقد تربى أهل الشام على نهجه، وانسجموا مع اتجاهاته، وأصبحت البلاد التي يحكمها سفيانية الفكر والمنحى، بكل ما لهذه الكلمة من معنى. ولم يعرف أهلها إلا الإسلام الأموي السفياني، إسلام الأطماع والمآثم،

---

(1) راجع: أنساب الأشراف ج1 ص442 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص614.

والموبقات والجرائم. الذي كان يتخذ الدين وسيلة إلى الحصول على المزيد من المكاسب، وأداة لتحقيق الأهداف والمآرب.

وقد أعطانا أمير المؤمنين، وصفاً دقيقاً لحالتهم تلك، حينما قال لأصحابه: «.. قاتلوا الخاطئين، القاتلين لأولياء الله، المحرفين لدين الله، الذين ليسوا بقراء الكتاب، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في دين، ولا سابقة في الإسلام. والله، لو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر»[1].

ملاحظة هامة:

وقبل أن نواصل الحديث عن هذا الموضوع نسجل ملاحظة هامة على الفقرة الأخيرة في كلامه «عليه السلام»، فإنه اعتبر أن سيرة كسرى وقيصر كانت سيرة غير إنسانية. وأنها مرفوضة جملة وتفصيلاً..

وهذا الأمر يجعلنا نقف موقف المتأمل في قول الخليفة عمر بن الخطاب عن معاوية: كلما دخل إلى الشام ونظر إليه: هذا كسرى العرب[2].

وكذا في قول عمر نفسه أيضاً:

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص144 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص57.

(2) الاستيعاب بهامش الإصابة ج3 ص396 و 397 وراجع: الإصابة ج3 ص434 وأسد الغابة ج4 ص386 والغدير ج10 ص226 عنهم ودلائل الصدق ج3 قسم 1 ص212.

«إني تعلمت العدل من كسرى»!!.

وذكر خشيته وسيرته!![1].

فإن تعلمه للعدل من كسرى، مع وجود نبي الإسلام، وتعاليم القرآن، وذكره لخشية كسرى وسيرته، لهو أمر يثير الدهشة حقاً!! وأية خشية كانت لدى كسرى؟ وأية سيرة أعجبته من سيره؟

والنص المتقدم يدل دلالة واضحة على: أن سيرته لم تكن سيرة الحق والتقى. ولأجل ذلك يخوِّف أمير المؤمنين «عليه السلام» الناس من الخوارج بأنهم لو ولّوا عليهم لعملوا فيهم بعمل كسرى وقيصر.

والعجيب: أنه يظهر إعجابه بمعاوية ويصفه بكسرى العرب. فشتان ما بين هذه المواقف منه، وبين واقع كسرى المزري والمهين، والبعيد كل البعد عن الشأن الإنساني، كما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»..

عودة إلى الحديث السابق:

وبعد.. فإن هناك الشبهات والأضاليل، والمغالطات، التي كان يتوسل بها معاوية، فيما يرتبط بمقتل الخليفة عثمان، وبالنسبة لموقف أمير المؤمنين «عليه السلام» من مقتله، ومن خلافته ومن خلافة الذين سبقوه بصورة عامة.

مع أن أمير المؤمنين كان قد بين له: «أن الذين باشروا قتل عثمان، قتلوا يوم قتلوه. وأما الآخرون من الثائرين، فلا يستحقون

---

(1) أحسن التقاسيم ص18.

القتل، فقد تأولوا عليه القرآن، ووقعت الفرقة، ولا يجب عليهم القود»[1].

كما أن من الواضح: أن معاوية لم يكن ولي دم عثمان.

وحتى لو كان وليه، فقد كان عليه أن يرفع أمره إلى الخليفة الشرعي، ويحاكمهم إليه..

ومهما يكن من أمر، فان شبهات معاوية وأضاليله المختلفة قد أثرت أثرها، ليس بالنسبة لأهل الشام فقط، بل بالنسبة لغيرهم أيضاً، حتى ليذكرون أن الصحابي المعروف عبد الله بن مسعود في أربع مئة من أصحابه، قد اعتذروا لعلي «عليه السلام»، وأخبروه بأن الشك يساورهم في أمر هذا القتال، فاعتزلوه[2].

3 ـ قوة المارقين:

أما المارقون فكانوا معروفين بكثرة العبادة، وقراءة القرآن، وقد أرسل مروان بن الحكم وهو والي المدينة إلى الإمام الحسن «عليه السلام» يقول له: «أبوك الذي فرق الجماعة، وقتل أمير المؤمنين عثمان، وأباد العلماء والزهاد، يعني الخوارج..»[3].

وهذا الزهد الظاهري، وهذه العبادة كان هو الأسلوب والأمر

---

(1) الخوارج في العصر الأموي ص66 عن شرح النهج للمعتزلي ج4 ص16.

(2) الخوارج في العصر الأموي ص67 عن صفين للمنقري ص115.

(3) راجع: بهج الصباغة ج5 ص266 وج3 ص232 وتذكرة الخواص ص307.

الذي مكنهم من أن يجتذبوا السذج والبسطاء من الناس إليهم وجعل اكتشاف حقيقة أمرهم أمراً بالغ الصعوبة، فلم يكن الإقدام على حربهم بالأمر المستساغ ولا الميسور.. وهم في الظاهر: المسلمون، الزاهدون، العابدون.

وقد روى أحمد: أنه بعد قتل أهل النهروان، كأن الناس وجدوا من أنفسهم من قتلهم، فحدثهم أمير المؤمنين «عليه السلام» بحديث مروقهم من الدين، عن النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: «وآية ذلك: أن فيهم رجلاً أسود مخدج..

إلى إن قال: وكبر الناس، حين رأوه، واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون»[1].

كما أن جندب بن عبد الله الأزدي قال:

«شهدت مع علي الجمل وصفين، ولا أشك في قتالهم، حتى نزلنا النهروان، فدخلني شك، وقلت: قراؤنا وخيارنا!! نقتلهم؟! إن هذا الأمر عظيم».

وقد كان لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، وفيهم أصحاب الثفنات، وأصحاب البرانس.

ثم تذكر الرواية: أنه عاد إلى صوابه، وعرف الحق، بعد الإخبارت الغيبية التي سمعها من أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقوله «عليه السلام» لمن أخبره بعبور الخوارج النهر: صدق الله

---

(1) البداية والنهاية ج7 ص294 وتاريخ بغداد ج14 ص363 وبهج الصباغة ج7 ص187.

ورسوله وكذبت، ما عبروا، ولن يعبروا..

ثم أخبرهم «عليه السلام» بأنهم سيقتلون الرجل الذي يذهب إليهم ومعه المصحف، ويدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه.. ثم حصول ذلك بالفعل(1).

وقد جرى مثل ذلك لأحد فرسان الخوارج، حين جاء إلى علي «عليه السلام» ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين؛ فسأله «عليه السلام» عن سبب ذلك، فأخبره بأنه قد برئ منه يوم صفين، وسماه مشركاً بسبب التحكيم، قال: «فأصبحت لا أدري إلى أين أصرف ولايتي. والله لأن أعرف هداك من ضلالتك أحب إلي من الدنيا وما فيها».

فقال له علي «عليه السلام»: ثكلتك أمك، قف مني قريباً أريك علامات الهدى من علامات الضلالة.

فوقف الرجل قريباً منه، فبينما هو كذلك إذ أقبل فارس يركض، حتى أتى علياً «عليه السلام» فقال: يا أمير المؤمنين، أبشر بالفتح، أقر الله عينك. قد ـ والله ـ قتل القوم أجمعون.

فقال له: من دون النهر، أو من خلفه؟!

قال: بل من دونه.

فقال: كذبت والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يعبرون أبداً حتى

---

(1) مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص406 وخصائص أمير المؤمنين للشريف المرتضى ص28 و 29 و كشف الغمة ج1 ص277 وراجع كنز العمال ج11 ص274 - 276 عن الطيالسي. ومجمع الزوائد ج6 ص241.

يقتلوا.

فقال الرجل: فازددت فيه بصيرة.

فجاء آخر يركض على فرس له، فقال له مثل ذلك، فرد عليه أمير المؤمنين «عليه السلام» مثل الذي رد على صاحبه.

قال الرجل الشّاك: وهممت أن أحمل على علي، فأفلق هامته بالسيف.

ثم جاء فارسان يركضان قد أعرقا فرسيهما، فقالا: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين، أبشر بالفتح، قد ـ والله ـ قتل القوم أجمعون.

فقال علي: أمن خلف النهر، أو من دونه؟!

قال: لا بل من خلفه، إنهم لما اقتحموا خيلهم النهروان، وضرب الماء لبات خيولهم رجعوا، فأصيبوا.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لهما: صدقتما.

فنزل الرجل عن فرسه، فأخذ بيد أمير المؤمنين وبرجله، فقبلهما.

فقال علي «عليه السلام»: هذه لك آية[1].

مكانة علي عليه السلام:

أما أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فرغم أن بيعته قد جاءت في أعقاب ثورة عارمة أودت بحياة الخليفة الثالث عثمان. ورغم أن الأخطبوط الأموي، الذي كان غير مرتاح لوصوله «عليه السلام» إلى الحكم. كان يعمل بجدٍ وجهد بالغ على وضع العراقيل، وخلق

---

(1) الكافي ج1 ص280.

المشاكل الكبيرة أمام مسيرة العدالة وحاكمية خط الشريعة، بقيادته صلوات الله وسلامه عليه.

نعم.. ـ رغم ذلك ـ فإنه «عليه السلام» كان له من المكانة فيما بين المسلمين، ما لم يكن لكل احد سواه آنئذ, وكانت الأمة لا تزال تسمع من، وعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، الكثير الكثير في حقه، وتأكيد عظيم فضله ومنزلته، فهو مع الحق، والحق معه، وهو مع القرآن والقرآن معه، يدور معه حيث دار (1).

وفي نص آخر عنه «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق، والحق مع علي وهو مع القرآن والقرآن معه، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض (2).

وهو «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله» بمنزلة هارون من موسى، وهو اخو النبي، ووصيه، ووزيره، وخليفته، وولي كل مؤمن من بعده، إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى لكثرته، وتنوع نصوصه.

وذلك كله يجعل قتاله «عليه السلام» للخوارج، وحتى لعائشة، أم

---

(1) كشف الغمة ج2 ص35 وج1 ص141 - 146 والجمل ص36 وتاريخ بغداد ج14 ص321 ومستدرك الحاكم ج3 ص119 و 124 وتلخيصه للذهبي بهامشه وراجع نزل الأبرار ص56 وفي هامشه عن مجمع الزوائد ص7 ص234 وعن كنوز الحقائق ص65 وكنز العمال ج6 ص157 وشرح النهج للمعتزلي ج18 ص72.

(2) ربيع الأبرار ج1 ص828 و 829.

المؤمنين زوجة رسول الله، وبنت أبي بكر، ومدللة الخليفة عمر بن الخطاب فضلاً عن حربه لطلحة والزبير وغيرهما ـ يجعل حربه لهؤلاء دليلاً صريحاً على تنكبهم جادة الحق، وعلى تعديهم، وعلى خطئهم على الأقل في مواقفهم.

وقد قال ابن قتيبة، بعد أن أشار إلى اختلاف أهل العراق في صفين:

«ثم قام عدي بن حاتم فقال: أيها الناس، لو غير علي دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه. ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان، وفي يده من الله سبب»[1].

والذي كان يربط على قلوب الناس، ويأخذ بأعناقهم إلى التسليم والإذعان هو ما يرونه من صدق إخباراته الغيبية «عليه السلام» حسبما ذكرناه.

الصحابة مع علي عليه السلام:

كما أن مما زاد في ظهور فضل علي «عليه السلام»، وصوابية مواقفه: أن عدد الصحابة الذين حضروا معه صفين كان ثمان مئة رجل، وقد جعلهم فرقة خاصة، وأمر عليهم قيس بن سعد [2].

وحين كلم ابن عباس الخوارج كان من جملة ما قاله لهم: «أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله «صلى الله

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص121 وبهج الصباغة ج4 ص264 عنه.

(2) الإمامة والسياسة ج1 ص149.

عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» وعليهم نزل القرآن، وهو اعلم بتأويله منكم».

إلى أن تقول الرواية: إنه رحمه الله قال لهم: «هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس منكم احد منهم، وهم اعلم بتأويله منكم»[1].

وحسب نص آخر: «جئتكم من عند أمير المؤمنين، ومن عند أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن عند المهاجرين والأنصار. ولا أرى فيكم أحداً منهم لأبلغكم ما قالوا، أو أبلغهم ما تقولون»[2].

زاد في نص آخر قوله: «أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله وابن عمه الخ..»

إلى أن قال: «فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار»[3].

---

(1) المناقب للخوارزمي ص184 وتذكرة الخواص ص99.

(2) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص151.

(3) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص147 وفي هامشه عن: المناقب لابن شهر آشوب ج1 ص267 وعن البداية والنهاية ج7 ص276 و 281 وعن تاريخ اليعقوبي ج2 ص167 ومستدرك الحاكم ج2 ص150 وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) ولم يذكر العبارة الأخيرة.

وحسب نص آخر: «أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» معه»[1].

وفي رواية: «جئتكم من عند صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه. وأعلمنا بربه، وسنة نبيه، من عند المهاجرين والأنصار»[2].

وحين رجع أبو قتادة إلى المدينة، بعد فراغهم من أهل النهروان، كان معه ستون، أو سبعون من الأنصار، قال:

«فبدأ بعائشة. قال أبو قتادة: فلما دخلت عليها قالت: ما وراءك؟

فأخبرتها: أنه لما تفرقت المحكّمة من عسكر المؤمنين لحقناهم، فقتلناهم.

فقالت: ما كان معك من الوفد غيرك؟!.

قلت: بلى، ستون، أو سبعون.

قالت: أفكلهم يقول مثل الذي تقول؟.

قلت: نعم.

---

(1) مجمع الزوائد ج6 ص240 عن الطبراني وأحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح.

(2) الكامل في الأدب ج3 ص211 وراجع: نور الأبصار ص98 والفصول المهمة لابن الصباغ ص84 وبهج الصباغة ج7 ص171 والعقد الفريد ج3 ص389.

قالت: قص علي القصة الخ..»[1].

قوة موقف علي عليه السلام:

وعلى كل حال.. فان مكانة علي، والتفاف صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حوله، قد جعل أعداءه «عليه السلام» يواجهون صعوبات كبيرة في إقناع الناس، بأن يدخلوا معهم في حربهم الظالمة له، أو اقناعهم بمعذوريتهم في موقفهم على الأقل.

ويزيد هذا الأمر صعوبة: السلوك المتميز لحكومة أمير المؤمنين «عليه السلام» في فترة مليئة بالأحداث، زاخرة بالمشكلات، حيث أصبح واضحاً لدى العدو والصديق: أنها المثال، الكامل لحكومة الحق والعدل، والخير، وأنها لا مجال فيها للخدع والمساومات، ولا موضع فيها للكيد السياسي. وذلك من شأنه أن يسّهل على الناس، فهم حقيقة موقف أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومدى ما يتعرض له من تجنٍ وظلم من قبل أعدائه ومناوئيه، من الخوارج وغيرهم.

كما أن الناس قد رأوا بأم أعينهم: أنه «عليه السلام» لم يعط خصومه أي امتياز، إلا وفق ما تقتضيه وتفرضه شرائع الدين وأحكامه.

ومما يشير أيضاً إلى فشل الخوارج في إحداث خلل حقيقي في نظرة الناس إلى علي «عليه السلام», وثقتهم بعلمه وصدقه: أن معقل

---

(1) تاريخ بغداد ج1 ص160 وتذكرة الخواص ص104 و 105 وبهج الصباغة ج7 ص188 و 120.

بن قيس قال للخريت بن راشد حينما واقفه:

«خبّرني: لو أنك خرجت حاجاً، فقتلت شيئاً من الصيد، مما قد نهى الله عز وجل عنه. ثم أتيت علياً فاستفتيته في ذلك، فأفتاك. هل كان عندك رضى؟!.

فقال: بلى، لعمري، إنه عندي لرضا. وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أقضاكم علي.

فقال له معقل بن قيس: فكيف ترضى به في علمه، ولا ترضى به فيما حكم؟!.

فقال: لأني لا أعلم أحداً من الناس حكّم في شيء هو له.

فقال: يا هذا، إن الذي لا تعلمه أنت هو أكثر من الذي علمته. إنا وجدنا علياً يحكم في جميع ما اختلفنا فيه، وقد رضينا بحكمه، فاتق الله الخ»(1).

شك الخوارج في صوابية موقفهم:

بل إن الخوارج أنفسهم قد كانوا في شك كبير من صوابية وصحة موقفهم منه صلوات الله وسلامه عليه. وقد أظهروا هذا الشك في أكثر من مورد ومناسبة.

ومن أمثلة ذلك، ما يذكرونه من انه حينما طلب ابن ملجم من شبيب بن بجرة مساعدته في قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» قال له شبيب ـ وهو من الخوارج ـ:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص77.

«ويحك، لو كان غير علي كان أهون علي. قد عرفنا بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي «صلى الله عليه وآله» , وما أجدني انشرح لهذا الخ..»[1].

وقد حدثنا علي أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه عن شكهم في صحة ما هم عليه، حينما سمع «عليه السلام» رجلاً من الخوارج يتهجد ويقرأ فقال «عليه السلام»: «نوم على يقين خير من صلاة في شك»[2].

كما أن فروة بن نوفل الأشجعي قد انصرف عن حرب علي «عليه السلام» في النهروان، لأن الأمر كان ملتبساً عليه، كما يدل عليه قوله: «والله ما أدري على أي شيء نقاتل علياً، إلا أن انصرف حتى تنفذ بصيرتي في قتاله أو اتباعه»[3].

ويكفي أن نذكر: أن فرقة الخازمية من الخوارج ـ وهم أصحاب خازم بن علي ـ يتوقفون في أمر علي «عليه السلام»، ولا يصرحون

---

(1) كشف الغمة ج2 ص56 و 57 وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص117 وذخائر العقبى ص114 والمناقب للخوارزمي ص276 والرياض النضرة ج3 ص235 والبداية والنهاية ج7 ص327.

(2) تذكرة الخواص ص105 وبهج الصباغة ج7 ص166 ونهج البلاغة قسم الحكم ج3 ص172.

(3) الكامل لابن الأثير ج3 ص346 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص64 وبهج الصباغة ج7 ص168 عنه.

بالبراءة عنه، ويصرحون بذلك في حق غيره[1].

مع أن أصل ظهور الخوارج كان هو الخلاف عليه صلوات الله وسلامه عليه!!.

هذا وقد «كان الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد وليس براسب بن جرم بن دبان، وليس في العرب غيرهما. فلما نزل علي «عليه السلام»: تفرقوا، فبقي منهم ألف وثمان ومئة.

وقيل: ألف وخمسمائة، فقتلوا إلا نفراً يسيراً.

وكان سبب تفرق الخوارج عنه: أنهم تنازعوا عند الاحاطة بهم فقالوا: أسرعوا الروحة إلى الجنة.

فقال عبد الله بن وهب: ولعلها إلى النار.

فقال من فارقه: ترانا نقاتل مع رجل شاك. ففارقوه»[2].

وفي نص آخر: «أن عبد الله بن وهب الراسبي سمع رجلاً يقول: حبذا الروحة إلى الجنة فقال: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار»[3]

---

(1) الملل والنحل ج1 ص131.

(2) معجم الأدباء ج5 ص264 وراجع: التنبيه والإشراف ص257 وشرح عقيدة التوحيد ص84 وبهج الصباغة ج7 ص168 عن الخطيب، وراجع الكامل في الأدب ج3 ص187 وفيه أن الذين أصيبوا كانوا ألفين وثمان مئة.

(3) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص272 و 273 والعقود الفضية ص64 وأنساب الأشراف ج2 ص271 (بتحقيق المحمودي) وشرح عقيدة

وقد حاول بعض الخوارج الاعتذار عن الراسبي، فقال: «وإنما قال ذلك، لأن الرجل أزرقي يحل الدم والمال بالذنب، ولأنه بدأ القتال»

إلى أن قال: «كان أصحابنا والأزارقة جنداً واحداً، ولما ظهر القول بإباحة الدم، والمال، فارقهم أصحابنا، كابن وهب»[1].

ولكن من أين علم أن ذلك الرجل كان أزرقيا؟ ومن أين علم أن ذلك الرجل قد بدأ القتال؟!

وعلى كل حال، فقد قال ابن الطقطقا: «أما الخوارج فذهبت طائفة منهم قبل ان تنشب الحرب، وقالوا: والله ما ندري على أي شيء نقاتل علي بن أبي طالب، سنأخذ ناحية حتى ننظر إلى ماذا يؤول الأمر»[2].

ومما يدل على أنهم كانوا شاكين في قتال علي «عليه السلام»، قولهم: «قد جاء الآن ما لا شك فيه»، وذلك حينما تولى معاوية الحكم، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

كما أن أحدهم، وهو صخر بن عروة يقول: «إني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لسابقته وقرابته، فأما الآن فلا يسعني إلا الخروج»[3].

التوحيد ص84، والكامل في الأدب ج3 ص187.

(1) شرح عقيدة التوحيد ص84.

(2) الفخري في الآداب السلطانية ص95.

(3) الكامل للمبرد ج3 ص276.

وأيضاً.. فإن الذين اعتزلوا إخوانهم في النهروان قد اعتذروا بأنه ليس لهم في قتل علي «عليه السلام» حجة[1].

وقد قال رجل لأبي عبد الله «عليه السلام»: «الخوارج شكاك؟

فقال: نعم.

قال: فقال بعض أصحابه: كيف وهم يدعون إلى البراز.

قال: ذلك مما يجدون في أنفسهم»[2].

إذن.. فالحقد هو السبب في إقدامهم على الحرب، وليس هو الاعتقاد والقناعة، وقد ذكرنا أنهم في حربهم له «عليه السلام» انما انقادوا لهواهم فوقعوا في اللبس والخطأ.

---

(1) الأخبار الطوال ص210 والكامل لابن الأثير ج3 ص346.

(2) تهذيب الأحكام للطوسي ج6 ص145 وبهج الصباغة ج7 ص168 عنه والوسائل ج11 ص60.

الفصل الرابع:

لا تقتلوا الخوارج بعدي

لا تقتلوا الخوارج بعدي:

وبعد.. فإننا في نفس الوقت الذي نجد فيه أمير المؤمنين «عليه السلام» يحارب الخوارج، ويستأصل شأفتهم في واقعة النهروان، وغيرها من الوقائع..

ونجده أيضاً يأمر أصحابه بقتل كل من دعا إلى شعارهم، حتى ليقول: «إياكم الفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، إلا من دعا إلى هذا الشعار، فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه يرد[1] شعار الخوارج»[2].

نراه في مقابل ذلك ينهى عن قتال الخوارج بعده، فيقول:

«لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه، أو فأدركه»[3].

---

(1) الظاهر: يريد

(2) ربيع الابرار ج2 ص140.

(3) نهج البلاغة، بشرح عبده، الخطبة رقم58 وشرح النهج للمعتزلي ج5 ص98 والعقود الفضية ص41 و 63 وفجر الاسلام ص263 والبحار ط قديم ج8 ص572 وسفينة البحار ج1 ص384.

وسيأتي أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد قال ذلك لمعاوية..

ثم أخذه عمر بن عبد العزيز فخاطب به بعض الخوارج أيضاً.

وعلى كل حال، فإنه «عليه السلام» قد أوضح مراده من هذا النهي في نصوص أخرى، فقد روي عنه «عليه السلام» أنه سمع رجلاً يسب الخوارج، فقال: «لا تسبوا الخوارج.. إن كانوا خالفوا إماماً عادلاً أو جماعة، فقاتلوهم، فإنكم تؤجرون في ذلك، وإن خالفوا إماماً جائراً، فلا تقاتلوهم، فإن لهم بذلك مقالاً»(1).

وفي نص آخر: «أما إذا خرجوا على إمام هدى فسبوهم، وأما إذا خرجوا على إمام ضلالة، فلا تسبوهم، فإن لهم بذلك مقالاً»(2).

وتفصيل الكلام فيما نفهمه من اسباب نهيه «عليه السلام» عن حربهم، على النحو التالي:

أهداف علي عليه السلام في قتال الخوارج:

إن من الواضح: أن علياً «عليه السلام» قد واجه الخوارج بالحرب، بعد أن خرجوا على امامهم، ونقضوا البيعة، وأفسدوا في

---

(1) راجع: كنز العمال ج11 ص39 عن خشيش في الاستقامة، وابن جرير. والتهذيب للشيخ الطوسي ج6 ص145 ومصادر نهج البلاغة ج2 ص40 عنه وعلل الشرايع ص218 والبحار ط قديم ج8 ص581 والوسائل ج11 ص60.

(2) كنز العمال ج11 ص310 عن ابن جرير و 309 عنه وعن خشيش في الاستقامة.

الأرض، وأخافوا السبيل، وبدأوه بالقتال. فأقام عليهم الحجة، ثم قاتلهم. وكان قتاله «عليه السلام» لهم يهدف إلى عدة أمور، نذكر منها:

1 ـ دفع غائلة افسادهم في الارض، وتعديهم على الحرمات، ومنعهم من ارتكاب الجرائم والموبقات، وإشاعة حالة الأمن والسلام في الأمة..

2 ـ إعلان انحرافهم لكل احد، ومجانبتهم للحق، واصرارهم على الباطل، بهدف تحصين الناس من ضلالاتهم.. ومن الوقوع في حبائل مكرهم، أو من التأثر بشعاراتهم.

3 ـ إنه لا بد للامام من أن يحفظ الحكومة الإلهية، والنظام العادل، وان يدافع عنه حين يتعرض للتهديد، لأنه أمانة الله سبحانه بيده، ولا يحق له التفريط فيه وتمكين أهل الضلال والانحراف والظالمين منه، في أي من الظروف والأحوال.

4 ـ إنه لا بد من مجازاة الناكث لبيعته، والمفرط بعهده والناقض لميثاقه. فإن بذلك تستقيم الحياة، وتحفظ مصالح العباد، ويشيع الأمن والسلام، والنظام في البلاد..

قتال الخوارج دفاع عن الأمويين:

وقد كان علي «عليه السلام» يعلم بأن الخوارج لن يمكنهم الامساك بأزمة حكم قادر على البقاء، وسيكون قتالهم بمثابة الدفاع عن الحكم الأموي، وتأكيد سلطانه، فلماذا اذن تهدر الطاقات، ويقتل المؤمنون الخلّص، والصفوة الأبرار في قتال لا ينتج إلا ترسيخ حكم

الجبارين، الذي لا بد من زعزعة أركانه وتقويض دعائمه، وهو القضية الكبرى والأساس؟!.

نعم.. إن الخوارج بعده «عليه السلام» سيقاتلون الأمويين الذين هم اشد خطراً على الإسلام والأمة من الخوارج.. فقتالهم ـ والحالة هذه ـ إنما يعني الدفاع عن الحكم الاموي البغيض، ومساعدته على احكام قبضته على ازمة الأمور، ولم يكن ذلك من مصلحة الدين والأمة بحال.

الأمويون أخطر من الخوارج:

وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى خطر الأمويين، فقال: «إلا ان أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة، عمت خطتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها.

وأيم الله، لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء، كالناب الضروس، تعذم بفيها، وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درها.. لايزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه. ترد فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعاً جاهلية. ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى»[1].

---

(1) نهج البلاغة (بشرح محمد عبده) ج1 ص183 و 184 الخطبة رقم 89 والبحار ط حجرية ج8 ص558 والغارات ج1 ص10 وما بعدها. وتقدمت

وحينما طلبوا منه «عليه السلام» المسير إلى الخوارج قال مرغباً لهم بالمسير إلى أهل الشام: «سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباد الله خولاً»(1).

وقال «عليه السلام» في نفس هذه المناسبة أيضاً: «قاتلوا الخاطئين، الضالين، القاسطين، الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام. والله، لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل»(2).

ويلاحظ: انه «عليه السلام» قد قال هذا الكلام بعد اشارته لفتنة الخوارج التي ماج غيهبها، واشتد كلبها، وفقأ هو عينها، على حد تعبيره «عليه السلام»..

وليراجع كذلك ما قاله «عليه السلام» في نهج البلاغة، شرح عبده، الخطبة رقم 94.

وقد وصف أبو حمزة الخارجي بني أمية بأنهم: «فرقة ضلالة، بطشهم بطش جبرية، يأخذون بالظنة، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها، ويضعونها في غير أهلها»(3).

إذن.. فالخوارج رغم كل جرائمهم وموبقاتهم، وشدة انحرافهم هم

مصادر اخرى لهذا النص، فلتراجع.

(1) الكامل في التاريخ ج3 ص341.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص339.

(3) الأغاني ج20 ص105 - 108 والبيان والتبيين ج2 ص124.

أولى بالحق من الأمويين، كما قال علي «عليه السلام» بعد فراغه من النهروان: «لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه»[1].

وأعظم من ذلك كله، وأدهى وأمر: انهم ـ أعني الأمويين ـ قد تصرفوا في عقائد المسلمين، وتلاعبوا بها، حسبما رأوا أنه يخدم مصالحهم، ويوافق أهواءهم.

فأدخلوا فكرة الجبر في عقائد المسلمين ـ باسم عقيدة القدر، وغلوا فيه، وجعلوه هو التوحيد الخالص. الأمر الذي نتج عنه أن لم يعد الإنسان يشعر بمسؤولية أعماله السيئة، وتلاشت قيمة الدين والتدين في النفوس.

وكما أن أولئك الذين كانوا مقربين من الحكم والحاكمين من علماء أهل الكتاب، وتلامذتهم ومن أمثال: كعب الاحبار، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابي هريرة، وتميم الداري، ونظرائهم، قد ادخلوا في الدين الكثير من عقائد اهل الكتاب الفاسدة والمشينة. ومنها عقيدة التجسيم الإلهي، فسلبوا الناس بذلك البصيرة في الدين، وتبلبلت العقول، وعميت المذاهب، وأصبح الإنسان المسلم يجد أمامه الكثير من المتناقضات، والأمور اللامعقولة واللامفهومة، فيما زعم انه من الحديث النبوي.

الأمر الذي جعل أعمق الإيمان عندهم هو دين العجائز، حتى صار الأكابر يوصون به الأصاغر، فيقولون: عليكم بدين العجائز.

ورووا عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «إذا اختلفت أمتي

(1) تهذيب الاحكام للطوسي ج6 ص144 ووسائل الشيعة ج11 ص60.

في الأهواء، فعليكم بدين الأعراب».

هذا كله، عدا عن أنهم بهدف إبعاد علي «عليه السلام» وولده عن مقام الخلافة قد أظهروا الغلو الفاحش في شأن الخلفاء الثلاثة، حتى جعلوا عقيدة إمامتهم وخلافتهم جزءاً من الدين، بل ومن أعظم أركانه، وربما صار الاعتقاد بها أزيد من اعتقاد الشيعة بعلي وسائر الأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام.

وقد كان ذلك قبل عهد معاوية، فإن عمرو بن العاص قد جعل الاعتقاد بخلافة الشيخين تلو عقيدة التوحيد والنبوة في نفس مجلس التحكيم(1) فراجع.

الخوارج أقل خطراً.. لماذا؟:

أما دعوة الخوارج، فلم يكن لها ذلك الخطر وذلك لما يلي:

ألف: الخوارج أعراب:

إن الخوارج كانوا عموماً أعراباً جفاةً، ولم يكن لديهم ثقافة ومعرفة متميزة، بحيث يشكلون معها خطراً على الدين بشبهاتهم وانحرافاتهم.

ب: دعوة الخوارج بعيدة عن الفطرة:

إن دعوتهم لم تكن تنسجم مع الفطرة، ولا تتقبلها العقول، بل ربما

---

(1) كنز العمال ج11 ص131 عن ابن سعد، عن ابن عمرو.

تستهوي بعض شعاراتهم بعض البسطاء والسذج لبعض الوقت، ثم لا تلبث ان تنحسر، وتتلاشى بمجرد عودة الإنسان إلى فطرته، والاستسلام للعقل السليم، والفكر المستقيم، ولاسيما إذا لاحظنا حدتهم في التعامل مع غيرهم ـ كما المحنا إليه غير مرة.

إلى جانب ذلك طبيعة تعاليمهم الدينية، وكمثال على ذلك نذكر أن فرقة الأزارقة بزعامة نافع بن الأزرق قد كانت أكبر وأعظم فرقهم، إذ كان مع نافع عشرة من أمراء الخوارج، بينما لم يكن مع النجدات سوى أميرين، أما سائر الفرق، فواحد، أو بدونه[1].

ولم تكن فرقة قط أكثر عدداً، ولا أشد منهم شوكة[2]، وقد استولوا على الاهواز، وما وراءها من ارض فارس وكرمان، وجبوا خراجها[3].

ونحن نجد هؤلاء يقولون بكفر جميع ما عداهم، ولا يحق لأصحابهم المؤمنين أن يجيبوا احداً من غيرهم إلى الصلاة إذا دعا إليها، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم، ولا ان يتزوجوا منهم، ولا يتوارث الخارجي وغيره. ويكون الغير مثل كفار العرب، وعبدة الأوثان، لا يقبل منهم الا الإسلام أو السيف، ودارهم دار حرب، ويحل قتل

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج2 ص154.

(2) الفرق بين الفرق ص83 وهامش الملل والنحل ج1 ص118 و 119.

(3) الملل والنحل ج1 ص119 وشرح النهج لابن ميثم ج2 ص154 والفرق بين الفرق ص85 وراجع ص63 وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج4 ص147، وغير ذلك.

اطفالهم ونسائهم. ويحل الغدر بمن خالفهم، وكذا القعدة عن القتال مع قدرتهم، ولو كان هؤلاء القعدة على مذهبهم. ولا يجيزون التقية.

ويجوز عندهم ان يبعث الله نبياً يعلم انه يكفر بعد نبوته..

الى غير ذلك من أمور ذكرها المؤلفون في الملل والنحل فراجعها ان شئت[1].

واللافت: أن نجدة الحروري قد اعترض على ابن الأزرق، لما بلغه استعراض نافع للناس، وقتله للاطفال، واستحلاله الأمانة، فكتب إليه رسالة ينعى عليه قوله هذا، ويبين له خطأه فيه، ومخالفته لصريح القرآن في ذلك[2].

وقد ذكرنا في فصل زهد الخوارج: أن قطري بن الفجاءة ارسل الخوارج الذين جاءوا من كرمان وفارس ـ أرسلهم ـ مع صالح بن مخراق، وسعد الطلائع لمحاربة عبد العزيز، اخي المهلب، فهزموه «فسبوا النساء يومئذٍ، وأخذوا أسرى لا تحصى. فقذفوهم في غار بعد

---

(1) راجع: الملل والنحل ج1 ص121 و 122 وتلبيس إبليس ص95 وتهذيب تاريخ دمشق ج4 ص147 وشرح النهج للمعتزلي ج4 ص136 و 138 وفجر الاسلام ص260 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص145 والعقد الفريد ج1 ص223 وراجع: الكامل في التاريخ ج4 ص168 والإباضية عقيدةً ومذهباً ص28 و 29 و 34 والخوارج عقيدةً وفكراً وفلسفةً ص70 و 71 و 72 وراجع: تاريخ المذاهب الاسلامية ج1 ص81.

(2) العقد الفريد ج2 ص396 و 397.

أن شدوهم وثاقاً، ثم سدوا عليهم بابه، حتى ماتوا فيه»[1].

وعن طباع الخوارج، ومعاملتهم حتى لأقرب الناس إليهم نذكر: أن عيال وابناء قطري بن الفجاءة كانوا في منزل جرموز المازني، وكان يمونهم، وينفق عليهم، فطلب جرموز من قطري بن الفجاءة الذي كان يشتري السيف بعشرين الف درهم ان يبعث إليه ابناءه يجيرهم، ويعينهم.

فقال له قطري: انه إن بعث إليه بهم ضرب أعناقهم، وبعث إليه برؤوسهم.

فتعجب جرموز من هذه المفارقة.. حيث إنه هو يمون عيال قطري، ويغذيهم، وقطري يريد أن يذبح له ابناءه، ويرسل إليه برووسهم.

فقال له قطري: «إن الذي صنعت بعيالي تراه في دينك، وإن الذي أصنعه بعيالك شيء اراه في ديني»[2].

وقال المسعودي: «ظهر من فعل صاحب الزنج تصديق ما رمي به، من كونه على رأي الخوارج، من قتله النساء، والأطفال، والشيخ الفاني»[3].

ومن ذلك كله.. تعرف السر في عدم تمامية امرهم.. بالإضافة إلى أسباب أخرى، ستأتي الإشارة إليها في ضمن الفصول الآتية، إن شاء الله

---

(1) الكامل للمبرد ج3 ص355 والخوارج في العصر الأموي ص154 عنه.

(2) البرصان والعرجان ص67.

(3) بهج الصباغة ج7 ص166 عن مروج الذهب.

تعالى.

كما أن مما ذكرناه ونذكره، يتضح عدم صحة ما قاله ابن خلدون: من أنه «لم يتم أمرهم، لمزاحمتهم العصبية القومية»[1].

بل الحقيقة هي: أن طريقة بني أمية، تستهوي النفوس البشرية الضعيفة أكثر من طريقة الخوارج، لأنهم يدعون إلى الدنيا، وإلى زبارجها، وبهارجها، التي ينساق إليها الناس بغرائزهم، وتنسجم مع هوى نفوسهم.

ج: محدودية مطامع الخوارج:

إن الخوارج، وإن كانوا على ضلال، إلا أنهم كانوا ـ دون شك أقل سوءاً من الأمويين. لأنهم يقاتلون من أجل هدف يرونه ديناً مقدساً، فهم وان أخطأوا الطريق من حيث إنهم لم يقاتلوا بني أمية مع امام حق. بل لقد حاربوا الإمام المنصوب من قبل الله تعالى، ورفضوا الانقياد له، لكنهم محقون في سعيهم لإزالة حكم الجبارين، فهم قد طلبوا حقاً فوقعوا في الباطل، وأرادوا صواباً فتاهوا في الضلال والفساد، من حيث معاداتهم الإمام المنصوب، وعدم انقيادهم له أو انضوائهم تحت لوائه.

أما بنو أمية فانهم قد طلبوا الخلافة فأدركوها وهم ليسوا من أهلها بل هم يعلمون أنهم يطلبون ما ليس لهم بحق، مع خبث نفوسهم، وشدة ظلمهم وفجورهم..

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص69 وقضايا في التاريخ الاسلامي ص38.

هذا بالإضافة إلى: أن هدم أساس الإسلام، وطمس معالم الدين كان من أهدافهم، ومن الأولويات لهم في سياساتهم..

ولم يكن هذا الأمر هدفاً صريحاً مباشراً للخوارج، وإن كانت مواقفهم وممارساتهم وأقاويلهم وأباطيلهم الناشئة عن الجهل والهوى، تؤدي إلى ذلك، وتنتهي إليه، وسيأتي توضيح ذلك تحت عنوان: مقارنة بين بني أمية والخوارج..

وعلى كل حال، فانهم وإن كانوا يسعون للحصول على شيء من حطام الدنيا، فإن ما يطلبونه في الغالب كان من الأمور الحقيرة والصغيرة، ولم تكن ثمة طموحات كبيرة الا لدى الرؤساء، الذين كانوا يسعون إلى السلطة، كما تدل عليه بعض النصوص التي سجلها التاريخ عن بعض اولئك الزعماء، وفي حربهم لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد زين لهم الشيطان: أنهم ظاهرون..

د: تصلب الخوارج ضد علي عليه السلام:

إن ما كان يبدو عليهم من تصلب في المواقف ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنما كان بسبب ما كانوا يجدونه في أنفسهم من حنق وحقد، كما عن الإمام الصادق «عليه السلام».

ولعل ذلك يرجع إلى أنهم لم يجدوا معه «عليه السلام» مجالاً لتحقيق كثير من المآرب التي كانوا يطمحون إلى تحقيقها، حتى انهم في حرب الجمل لم يتمكنوا من الحصول على السبايا بسببه «عليه السلام»، فأعلنوا عن سخطهم، وعدم رضاهم، كما ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب.

ه: ما يؤثر في اتخاذ مواقفهم:

إن مفاهيمهم الجاهلية، وعصبياتهم القبلية، ومصالحهم الشخصية وان لم تكن بعيدة عن التاثير في اتخاذهم لمواقفهم، إلا أنها كانت ملبسة بلباس الدين، ومبررة به، فقد كانوا مصداقاً بارزاً لقوله تعالى: **(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)**[(1)]»[(2)]. كما نصّ عليه سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

ونسب ابن كثير إلى بعض السلف تطبيق هذه الآية على الخوارج، واستحسن ذلك[(3)].

فالخوارج إذن.. يرتكبون أبشع الجرائم باسم الدين، وتحت شعار الطاعة لله، والانقياد له تعالى..

فلم يكن ثمة إعلان منهم بالجرأة على مقام العزة الالهية، وهتك لحرمة مقام الربوبية.. كما هو حال بني أمية، الذين كانوا يرتكبون

---

(1) الآيتان 3 و 4 من سورة الكهف.

(2) كشف الغمة ج1 ص266 والمناقب لابن شهر آشوب ج3 ص187 ومناقب الامام علي لابن المغازلي ص58 و 59 وفي هامشه عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص206 وج2 ص278 وعن الكامل في الادب وعن الدر المنثور ج3 ص253 عن الفريابي، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وراجع: نظم درر السمطين ص127 والثقات ج2 ص296 والفتوح لابن اعثم ج4 ص127.

(3) البداية والنهاية ج7 ص286.

أعظم من ذلك، ثم يزيدون في الطنبور نغمة حين يجهرون بالاستهتار، ويعلنون بالجرأة على الله سبحانه، وتحدي مقام عزته وجبروته..

فنهج بني أمية إذن أعظم شراً، وأشد خطراً، لأنه يجعل الكفر والجريمة نهجاً للأمة، وسبيلاً ترتضيه، دون أن تشعر بالهيبة الالهية، وأن تخشى بطش ديان الدين.. ولا تبقى أيضاً أية فرصة لإعادة الأمور إلى نصابها، حيث إن الناس لا يخافون الله، ولا يهتمون لأوامره وزواجره، ليمكن بذل المحاولة عن هذا السبيل.

أما الخوارج.. فانهم رغم كل موبقاتهم لا يزالون يعلنون أنهم يلتزمون بالدين، ويقبلون بأحكامه.. فيمكن للناس إذن أن يحتجوا عليهم بالدين، وان يأخذوهم بالوقوف عنده، والانتهاء إليه..

فهم لم يوصدوا الباب بصورة نهائية. بل لا يزال هناك منفذ يمكن الاستفادة منه لتعريف الناس على الحق، وهدايتهم إليه، وحملهم على الالتزام به.

و: المغرورون بشعارات الخوارج:

كما انه قد كان من الطبيعي ان يوجد العديد من الناس الذين يغترون بشعارات الخوارج البراقة، فيخلصون في مواقفهم، ويستميتون من أجلها، وإن لم يكن لهؤلاء مواقع قيادية بارزة، أو تأثير ظاهر في القرارات، التي كانت تتخذ بصورة عامة..

ز: مقارنة بين بني أمية والخوارج:

إن بني أمية كانوا يعرفون الحق، ويحاربونه استكباراً، وظلماً وعلوا، وعن سابق تصميم وتخطيط.. وقد طلبوا الباطل المتمثل بالملك والسلطة والدين، من دون كلل اوملل، فادركوا ما طلبوا، وأرادوا الدنيا، ونيل شهواتها، والفساد والافساد فيها، فحصلوا على ما ارادوا. مع ما هم عليه من خبث نفوس، ومن ظلم لا يضاهى، وفجور لا يجارى، وبذل جهد في طمس الحق.

أما الخوارج.. فإنهم حين قاتلوا أمير المؤمنين «عليه السلام» إنما أرادوا الدنيا، وأملوا بالحصول على بعض حطامها، وزين لهم الشيطان أنهم ظاهرون.

وقد أوقعهم في ذلك غرورهم الذي أرداهم، وطيشهم وقلة عقولهم، وجهلهم الذريع الذي يسّر دخول الشبهة عليهم حيث تمكنت في نفوسهم، ووقعوا في الشك والريب، فهم حين أرادوا أن يقيسوا مواقفهم على نصوص الدين ليعرفوا الحق اختلطت عليهم الأمور ـ بسبب طيشهم، ورعونتهم وجهلهم، وانقيادهم لأهوائهم ـ فوقعوا في الباطل.

ولكنهم حين تصدوا لقتال الأمويين لم يكن لديهم اي شك وشبهة، بل قاتلوهم عن تدين واعتقاد منهم بظلم الأمويين وفسادهم، ووجوب حربهم، وإن كانوا أيضاً قد أحبوا الحصول على حطام الدنيا من وراء قيامهم بهذا الواجب، الذي يعتقدونه، ولكن قد كان عليهم أن يقاتلوهم مع إمام عادل، وبأمره.

والخوارج قد تمردوا على امام الحق، وحاربوه وقاتلوه. فهم قد

أصابوا في التصدي لحكم الجبارين، ولكنهم أخطأوا في حربهم لإمامهم، وفي التصدي لذلك بدون أمره وقيادته..

ومن الواضح: أن من يريد الصلاح، يكون افضل من الذي لا يريده. بل يريد الفساد، ومن يطلب الحق فيخطئه ويقع في الباطل، والشك، فانه افضل من ذلك الذي لا يطلب الا الباطل عن سابق علم وتخطيط واصرار، ثم هو يحاول اطفاء نور الله، وتكريس باطله بكل ما اوتى من قوة وحول.

وليس أدل على ذلك من: أن حكم الأمويين الذي كرسه لهم معاوية قد بدأ باكذوبة فاضحة هي أنه اعتل اولاً بالطلب بدم عثمان، مع أن ولي دم عثمان ليس معاوية وإنما هم أولاد عثمان.

أضف إلى ذلك: أنه لا يحق لهم الطلب بدمه بطريقة نصب الحرب لولي الامر، ثم ارتكاب المجازر الهائلة التي حصدت عشرات الألوف من المسلمين، ثم استمر حكم الجبارين الذين يريدون جعل مال الله دولاً، واتخاذ عباده خولا.

وعلى كل حال، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أشار إلى ذلك حينما قال حسبما تقدم: «لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه».

كما أن الإمام الحسن عليه الصلاة والسلام قد واجه معاوية بنفس هذا الكلام، حينما طلب منه معاوية ان يتولى حرب الخوارج، فأسكته[1].

---

(1) علل الشرايع ص218.

وقال لهم عمر بن عبد العزيز: «إني قد علمت أنكم لن تتركوا الأهل والعشائر، وتعرضتم للقتل والقتال إلا وأنتم ترون أنكم مصيبون، ولكنكم اخطأتم وضللتم، وتركتم الحق»[1].

والنص الآخر المروي عن عمر بن عبد العزيز، أنه قال لبعض الخوارج: «اني قد علمت: انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أو متاع، ولكنكم اردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها»[2].

فلا نوافق على قوله: انهم لم يطلبوا الدنيا. اذ انهم كانوا يطلبونها.. ولكنهم أيضاً كانوا يطلبون الحق فأخطأوه.

وأصرح من ذلك: ما جاء من أنه «عليه السلام» «بلغه: أن الناس يرون تقديم الخوارج (أي في القتال) فقال لهم: إن قتال أهل الشام أهم علينا، لأنهم يقاتلوكم ليكونوا ملوكاً جبارين، ويتخذون عباداً لله خولاً..»[3].

وعلى حد تعبير ابن قتيبة: «إلا أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً

---

(1) جامع بيان العلم ج2 ص129.

(2) العيون والحدائق ص44، وتاريخ ابن خلدون ج3 ص162 وفجر الاسلام ص263. ومروج الذهب ج3 ص191 والعقد الفريد ج2 ص401.

(3) تاريخ ابن خلدون ج2 قسم2 ص180 وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص59 والكامل لابن الاثير ج3 ص341.

الخ..»[1].

وقد كان أنصارهم أهل الشام، الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه لسلام بقوله: «أعراب، وأحزاب، وأهل طمع، جفاة طغام، تجمعوا من كل أوب، ممن ينبغي أن يؤدب ويولى عليه، ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين بإحسان»[2].

ح: عدل الخوارج وتحرّيهم للحق:

قد تقدم: أن الخوارج كانوا ـ في الظاهر ـ من العباد والزهاد، والمتصلبين في الحق، حتى أصبحوا لدى الناس، الذين لا يفقهون من الأمور إلا ظواهرها، مضرب المثل في العدل، وتحري الحق.. حتى ليقول ابن حزم، عن عنبسة بن اسحاق، الذي ولي مصر في زمن المتوكل أربع سنين:

«..وكان يتهم بمذهب الخوارج، لشدة عدله، وتحريه للحق، وهو آخر عربي ولي مصر»[3].

إذن.. فلم يكن ليجترئ على حربهم غير أمير المؤمنين «عليه السلام».. وكل من يتصدى لحربهم سواه لربما لا يستطيع ان يدافع عن نفسه كثيراً، ولاسيما إذا كان الإعلام الموجه من قبل اجهزة

---

(1) الامامة والسياسة ج1 ص145 وقريب منه في مروج الذهب ج2 ص404 والنصائح الكافية ص26 والفصول المهمة لابن الصباغ ص91.

(2) الامامة والسياسة ج1 ص156.

(3) جمهرة انساب العرب ص204.

الحكم سيكون ضده، وسيسعى لضربه وإسقاطه عن هذا الطريق.

أما إذا كان من يتصدى لحربهم هم أهل البيت وشيعتهم، فان الاعلام الاموي الخبيث والزبيري الحاقد المسموم سوف لا يدخر وسعاً، ولا يألوا جهداً في سبيل توجيه الضربات الماحقة لهم، ولكل ما يتصل بهم من قريب أو من بعيد..

كما أن العراق الميال لعلي «عليه السلام»، وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم سينشغل بقضية لن تكون نتائجها الا تمزق اوصاله، واهتزاز وزعزعة ثباته، الامر الذي يقلل من فرص اجتياح المد الشيعي على شكل تعاطف ومحبة وولاء لأهل البيت «عليهم السلام» لمناطق اخرى تقع في نطاق اهتمامات الحكم الاموي البغيض..

أضف إلى ذلك: أن تولي هؤلاء لحرب الخوارج معناه: ان يتحملوا هم آثار الحرب ويعانون من ويلاتها، ويبتلون بمخلفاتها غير المرغوب فيها، ولا سيما على الصعيد المعيشي والاجتماعي، وعلى صعيد العلاقات، والابتلاء بالأحقاد التي تنشأ عن سفك الدماء عادة..

إلى آخر ما تقدمت الإشارة إليه، ولا داعي لاعادته..

ط: حرب الشيعة للخوارج قضاء على الشيعة:

لقد كان الشيعة قلة ومضطهدين من قبل الحكم الاموي، ولم يكن لهم حكومة مركزية تحميهم وتدفع عنهم، فتكليفهم بقتال الخوارج معناه المزيد من اضعافهم هم والخوارج على حد سواء، مع ما سينشأ من ترات وتمزقات ثم من عقد اجتماعية ومشكلات انسانية تشغل كل

فريق بنفسه، أما الحكم الأموي فتبقى أموره متسعة، مع احتفاظه بكامل قواه، في مقابل خصمين انهكت قواهما حروبهما مع بعضهما البعض، من دون ان يكلفه ذلك شيئاً. حتى إذا وجد الحكم الأموي فرصة فإنه سيسهل عليه القضاء على كل منهما وعلى كليهما بيسر وسهولة، وشراسة وقسوة.

وبديهي: أن الحفاظ على الشيعة اهم وافضل بكثير من القضاء عليهم وعلى الخوارج، مع بقاء الحكم الاموي محتفظاً بكل قواه، يتحكم بمقدرات الأمة، ويسومها الخسف والذل والهوان.

ي: الشيعة حاربوا الخوارج بعد علي عليه السلام:

ومع ذلك.. فلربما يستظهر من كلام المهلب المتقدم: «فقاتلوهم على ما قاتلهم عليه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه» هو أن أقواماً من الشيعة كانوا ربما شاركوا في قتال الخوارج أيضاً بل كانوا يشكلون العمود الفقري لجيش المهلب. وذلك بعد أن كان الأمويون يسعون لدفع الشيعة العراقيين، بل وإرغامهم على حربهم، فان معاوية قد اخبر اهل الكوفة: انه لا امان لهم عنده، حتى يدفعوا عنه بوائقهم[1] يقصد حركات الخوارج ضده.

وحين جهز المغيرة بن شعبة ثلاثة آلاف مقاتل، جعل معظمهم

---

(1) راجع: الكامل في الادب ج3 ص240 والعقد الفريد ج1 ص216 وشرح النهج للمعتزلي ج5 ص98 وج16 ص14 والكامل في التاريخ ج3 ص409 وتاريخ الامم والملوك ج4 ص148 و 147.

من شيعة علي عليه الصلاة والسلام، بل كانوا نقاوة الشيعة. وكانوا بقيادة معقل بن قيس احد القواد الذين كانوا في جيش علي «عليه السلام»، ومن المعروفين فيهم وفرسانهم ـ على حد تعبير الطبري، وغيره ـ.

كما أن ابن عامر قد جهز من البصرة ثلاثة آلاف من الشيعة أيضاً، وكان أكثرهم من ربيعة، الذين كان رأيهم في الشيعة[1].

والحجاج أيضاً قد نكل بأهل العراق، وقتل منهم من قتل، وفعل الافاعيل، بهدف ارغامهم على حرب الخوارج[2] وقد كان من نتيجة فعل الحجاج هذا: ان خرج الناس إلى السواد هرباً، وطلبوا من اهاليهم تزويدهم وهم في مكانهم، فازدحم الرجال على المهلب[3].

وفي بعض حروب الجيش الذي جهزه الأمويون لمواجهة الخوارج، قتل مع عبد الرحمن بن مخنف سبعون رجلاً من القراء، فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب، ونفر من أصحاب ابن مسعود[4].

---

(1) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص143 وتاريخ الامامية ص51 وتاريخ الامم والملوك ج4 ص144 و 148 والكامل في التاريخ ج3 ص430 و 431.

(2) راجع على سبيل المثال: الكامل في الادب ج3 ص366 - 307 ومروج الذهب ج3 ص127-129.

(3) مروج الذهب ج3 ص127 - 129.

(4) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص188 والكامل في الادب ج3 ص372.

من أسباب زج الشيعة في حروب الخوارج:

وقد كان من أسباب اهتمامهم بارسال الشيعة لقتال الخوارج، بالإضافة إلى ما تقدم، ما ذكره المغيرة بن شعبة، حينما قال لصاحب شرطته: «ألصق بمعقل شيعة علي، فإنه كان من رووساء أصحابه، فإذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض، وهم أشد استحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، فقد قاتلوهم قبل هذه المرة»[1].

ومهما يكن من أمر، فقد استمر الأئمة «عليهم السلام» في العمل على تجنيب شيعتهم الصدام مع الخوارج، فقد قال الشيخ المفيد.

«..وحريز بن عبد الله انتقل إلى سجستان، وقتل بها، وكان سبب قتله: أنه كان له أصحاب يقولون بمقالته. وكان الغالب على سجستان الشراة. وكان أصحاب حريز يسمعون منهم ثلب أمير المؤمنين «عليه السلام» وسبه، فيخبرون حريزاً ويستأمرونه في قتل من يسمعون منه ذلك، فأذن لهم، فلا يزال الشراة يجدون منهم القتيل بعد القتيل، فلا يتوهمون على الشيعة لقلة عددهم، ويطالبون المرجئة، ويقاتلونهم.

فلا يزال الأمر هكذا، حتى وقفوا عليه فطلبوهم، فاجتمع أصحاب حريز إلى حريز في المسجد، فعرقبوا عليهم المسجد، وقلبوا أرضه، رحمهم الله..»[2].

---

(1) راجع: تاريخ الامم والملوك ج4 ص144 والكامل في التاريخ ج3 ص429.

(2) الاختصاص للشيخ المفيد ص207 والبحار ج7 ص294، وقاموس الرجال ج3 ص109.

والظاهر: أن حريزاً لم يمت في هذه الحادثة. ويدل على نجاته منها قول النجاشي عن حريز هذا: «..وكان ممن شهر السيف في قتال الخوارج بسجستان في حياة أبي عبد الله. وروي: أنه جفاه، وحجبه عنه»[(1)].

ويكون جفاؤه «عليه السلام» له من شأنه أن يفهم الناس أن ما كان إنما هو مبادرة شخصية من حريز، ولا تمثل رأي القيادة، والخط العام للأئمة واتباعهم. وأنه لا داعي لفتح معركة معهم، مع وجود العدو الأخطر والأشر وهو العدو الأموي الظالم.

آثار حروب الخوارج على الحكم الاموي:

نعم.. ولقد كانت النتيجة: أن هدت حروب الخوارج الحكم الأموي، وأنهكت قواه، ومهدت السبيل لاسقاطه، اذ بسبب انشغال مروان الحمار بحروب الخوارج، لم يستطع أن يمد يد العون لعامله على خراسان، نصر بن سيار، الذي كان يواجه ابا مسلم الخراساني، الذي تابع حركته وانتصاراته، حتى قضى على الحكم الاموي قضاء مبرما ونهائياً[(2)].

معاوية يحاول الزج بالشيعة:

---

(1) رجال النجاشي ص111 ورجال المامقاني ج1 ص262 وراجع ص259 وقاموس الرجال ج3 ص108 وراجع: اختيار معرفة الرجال ص336 و 384.

(2) مروج الذهب ج3 ص240 وتاريخ ابن خلدون ج3 ص119 و 120.

وقد تقدم: أن معاوية قد حاول ان يزج بالإمام الحسن «عليه السلام» في حرب الخوارج، ولكنه «عليه السلام» قد امتنع من ذلك، وقال له نفس الكلمة التي قالها ابوه «عليه السلام» من قبل: «أنه ليس من طلب الحق، فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه».

فأسكت معاوية(1).

وأيضاً.. فإنه بعد الهدنة بين الإمام الحسن عليه الصلاة والسلام، ومعاوية بن أبي سفيان، وحين تحرك الخوارج في الكوفة ضد معاوية، وقالوا: «قد جاء الآن ما لا شك فيه»(2).

نجد معاوية يرسل إلى الإمام الحسن «عليه السلام» ـ وهو في طريقه إلى المدينة ـ بكتاب يدعوه فيه إلى قتال الخوارج، فلحقه رسوله بالقادسية، أو قريباً منها..

لكن الإمام «عليه السلام» لم يرجع، وكتب إلى معاوية: «لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة، لبدأت بقتالك» أو ما بمعناه.

أو قال له: «سبحان الله، تركت قتالك وهو لي حلال، لصلاح الأمة وإلفتهم، أفتراني أقاتل معك»؟(3).

---

(1) علل الشرايع ص218 والبحار ج4 ص13 وسفينة البحار ج1 ص384.

(2) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج4 ص126 والبداية والنهاية ج8 ص22 والكامل لابن الأثير ج3 ص409 وكتاب امير المؤمنين للشري والغدير ج10 ص173.

(3) راجع الكامل لابن الاثير ج3 ص409 والكامل للمبرد ج3 ص240 والعقد الفريد ج1 ص216 وشرح النهج للمعتزلي ج5 ص98 وراجع ج16

وهذا.. إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الأمويين، وعلى رأسهم معاوية، قد حاولوا، وكرروا المحاولة.. أن يزجوا بخصومهم، أعني أهل البيت وشيعتهم في حروب الخوارج، وما ذلك إلا من أجل ما قدمناه..

ونجد الإمام الحسن «عليه السلام» يعلل رفضه لذلك بما يدل على تفهم كامل لأبعاد قتال هؤلاء الذين يكون نصر الأمويين عليهم اخطر، وامر وأدهى..

وقد أشرنا إلى بعض ما يفيد في فهم بعض هذه الأمور؛ فلا نعيد..

تعليل المعتزلي لا يصح:

وبعد.. فإن المعتزلي الحنفي يفسر نهي أمير المؤمنين «عليه السلام» عن قتال الخوارج بعده، بنحو آخر، فهو يقول:

«لا ريب أن الخوارج إنما برىء أهل الدين والحق منهم، لأنهم فارقوا علياً، وبرئوا منه، وما عدا ذلك من عقائدهم، نحو القول بتخليد الفاسق في النار، والقول بالخروج على أمراء الجور، وغير ذلك من أقاويلهم، فإن أصحابنا يقولون بها، ويذهبون إليها، فلم يبق ما يقتضي

ص14 والنصائح الكافية ص26 عن نيل الأوطار، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج3 ص64، وتقوية الايمان ص73 والبحار ج44 ص106 وكشف الغمة ج2 ص199، والغدير ج10 ص160 و 173 عن المعتزلي وقد نقلوا ذلك أيضا عن رغبة الآمل ج7 ص178 وراجع نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحلواني ص34.

البراءة منهم إلا براءتهم من علي.

وقد كان معاوية يلعنه على رؤوس الأشهاد، وعلى المنابر في الجمع والأعياد، في المدينة، ومكة، وفي سائر مدن الإسلام، فقد شارك الخوارج في الأمر المكروه منهم، وامتازوا عليه بإظهار الدين، والإلتزام بقوانين الشريعة، والإجتهاد في العبادة، وإنكار المنكرات، وكانوا أحق بأن ينصروا عليه، من أن ينصر عليهم، فوضح بذلك قول أمير المؤمنين: «لا تقتلوا الخوارج بعدي» يعني في ملك معاوية..»[(1)].

ولكننا نلاحظ على كلام المعتزلي: أموراً كثيرة وهي:

1 ـ إنه خص نهي أمير المؤمنين «عليه السلام» عن قتالهم بملك معاوية مع أنه أعم من ذلك. وقد استشهد نفس المعتزلي باستعانة ابن الزبير بهم على يزيد بن معاوية بعد هذا الكلام مباشرة.

2 ـ إنه قد اعتبرهم أهل دين وعبادة، والتزام بقوانين الشريعة، ولم يكن الحال كذلك في واقع الأمر، فقد أخبر الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» عنهم بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وبأنهم يقرؤون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم.

وقد أشرنا إلى شيء من هذه النصوص ومصادرها في ما سبق.

كما أننا قد ذكرنا في محله من هذا الكتاب: أنهم أهل دنيا وطمع فيها..

هذا بالإضافة إلى أن مخالفاتهم الفاضحة للشريعة هي التي دعت

---

(1) شرح النهج للمعتزلي ج5 ص131.

علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى حربهم، كما عرفنا..

3 ـ وملاحظة ثالثة لنا عليه، وهي: رضاه عن قولهم بتخليد الفاسق في النار، فإن ذلك من مقالات المعتزلة، وليس مما يذهب إليه سائر المسلمين. وقد فند الشيعة هذا القول بما لا مزيد عليه.. وكونه «صلى الله عليه وآله» قد ادخر الشفاعة لأهل الكبائر من أمته يبطل هذا القول.

4 ـ وأخيراً.. فإنه قد اعتبر أقاويلهم موافقة لما يقوله غيرهم من المسلمين، وتقدم وسيأتي شطر من أقاويلهم الفاضحة تلك التي لا يقرها عقل ولا يرضى بها وجدان، ولم يوافقهم عليها غيرهم.

وموافقة شاذ في واحد من الموارد لا يعني موافقة الآخرين، ولا هو على حد القول بكل تلك الأقاويل الشنيعة مجتمعة، وذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

الفـهـــارس

1 ـ الفهرس الإجمالي
2 ـ الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الباب الأول: أجواء.. ومناخات

الفصل الأول: العرب والعراقيون في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام 27

الفصل الثاني: المجتمع والحرب 47

الفصل الثالث: تأثير سياسات عمر في العراقيين........... 64

الفصل الرابع: من معاناة أمير المؤمنين عليه السلام 79

الفصل الخامس: سياسات علي عليه السلام في العراق........... 101

الباب الثاني: الخوارج: تاريخ.. وأحداث

الفصل الأول: ظهور الخوارج.. 126

الفصل الثاني: قبل المواجهة 161

الفصل الثالث: في المواجهة.................................. 189

الفصل الرابع: آخر الدواء الكي.. 210

الباب الثالث: توضيحات.. حول النهروان

الفصل الأول: معالجة أخطاء فاحشة 239

الفصل الثاني: عائشة.. والخوارج 259

الفصل الثالث: من المناظرات.. والإحتجاجات. 288

الفصل الرابع: تزوير الخوارج للحقائق. 333

الباب الرابع: علي عليه السلام.. والخوارج

الفصل الأول: علي عليه السلام .. وشعارات الخوارج............ 352

الفصل الثاني: بعلم الإمامة يواجههم.......................... 380

الفصل الثالث: أنا فقأت عين الفتنة............................ 399

الفصل الرابع: لا تقتلوا الخوارج بعدي 422

2 ـ الفهرس التفصيلي:

تقديم:... 5
تمهيد:... 10
الخبر المتواتر:... 10
التشكيك اللئيم:... 16
صفات الخوارج في الروايات:... 17
التزوير المفضوح:... 19
سيماهم.. شعارهم:... 20
الخوف من إظهار الحق:... 21
1 ـ خوف أبي سعيد:... 22
2 ـ حنش.. وعلي عليه السلام أيضاً:... 23
3 ـ معاوية يلاحق من يحدِّث:... 23

الباب الأول: أجواء.. ومناخات

الفصل الأول: العرب والعراقيون في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

بداية:... 29
العراقيون.. في كلام علي عليه السلام:... 30
قريش والعرب، وعلي عليه السلام:... 34

قريش.. وحقدها.. 40
خلاصة جامعة: 42

الفصل الثاني: المجتمع والحرب

العراق.. بعد الفتح: نظرة عامة: 49
الفتوحات، والغنائم: 50
تربية الجواري للناشئة:.. 52
المجتمع العراقي.. والحرب:.. 53
1 ـ قضية علي عليه السلام لا تعنيهم:.................................... 53
2 ـ لا غنائم ولا سبايا:.. 54
3 ـ هيمنة المشاعر القبلية ومفاهيم الجاهلية:.............................. 55
4 ـ حقيقة إخلاص القيادات: 55
5 ـ رقابة علي تهدد مصالحهم:.. 56
6 ـ تقلبات وضغوطات مضعفة: 56
7 ـ الإرباك بسبب قتال أهل الإسلام: 56
8 ـ لا معايير تحمي من الشعارات: 57
9 ـ الخليط غير المتجانس:.. 58
10 ـ الخسائر في الحروب:.. 58
11 ـ العرب والموالي:.. 59
خلاصة.. وبيان: 61

الفصل الثالث: تأثير سياسات عمر في العراقيين

التمييز العرقي:... 66

قلة من كان مع علي عليه السلام: 67
عظمة عمر بن الخطاب في العرب: 67
خطة معاوية في مواجهة علي عليه السلام: 68
معاناة علي عليه السلام: 69
وفي حرب الجمل أيضاً:.. 72
عظمة عمر لدى الخوارج:...................................... 73
عمر يحترم قاتل علي عليه السلام: 75
وثمة شواهد أخرى: 76

الفصل الرابع: من معاناة أمير المؤمنين ×

الحروب الطويلة:... 81
العراقيون.. يجهلون علياً عليه السلام:.................................... 83
قلة المخلصين في جيش علي عليه السلام:.............................. 85
حالة البصرة بالخصوص: 88
الكوفة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام:............................ 90
آثار حرب صفين، والتحكيم: 93
حروب الإخوة:.. 95
قتل أماثلكم: 96

الفصل الخامس: سياسات علي × في العراق

علي عليه السلام يفقه العراقيين:.................................... 103
عدل علي عليه السلام وموقف زعماء القبائل:........................ 104
علي عليه السلام يعرف الناس بالإمامة: 109

علم الإمامة عند علي عليه السلام: 110
لقد ملأتم قلبي قيحاً: 114
متى بدأ التشيع في الكوفة:..................................... 115
وعي العراقيين يضايق الحكام:................................ 118
العراقيون وزهد علي عليه السلام:............................ 119
فوارق بين زهد علي عليه السلام وزهد غيره: 120
التأثير المسيحي في الزهد العراقي: 121

الباب الثاني: الخوارج: تاريخ.. وأحداث

الفصل الأول: ظهور الخوارج

بداية:... 128
ظهور الخوارج: 128
تركيبة الفئة الرافضة للقتال:.................................... 129
التحكيم بنظر علي عليه السلام:................................. 130
الخوارج ليسوا أنصار الإمام عليه السلام:...................... 134
تبرئة الخوارج، وإدانة علي عليه السلام: 136
تورية علي عليه السلام، وشائعات الخوارج: 138
استطراد يفيد في جلاء الصورة:............................... 140
العجب هو الداء الدوي:... 140
تبريرات الخوارج: 141
علي عليه السلام يضيع الوصية: 141
الشعر.. والوصية:.. 143

بذرة الخوارج متى كانت: 153
في حرب الجمل:.. 153
من سيرة علي عليه السلام في حرب الجمل:......................... 157
علي عليه السلام لم يخمس أهل الجمل: 159
آخر الدعاوى: 160

الفصل الثاني: قبل المواجهة

سياسات علي عليه السلام مع الخوارج:.............................. 163
تحرك الخوارج.. خلاصة تاريخية: 164
أذى الخوارج لعلي عليه السلام: 167
الموقف الشرعي الدقيق: 168
الفساد والإفساد: 170
الرسول اليهودي في أمان: 173
تناقضات في موقف الخوارج: 174
السم في الدسم: 176
ابن خباب من عمال أمير المؤمنين عليه السلام:........................ 177
تخصيص المطالبة بابن خباب:....................................... 178
خوارج البصرة هم المفسدون: 180
الكوفيون.. وقتال الخوارج: 181
ما جرى: 183

الفصل الثالث: في المواجهة

الجيشان: 191

علي عليه السلام والمنجم: 192
التحدي الفاشل لليقين بالغيب:................ 194
إذا عرف السبب بطل العجب:................ 197
إحتجاجات علي عليه السلام وتراجعات الخوارج:................ 198
بهذا وعظهم عليه السلام: 201
آخر ما وعظهم به علي عليه السلام: 202
كيفية إقرارهم بقتل ابن خباب: 203
علي عليه السلام يدعوهم إلى حكم المصحف:................ 204
تأثير نهج علي عليه السلام في الخوارج:................ 206
علي عليه السلام لا يبدؤهم بالقتال: 207
لا تتبعوا مولياً:................ 208
إقامة الحجة أولاً: 209

الفصل الرابع: آخر الدواء الكي

أو على نفسها جنت براقش................ 210
توضيحات للسياق التاريخي 212
1 ـ التعبئة:................ 212
2 ـ رواية الأمان:................ 212
3 ـ التفرق والتراجع: 213
4 ـ قبل أن تبدأ الحرب:................ 214
5 ـ الخوارج يبدأون الحرب: 214
6 ـ الغنائم:................ 214

تفاصيل في روايات أخرى:............................. 215
ثلاث حملات للخوارج: 216
عدد القتلى والناجين: 216
عدد الشهداء، وعدد من أفلت: 218
أسماء الشهداء:.. 220
الرقم المشبوه: 221
الذين أفلتوا إلى أين صاروا؟! 222
عدد من أفلت: 223
القول المشبوه:.. 224
تشكيك آخر في عدد من أفلت:.......................... 225
الاختلاف في عدد من أفلت:............................ 226
دفن قتلى الخوارج:.................................... 226
الأسرى والغنائم: 227
تاريخ وقعة النهروان بالتحديد: 229
ذو الثدية والراسبي: 229
الشك في قطع يد المخدج:............................... 230
قتل المخدج طمأن القلوب: 231
الخوارج بعد النهروان:................................. 233
الخوارج بعد علي:...................................... 234
نبوءة صادقة لعلي عليه السلام: 235

الباب الثالث: توضيحات.. حول النهروان

الفصل الأول: معالجة أخطاء فاحشة

بـدايـة: 241

جبن الخوارج شجاعة!! 242

دعاوى حول أسباب تجذر مذهب الخوارج: 246

هل يدافع علي عليه السلام عن حكمه؟! 249

خوارج آخر الزمان: 251

الخوارج وحرية الرأي: 255

هذا حقد أم جهل؟! 256

الفصل الثاني: عائشة.. والخوارج

الخوارج يسبون عائشة: 261

نظرة في اعتذار عائشة:.. 264

موقف عائشة من الخوارج:.. 267

عائشة تطلب البينة على المخدج: 268

ابن شداد يروي لعائشة: 269

ملاحظات على ما تقدم: 275

مفارقات في مواقف عائشة: 276

الزبير قتل وهو منهزم:... 281

الفصل الثالث: من المناظرات.. والإحتجاجات

بداية:... 290

المناظرات والإحتجاجات: 290

لا تخاصمهم بالقرآن: 291

العناد واللجاج: 296
اعتراف الخوارج:... 298
تأثير المناظرات والخطب والمناشدات: 299
خوف الخوارج من المناشدات والإحتجاجات:............... 301
شذرات من المناظرات والإحتجاجات: 302
هل قصّر ابن عباس في الاحتجاج؟: 303
هل هذه الإحتجاجات موضوعة؟! 305
الحجة الدامغة هي حجة علي عليه السلام:....................... 306
نص آخر: 310
جولة جديدة من الاحتجاجات: 320
ابن الكواء، وعلي عليه السلام: 323
هل حاور الإمام الباقر عليه السلام نافع بن الأزرق؟!............... 327

الفصل الرابع: تزوير الخوارج للحقائق

الخوارج يفتئتون على علي عليه السلام:................................ 335
الرواية الصحيحة:... 337
رواية الخوارج لقصة ذي الثدية: 338
ندامة علي عليه السلام في روايات الخوارج:............................ 340
الخوارج يروون تأييد عائشة لهم: 341
موقف ابن عباس برواية الخوارج:............................ 342
من تزوير التاريخ أيضاً: 345

الباب الرابع: علي ×.. والخوارج

الفصل الأول: علي عليه السلام.. وشعارات الخوارج

شعارات الخوارج: 354
سمات.. وحالات: 355
بين الواقع والشعار: 356
أمير المؤمنين عليه السلام وشعارات الخوارج: 356
تفصيلات عن موقف علي عليه السلام: 361
الموقف الرسالي: 368
لماذا هذه الأربعة؟!: 370
الإمتحان.. والناجحون والمخفقون: 372
إشارات ودلالات الحديث: 374

الفصل الثاني: بعلم الإمامة يواجههم

بداية.. ونهاية: 382
حرب الخوارج هي الأصعب: 390
الحدث الذائع: 391
إشهار أمر المخدج: 394
قبل.. وبعد النهروان: 396

الفصل الثالث: أنا فقأت عين الفتنة

مما سبق: 401
أنا فقأت عين الفتنة: 402
1 ـ القوة السياسية للناكثين: 403
2 ـ القاسطون وقوتهم المتميزة: 404

ملاحظة هامة:.. 405
عودة إلى الحديث السابق:.................................... 406
3 ـ قوة المارقين:.. 407
مكانة علي عليه السلام:.. 410
الصحابة مع علي عليه السلام:.. 412
قوة موقف علي عليه السلام:.. 415
شك الخوارج في صوابية موقفهم:.......................... 416

الفصل الرابع: لا تقتلوا الخوارج بعدي

لا تقتلوا الخوارج بعدي:.................................... 424
أهداف علي عليه السلام في قتال الخوارج: 425
قتال الخوارج دفاع عن الأمويين: 426
الأمويون أخطر من الخوارج:................................. 427
الخوارج أقل خطراً.. لماذا؟: 430
ألف: الخوارج أعراب: 430
ب: دعوة الخوارج بعيدة عن الفطرة:......................... 430
ج: محدودية مطامع الخوارج: 434
د: تصلب الخوارج ضد علي عليه السلام:............................. 435
ه: ما يؤثر في اتخاذ مواقفهم:................................. 436
و: المغرورون بشعارات الخوارج: 437
ز: مقارنة بين بني أمية والخوارج: 437
ح: عدل الخوارج وتحرّيهم للحق: 441

ط: حرب الشيعة للخوارج قضاء على الشيعة: 442
ي: الشيعة حاربوا الخوارج بعد علي عليه السلام: 443
من أسباب زج الشيعة في حروب الخوارج: 445
آثار حروب الخوارج على الحكم الاموي: 446
معاوية يحاول الزج بالشيعة: 447
تعليل المعتزلي لا يصح: 448